د. صالح بن مطر الهطالي

بداية المراجعة يوم ٢٩/١٢/٢٠١٤م
تمت المراجعة يوم ٣٠/٨/٢٠١٥م

روايـة

المُهـاجِر

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

الفصل الأول

بداية النجاح

استيقظ محمد صباح هذا اليوم في الساعة الرابعة قبل الفجر، فقد كان على موعد مهم في حياته؛ إنه أول أيام المرحلة الثانوية، كان ينتظر بداية العام الدراسي بفارغ الصبر لأنه يعلم أنه سيبدأ حياة جديدة؛ فالمدرسة التي سيذهب إليها غير المدرسة التي كان يتعلم فيها في المرحلة المتوسطة. كذلك، ففي هذه المدرسة سيلتقي بطلاب جدد من مدارس متوسطة مختلفة، ومن أهم الأشياء التي كانت تفرحه هو أنه سيلتقي بطاقم تدريسي جديد؛ فمدرسو الثانوية يختلفوا عن مدرسي المراحل الأخرى، وهم على مستوى أعلى من العلم والكياسة، وهذا ما يتمناه محمد.

أراد محمد أن لا يتأخر عن المدرسة، فاستحم، ثم توجه إلى المسجد وأدى صلاة الفجر، ثم عاد إلى البيت ووجد والدته قد أعدت الإفطار، وما إن رأتهم حتى بادرته قائلة: ما شاء الله يا ولدي، يبدو عليك نشاطٌ زائدٌ هذا اليوم. توجَّه محمد نحو أمه وصافحها وقبَّل يدها، ثم قال لها وهو يبتسم: أنا سعيد جدًّا يا أمي، وأريد أن أذهب إلى المدرسة في أسرع وقت. فقالت له أمه: ولكن ما زال الوقت مبكرًا، فقال لها: لا يا أماه، إن عليَّ أن ألتقي بصديقي سالم، وسنبدأ بالتجمع لانتظار الحافلة، وهناك سنلتقي بأصدقاء جدد، وفي المدرسة سنتعرف على مدرسين جدد، وسنعطى كتبًا جديدة ومناهج جديدة. ابتسمت الأم وقالت: إذًا، لك الحق أن تفرح بهذا اليوم، فأنت شخص محظوظ أن تحصل على كل هذه الأشياء، فقال محمد: الحمد لله يا أمي، ولا تنسيني من دعائك، فقالت له أمه: بإذن الله.

أفطر محمد بسرعة، ثم لبس ثياب المدرسة، وحمل حقيبته، وودع أمه، ثم خرج من البيت. مر بجوار بيت صديقه العزيز سالم، ووجده ينتظره خارج البيت، فتصاحبا إلى موقف الحافلة. وفي الطريق بدءا يتجاذبان الحديث عن المدرسة وعمَّا يخططان له، وكيف أنهما سعيدان جدًّا بهذا اليوم.

عندما وصلا إلى المدرسة، طُلِبَ منهما- كغيرهما من الطلاب- أن يصطفوا في طوابير، وألقى مدير المدرسة كلمة ترحيبية بهم، ثم قام المدرسون بتوزيع الطلاب على الفصول المختلفة، ولحسن حظهما

(X1)

كان محمد في بداية العشرين من عمره شاب نحيل ومتوسط الطول، وسيم القسمات وجهه طويل وعيناه سوداوتان بقيتا الأيمن وهو الذي يميل إلى الطول، وشعر فاحم السواد طويلاً قليلاً

أما خالد فهو في عامه الثالث عشر ولد من الوسامة وملامح الوجه ما لمحمد، غير أنه أصغر منه طولاً وجسماً أنحف امتلاءً وأقل منه ثباتاً، حتى في عزيمة الخفيفة وأما حسنة التي دخلت عامها الثاني عشر فهي أكبر منهما طولاً وجسماً وأنحف امتلاءً قليلاً هما عند محمد وخالد وهو قريب منهما عليها والدتهما.

وكانت والدتهم حيًّا مغرمًا

كان كبير الشبه بوالدته خديجة حتى إن كبيرة ما كانت تقول لأخوته: هذا أبي وتشير به ملامحه على ملامح ابنها محمد. كانت خديجة

كان أبوها [illegible] عامل البناء وهو على [illegible] الأكبر من عشر سنوات فأحبته وصارت [illegible] وعاش معها في [illegible] وولدت له محمد ثم خالد ثم حسنة.

وكان محمد زاد حبل كروم [illegible] وكان متوسط الطول متوسط البنية، [illegible] وعيناه وشعره أسود [illegible] صفة أصلية وراثية.

وكان خالد في الطفولة فقد أزلته السنين وأكلته الأيام، وهو [illegible] وكانت أخلاقه البنية وكرمه الطفولي حديث [illegible] والدته خديجة وأهلها [illegible] وطاعته والتقدير.

[illegible] عندما جاء لطفلة ابنتهم الوحيدة والدلة [illegible] والتقدير [illegible] عادات حاكمة من أبويه

from (X) to back of (1)

بنتين

أطفال: ثلاثة [illegible] وابنتين، وفق الترتيب: محمد ثم [illegible] ثم حسنة.

وأما أروى فهي الصغرى بنت الأربع سنين.

هذه البنت المدللة التي استأثرت بحب الأنثى الأكبر منها بعشر سنوات فشبهها أباها ليس فقط [illegible] وحدة صوته وقصر أصابع يديه وقدميه وإنما تصغيرة شخصية وكأنها نسخة مطبوعة من أخلاقه وطاعته وولاء [illegible] أولاده الأربعة في البيت، فعندما تقضي أمهم أيامًا بعيدًا عن البيت لزيارة أهلها [illegible] الأمور [illegible] وحسنة على أخويها [illegible] الاهتمام [illegible] أروى [illegible] الأكبر [illegible] وحسنة [illegible] وكانت [illegible] وكانت [illegible] وكانت

فقد تم اختيارهما ليكونا في نفس الفصل. دخلا إلى الفصل، واختارا لهما كرسيين في وسط الصف الأمامي، فهما لا يريدان أن يُفوّتا أية معلومة يحصلان عليها من المدرسين، ويريدان أيضًا ألا ينشغلا بأمور أخرى عندما يكونان في نهاية الفصل.

كانت أول مادة في ذلك اليوم هي مادة التربية الإسلامية، وعندما دخل المدرس كان على هيئة نالت إعجاب الطلاب، وخاصة محمد وسالم، فكان المدرس شابًا خلوقًا ملتحيًا تبدو عليه سيما التديُّن والتواضع والوقار. ابتسم محمد عندما رأى المدرس، وكأنه مسرور بأن يحصل على مثل هذا المدرس، والتفت إلى صديقه سالم وقال له: يبدو أنه مدرسٌ رائعٌ. قال سالم وهو أيضًا لا يخفي سروره: أظن ذلك.

بدأ المدرس في الحديث فسلَّم على الطلاب، ثم قال: يا أبنائي الأعزاء، أريد أولًا أن أهنئكم من قلبي لوصولكم إلى هذه المرحلة المهمة في حياتكم؛ فهي مرحلة الرجولة ومرحلة العطاء، ومرحلة الجد والاجتهاد. كان الطلاب يستمعون إلى حديث أستاذ التربية الإسلامية باهتمام بالغ، فكان أسلوبه في الحديث ممتعًا، وبدأ يسوق لهم الحِكَم والعِبَر والمواعظ، ويُحفِّزهم على الاجتهاد في الدراسة والعطاء، ثم قال لهم: ربما تتذكرون قول الله- سبحانه وتعالى-: { ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين }.

وبدأ المدرس يسرد للطلاب أحوال الأمة الإسلامية، وأنها قد اختارت لنفسها المذلة والمهانة والاستكانة بدلًا من أن يكون لها العلو والسمو، كما أرادها الله- سبحانه وتعالى-، وأنها صارت فريسة لأعدائها، ثم قال للطلاب: يا أبنائي، إن أمتكم تنتظركم أن تعيدوا إليها مجدها وعزها وسؤددها، وأريد أن أخبركم بسرٍّ مهم، أتدرون ما هو؟.

صمت الطلاب، ولم يعرفوا هذا السرّ الذي يقصده المدرس الحاذق. وأصل المدرس كلامه، وقال: إن السرّ الذي أتكلم عنه هو أنتم. أنتم يا أحبائي سِرُّ عزة هذه الأمة، أنتم سِرُّ الرفعة والتمكين والريادة لهذه الأمة، وابتداؤكم اليوم في هذه المرحلة هو بداية المشوار في الطريق الذي سيرفع- بإذن الله- راية هذه الأمة ويُعلي لواءها. كانت هذه الكلمات تنزل على محمد وسالم كالرذاذ البارد، تبعث فيهم روح النشوة والحماسة والاعتزاز بالنفس.

[illegible] بعضهم إلى البيت منذ ثلاثة أعوام النهمة للحياة الأمل التي كانت قبل مجيئي تسوس تلك الوجنات القليلة التي يغطيها أولادها في المدرسة وزوجها في الوظيفة. وبعد مجيئي صار واحدة أم منظم أوقاتها وتبذل أضعاف جهدها السابق لتقضية متطلبات المنزل مع رعاية الطفلة.

وأما علي فكان يقوم بعمله كفتى صحي في البلدة طريقاً وكان يعود إلى البيت منهكاً من كثرة تنقلاته وطبيعة عمله فيغرق حتى خديه في ضحكات أو في غفلة عن ما يجري من أرق الهل واعتبارات المسؤولين له وما يحمله من هم وهي إليه التي تتقاسم الأسرة والديون المتراكمة عليه. لم يكن راتبه الذي يتقاضاه ليفي باحتياجات أسرته التي كبرت مع السنوات وكبرت معها التزاماتها. لكنه علياً لم يكن ليذكر شيئاً من ذلك إلا ما تلمسه خديجة أحياناً من شرود ذهنه فتواسيه قائلة: لا عليك يا أبا محمد سيكبر الأولاد ويكونون لك يا إذن الله ساعدك المبين فلا تزيد أن يرحمك بابتسامة وهو يطمئن بصره إلى أعلى وكأنه يستشرف ما سيكون عليه حال أولاده بعد أن يكبروا.

(XI) كان سالم ذو عينين كحليتين وشعر فاحم يميل إلى العاتمة كان كثير المزاح ما لا تكاد أن تفارقه الابتسامة وكان له من العلول ورشاقة القد ما يحلم وكثير من أقرانه في هذه السن. وحيث إنه الابن الوحيد لوالديه بالإضافة إلى أربع بنات تكبره سناً فقد صار يتفوق عاتقهن من أنواع المرفوعات ما جلب عليه الكثير من نظرات الغيرة من قبل زملائه وكان محمد كثيراً ما يعاتبه على ذلك. ولد محمد وسالم في ديسمبر ١٩٨٤م

تربى الشابان كتوأمين لا يكادان أن ينفصل عن بعضهما فساعة في بيت محمد وأخرى في بيت سالم. وحينما بدأ الذهاب للمدرسة كانت مذاكرتهما كثيراً ما تكون في بيت أسرة محمد يعلب التي كانت من أخوات سالم لما يوليه من اهتمام وخاصة شيماء التي تكبرهما بسنة واحدة فقط على الرغم من أنها لا تذاكر لأحدهما. وعندما بدأ محمد وخوالجه المراهقة وبدأت مشاعر الإحساس بالأنثى تزوره بين حين وآخر كانت جوزة شيماء لا تفارقه وقد لاحظت خديجة - أم محمد - ذلك من كثرة ما يتكلم به عنها حتى أنه أمه كانت تناديه بقولها: يبدو أنك متعلق بشيماء أنك تحبها وتريد الزواج منها.

لم تكن شيماء فتاة الأحلام بالنسبة لمحمد فقط ولكنها أخاه خالد كان يحبها كثيراً وأخته سمية كانت تطيب لزوجيل وخاصة عندما تأتي إلى بيتهم. توطدت هذه العلاقة بين الأطفال فتوطدت علاقتهم - العلاقة بين الأسرتين فصارت خديجة وعمراء أم سالم - يتصاحبان لزيارة الجيران وعند الذهاب إلى المستشفى وكان علي يكن احتراماً كبيراً لسعيد - والد سالم - ويستشيره أحياناً في بعض القضايا المتعلقة بالعمل أو الأسرة لكون سعيد الوحيد في القرية الذي يحمل مؤهل جامعي الذي أنهى الثانوية.

لم تقبل أيام الثانوية ببرودتها منذ زمن علي وسعيد. فما إن وصل محمد وسالم إلى الصف حتى

بعد أن أنهى المدرس حديثه، طلب من الطلاب أن يُعرِّف كل واحد منهم بنفسه، وأن يذكر بعض طموحاته وأحلامه. قام الطلاب الواحد منهم تلو الآخر وهم يُعرِّفون بأنفسهم. كان بعض الطلاب لا يُخفي ما يطمح لتحقيقه من أمور في غاية النبل والسمو، وكان بعضهم يذكر أحلامًا وطموحاتٍ تافهة، لا تليق بما سمعوه من كلام محفِّزٍ ومُعلٍ للهمة من هذا المدرس الحاذق.

أما محمد، فقد كان يترقب وصول دوره، وكان يُرتِّب في ذهنه الكلام الذي يريد أن يقوله، فعرَّف بنفسه أولًا، ثم قال: أيها الأستاذ الكريم، ويا إخواني الأعزاء، إني قد لا أختلف عنكم في كوني بشرًا مثلكم، أتشابه معكم في طول قامتي، وفي هيئتي ووزن جسمي، غير أني أقول لكم إن ما سمعتُه من مدرسنا الكريم قد جعلني أحس بأني لستُ كغيري من الناس، وإنما أنا شخص اختاره الله- سبحانه وتعالى- لمهمة عظيمة وسامية؛ ألا وهي رفع مكانة هذه الأمة وانتشالها من الذل والهوان الذي تعيش فيه، كما سمعتم من مدرسنا العزيز. وإني أيها الأستاذ الكريم أريد فعلًا أن أكون الشخص الذي وصفتَه في حديثك، ولكني كما تعلم طالب بسيط وضعيف، وليس عندي من العلم والفهم ما يُمكِّنني من أن أصل إلى تلك المرتبة، ولذلك أسألك أيها الأستاذ الفاضل لي ولإخواني هنا أن تهتم بنا، وأن تساعدنا لأن نصل إلى المستوى الذي يريده ربنا لنا، وإني أعاهدك أن أبذل قصارى جهدي لأن أصل إلى تلك المكانة.

كان المدرس يسمع هذه الكلمات من محمد وهو لا يكاد أن يصدق نفسه؛ فهذا أول أيام السنة الدراسية، ولم يكن يتوقع أن يوفقه الله للحصول على مثل هذا الطالب النبيه، والذي يبدو أنه متّقِد الفكر، عظيم الطموحات. انتهى محمدٌ من حديثه، فلم يتمالك الأستاذ نفسَه حتى قال محمد: بارك الله فيك يا محمد وفي أمثالك، وأسأل الله- سبحانه وتعالى- أن يعيننا جميعًا على أن نتساعد لأن نصل إلى المكانة والمرتبة التي يريدها لنا رب العزة جل وعلا.

عندما جاء دور سالم عرَّف بنفسه، ثم قال: يا أستاذي العزيز، كنتُ قد أعددتُ في ذهني كلامًا مثل ما قاله صديقي محمد، وحيثُ إنه قد سبقني في الحديث فلا حاجة لأن أكرر ما قاله، وإنما أقول لك: إني ومحمد سواء، وستجدنا بإذن الله معك يدًا واحدة، ونرجو تأخذ بأيدينا إلى النجاح والفلاح بإذن الله تعالى.

X2 كان سالم يتابع باصغاء حديث الأستاذ أسامة، وغاص هو الآخر في محاولة الكشف هذا السر، ومع استمرار فتاة يا محمد وكأنه استطاع فك ألغاز كلام معلمه. لكن محمداً كان يسبح في عالم بعيد.. كان كثيراً ما يتصور انه بأمريكا كما حدث منذ بضع سنوات.. كانت تلعب حينما له قوة النصر وهو يسمع والده يقص عليه قصص الفاتحين (الاتحاد السوفيتي) ويقول له معلقاً بالقدمات أوان النصر وشيكاً يا ولدي، وإني لأرجو الله أن تكون أنت الفاتح الرباني لهذه الأمة.

X3 نعم، لقد صدق كلام والده، فها هو أستاذ التربية الإسلامية يؤكد له أنه سيكون بإذن الله - الفاتح الرباني لهذه الأمة وإلا فلماذا يسمي ذلك سراً؟ لابد أنه يقصدني أنا، ما قال لنفسه وقلبه يرتجف من شدة ما يشعر به من حماس وفخر. ما قال الأستاذ هذه الكلمات جزافاً.. لابد أنه لمح فيه شيئاً من خصال الفاتحين، هكذا استنتج محمد وهو يتابع حديث أستاذه.

X4 تبادل الاثنان نظرات ملؤها الابتهاج ثم غاص كل منهما في عالم من الخيالات. لقد رأى سالم نفسه على كرسي ضخم فخم يدور به بحبة ويسرة وأمامه طاولة ضخمة أنيقة وبجانبه بصرة في أرجاء مكتب واسع الأرجاء مليء بالأرائك وتتوسط جداره الجانبي مكتبة ضخمة جميلة، وسمع مدير مكتبه وهو ينادي به: يا سيادة المدير، هل تأمرني بشيء.

أما محمد فقد رأى نفسه في بلوزة طيار تتناثر على منكبيه نياشين وبجوم وأشرطة، ورأى نفسه وهو يطل من نافذة مكوك الفضاء والأرض تطوى من تحته بسرعة البرق، وسمع والده وهو ينادي به من خلال سماعة المكوك: لا تنسى يا ولدي أنه ستصل بنا عندما نقل إلى القمر، ثم سمع أمه تقول له: حفظك الله يا ولدي، نحن إلينا منتظرون فأمثل بها في انتظارك.

لم يفق الصبيان من عالمهما إلا عندما صوت الأستاذ أسامة وهو يطلب من الطلاب الصمود بعد الصيحة التي أطلقها، وسادت بين الطلاب على إثر تلك الكلمات الرائعة التي قذفها أستاذهم في قلوبهم، ثم تفاعل وهو يسمع كلمات أستاذه

X5 سكبت قلب محمد هدأ ضميره، وتجلت من محياه الابتسامة عريضة، وشعر بالتفاؤل في سالم أو صار يحتذي به فيه والابتسامة سالم يلقي خطبة أمام أستاذه التي لم يسمع منك محمد إلا بعض الكلمات. لقد هام في خيالات عريضة ورأى نفسه وهو يتقلد مراتب المجد ويطير بجناحي الإيمان والعلم لما آفاق تحمل لأمته بشائر النصر ومعالي ؟؟. أتكون تلك الرؤيا حقيقة؟ أيكون ذلك الأمل هو هذا الأستاذ؟ هكذا أجابت على نفسه سيلاً من الأسئلة التي لم يدر لها جواباً، ولكنه كان يحيي نفسه بقوله: بإذن الله.

أعجب المدرس أيضًا برده، فقال له: بارك الله فيك يا سالم، وإني محظوظ هذا العام أن أحظى بطلاب من أمثالكم. واصل الطلاب في التعريف بأنفسهم، وكان بعضهم لا يُخفي ما يطمح لتحقيقه من أمور في غاية النبل والسمو، وكان هناك من الطلاب مَن كانت أحلامهم وطموحاتهم لا تتجاوز مواطئ أقدامهم.

بعد انتهاء الحصة الدراسية قام محمد وسالم بسرعة وذهبا ليُسلِّما على أستاذ التربية الإسلامية، وعندما مدَّ محمد يده للسلام على الأستاذ، قال له: يا أستاذي هذه يدي، أعاهدُك وأعِدُك أن أكون معك، ولكن عليك أن لا تنسَنا، وأن تهتم بنا، فنحن في تلهُّف وشوق إلى توجيهاتك ونصائحك وفِكرك. ابتسم المدرس لهم، وقال: بإذن الله ستكون بيننا لقاءات هنا في الفصل وفي خارج الفصل.

قضى محمد وسالم أيام الثانوية وهما يتمنيان أن لا تنقضي، فقد كانا يتردادان على مدرس التربية الإسلامية، وكان يشحذ هممهما، ويشجعهما على الارتقاء بذواتَيْهما علميًّا وفكريًّا، وكان يهدي إليهما الكتب الفكرية، ويجلس معهما في أوقات الفسحة وفي حصص الرياضة والتربية الموسيقية اللتين ما كان قلباهما ليميلا إليهما. كذلك، اهتم بهما المدرس خارج المدرسة، وكان يزورهما في بيتيهما، ويصطحبهما في بعض الأحيان لزيارة بعض أصدقائه من مدرسين وموظفين آخرين ممن لديهم اهتمامات بالدعوة والفكر.

كان المدرس يشجعهما على البذل والعطاء، وأسَّس معهما جماعة العمل التطوعي، واستطاعا أن يُقنِعا عددًا كبيرًا من الطلاب للانضمام إليها، وكانت هذه الجماعة تقوم بأنشطة مختلفة موجهة لخدمة الطلاب في المدارس والمجتمع بشكل عام. وكان من أهم أهداف الجماعة هو تحفيز الطلاب على الاهتمام بالدراسة، وعلى الارتقاء بالمعرفة والسلوكيات، وتحفيزهم على البذل والعطاء من خلال القيام بمشاريع مختلفة لخدمة المجتمع. وكانت هذه الجماعة تقيم في بعض الأحيان رحلات ومعسكرات، وكان الطلاب يتشوقون لمثل هذه الأنشطة.

لم يكن مدرس التربية الإسلامية هو الشخص الوحيد الفاعل في هذه الجماعة، وإنما كان يشاركه أيضًا مدرس التاريخ، الذي كان الطلاب يرتاحون إليه كثيرًا لعلمه وأسلوبه؛ فهو لا يجلس مجلسًا إلا ويسرد لهم الحكايات والوقائع والقصص التاريخية، ويستنبط لهم من خلالها العبر والعظات، وكان

(XI) بدأ عود محمد العلمي والفكري والجدي يشتد ويقوى، وحتى أبوه والدكتور لاحظا عليه ذلك العقيد وخاصة في جلساته الحوارية المتكررة مع إخوته خلال وجبة. قال له والده يومًا: ماشاء الله، لقد أصبحت معلمًا ومربيًا يا ولدي. أما أمه فكانت كلما رأت فيه ملامح الرجولة تنضج يومًا بعد يوم تدعوه بقولها: يا حظ من يستر وجلك يا حبيبي. لكن محمد أدرك حياءً يا حظ سيماء. هكذا علمته حياته فوكزها محمد. من جيل بدأ يخاف من نظرات سيماء خوفًا من أن يلحظ منه سلام ذلك فقد كان شديد الغيرة على أخواته.

(XII) كل هذا جرّ عليهما - وخاصة سالم - بعض المشاكل مع الطلاب وحتى مع بعض المدرسين. قال هذا الأستاذ الموسيقي يومًا لسالم: هل ستبقى في غرفة الأستاذ سامة، فنهره سالم مفزلة فأراد أن يقبضه فقال: فقط عندما يزيد قيافي الليل سويًا. وجاء خلود - كما يناديه زملاؤه - يومًا وقال لمحمد: أريد أن أنضم إلى جماعتك، فابتسم إليه ورحّب به، وفعلًا انضم الشاعبوت الذين يترأسهم حالًا وسُمّيت بجماعة أهل التطوع.

(XIII) في إحدى الزيارات التي قام بها محمد وسالم بحضور رئيس جامعة البيان الأهلية، ووجد فيه شخصية عظيمة لقد كان واضحًا أن محمدًا لن يترك هذه تجمع بين العلم والتواضع. هل تفكر في دخول الجامعة؟ سأل الدكتور إياد محمدًا. الجواب على سؤاله حول شروط الدخول إلى جامعة البيان، لم يرد أن يستأثر بالحديث إياد فأعطاه ردًا مقتضبًا: هذا يعتمد على النسبة التي سأحصل عليها. بقي محمد وسالم يتكلمان عن هذه الزيارة والوجوه التي تشرفا بالتعرف عليها لأول مرة، حتى أن والدهما عرفا بتفاصيل تلك الزيارة وأعاداها حتى في كيف تحدث الدكتور إياد وهو يحتسي الشاي، وكيف أن إياد أسامة أزاح عينيه عن وجه الدكتور عندما فاجأه بقيامه بتقبيل يد أبيه. لله محمد ما أقوى فطنته، أذهلت جميع الحاضرين حتى أن الدكتور إياد تلعثم في الإجابة مرة: طبعًا أمريكا. هكذا حذف محمد سؤاله مما أحرجه ضحك بقية العشرات الذين كانوا يحضرون ذلك المجلس التعليمي.

ذهل محمد وسالم من روعة البناء المعماري الحديث في منزل - أو بالأحرى قصر - الدكتور إياد، ولم يبرح عينا سالم وهما يتجولان في بهو الاستقبال الواسع بديع الأسطوانات المزخرفة بأجمل النقوش الذهبية والفضية الواسعة بالإضافة إلى السجاد الإيراني الذي تمتزج فيه روعة الألوان بديع الأشكال المزينة بالآيات القرآنية الهندسية البديعة. وأما محمد فسرعان ما تحول بصره إلى الدكتور إياد الذي يبعث في نفسه الهيبة والجلال، ولم يتمالك الأستاذ أسامة إلا أن يخفض رأسه وجهه حياءً.

هكذا أراد أن يكون محمد قد سيطر في نفس الدكتور إياد من سؤاله هذا. بدا له الدكتور الموقف فقال: إحدى أهم أسباب تفوق أمريكا - أي أمريكان - قد سبقونا في مضمار العلم عندما أن جامعاتنا أصبحت على شاكلة جامعاتهم.

الملابسة لتتردد أن يكشف عن معينك.

ويربط كل ذلك بأمتهم وواقعهم، ويحفزهم من خلال تلك القصص على أن يَصِلوا إلى المراتب التي وصلت إليها شخصيات تلك القصص.

أحسَّ جميعُ مَن في المدرسة بأن واقع المدرسة الثانوية قد تغير، وأحسَّ أولياء الأمور بذلك أيضًا؛ فقد تحسَّن المستوى الدراسي لمعظم الطلاب، وبدأت الأنشطة الثقافية والعلمية والرياضية والرحلات والمعسكرات تتزايد، وبدأ التفاعل الكبير بين المدرسة والمجتمع.

لم تُلهِ هذه الأنشطة والاهتمامات محمدًا وسالمًا ولا غيرهما من الطلاب عن دراستهم، حيث كان من خطة جماعة العمل التطوعي أن يتساعد الطلاب جميعهم في مذاكرة الدروس وتفهيمها لبعضهم البعض، وكان من أنشطة الجماعة إعداد بعض دروس التقوية التي كان يقوم بها بعض المتطوعين من المدرسين والطلاب وغيرهم من أفراد المجتمع، الذين أحسُّوا هم أيضًا بمكانة هذه الجماعة وأهميتها ودورها الرائد الذي تقوم به في المدرسة والمجتمع بشكل عام.

تزايد اهتمام الجماعة بالنواحي التعليمية والدراسية، وخاصة عندما وصل الطلاب إلى السنة الأخيرة في المرحلة الثانوية، فهم يعلمون أن ما سيحصل عليه الطلاب في هذا العام سيُحدِّد مصيرهم الدراسي- والوظيفي فيما بعد-، وسيُحدِّد أيضًا مكانتهم في المجتمع. وكان ما يقوم به مدرس التربية الإسلامية ومدرس التاريخ وغيرهما من المدرسين وأفراد المجتمع النشيطين هو غرس فكر البناء والعطاء في أذهان الطلاب من خلال التميُّز الدراسي، وكان الطلاب يقضون الساعات الطوال في مذاكرة دروسهم، وفي مساعدة بعضهم البعض، وحاول المدرسون وغيرهم من نشطاء المجتمع أن يبعثوا في نفوس الطلاب مفهوم المنافسة الشريفة دون حسد أو حقد على بعضهم البعض.

لقد استطاع المدرسون أن يغرسوا في أذهان طلابهم أن تفوقهم الدراسي لن يتأتى لهم إلا بما يقدمونه لزملائهم الطلاب من مساعدات في مذاكرة دروسهم، وكان الطلاب المتفوقون يتنافسون في هذا المجال، ويُرتِّبون الاجتماعات مع زملائهم الآخرين لتدريسهم، وكان هذا يتطلب منهم هم أيضًا على مذاكرة الدروس وحل المسائل أولًا بأول. وبالطبع، كان المدرسون معهم يدًا واحدة، يُبسِّطون لهم ما يصعب عليهم فهمه من مسائل، ويشرحون لهم ما يستعصي عليهم حله.

(X1) لقد أصبح مألوفاً لدى الناس أنه لا تأتي مناسبة دينية أو وطنية إلا وتقوم الجماعة بعمل احتفالاً يليق بتلك المناسبة، وجعلت الجماعة من ضروريات عضويتك مشاركة الطلاب في تقديم فقرات هذه الاحتفالات. ورغم أن محمداً وسالماً لم يظهرا كبيراً في تقديم الفقرات، غير أنه غالبية المدرسين وبعض أفراد المجتمع كانوا يدركون أنهم وراء نجاح تلك الفعاليات.

من جميل ما صنع محمد أيضاً أنه نقل بعض تلك الأنشطة إلى داخل أسرته وأحياناً تشترك معهم أسرة سالم. تهدف من فعل ذلك تطوير مهارات وقدرات أفراد أسرته، بما فيهم أبيه وأمه. لا أدري يا ولدي ماذا أقول، هكذا أرادت هذه الجدة أن تقدم له عندما طلب منها أن تقدم كلمة في احتفالية الأسرة بالمولد النبوي، لكن سرعان ما شجعت الأم وصارت تشارك في كل مناسبة. وأما علي فقد أعجبته فكرة توزيع الجوائز على المشاركين من أفراد أسرته، وتطوع بأنه تكون تكاليف تلك الجوائز على نفقته.

وفي بيت سالم أعجبت أخواته بفكرة تقديم المرحبات والكلمات في بعض الاحتفالات التي يقترح سالم عليهم إقامتها. لكنهم تفاعل والديه لم يكن بذاك القدر، وإنما اكتفيا بالحضور وتحمل نفقات الحفل. وعندما تشترك الأسرة في عمل واحد تضيع مهابة الوالدين أثر تجليلاً فغالباً ما يعتذران عن المشاركة في تقديم الفقرات التي تضحك محمد وسالم.

(X2) خصص محمد لجدته غرفة في بيته للذكرى، واستطاع أن يقنع إخوته بالبقاء فيها مع مراعاة الهدوء. تفاعلت الأسرة مع هذا الجو، وقلت من زيارتها كطيارة وصديقاتها، وتقوّل اهتمامها إلى الجلوس مع أولادها ولساني لا يفتر عن التمتمة بالدعاء لهم، وتقوّد الأولاد أنه تفاهم بينه الصين والآخر بوجبة خفيفة يحبونها أو كعكة تزيغ أعينهم عند رؤيتها. ورغم أنه علي علياً كان يعود منهل الفواكه من عمله، غير أنه خصص فترة ما بعد صلاة المغرب أيضاً للجلوس معهم، وقلل من متابعة أخبار المسامرة أو برنامج "صباح اليوم" الذي يقوّد على الإنام بدون مشاهدته.

لقد بدى واضحًا من نتائج نصف العام أن معظم مراكز الأوائل على مستوى المملكة سيكتسِحُها طلاب هذه المدرسة، وكان الجميع لا يشك بأن محمدًا وسالمًا سيُحرزان مركزين متقدِّمين. عندما اقترب العام من نهايته زاد اهتمام محمد وسالم بالدراسة، ولكنهما في الوقت نفسه لم يغفلا عن دورهما الريادي في جماعة العمل التطوعي. جاءت امتحانات الثانوية العامة، ودخلاها وهما منشرحا الصدر، واثقان من أنفسهما لمعرفتهما بما بذلاه من جد واجتهاد طول أيام السنة.

في يوم إعلان النتائج رتب مدرسا التربية الإسلامية والتاريخ حفلًا تكريميًّا لطلاب الجماعة، ووقَّتوه بالوقت الذي ستُعلن فيه النتائج في المذياع. عندما بدأ المذيع يسرد أسماء الطلاب الذين حصلوا على المراكز الأولى على مستوى المملكة لم يصدق المدرسون ولا الطلاب ما سمعوه؛ فقد اكتسح محمد وسالم وطالب آخر من المدرسة نفسها المراكز الثلاثة الأولى على مستوى المملكة، وحصل بعض زملائهم على مراكز أخرى في العشرة الأوائل.

لاحظ تكرار "كان" و "كانت"، حتى لو كانت الرواية في الماضي إلا أنك تستطيع صياغة بعض أحداثها في الحاضر

لقد كان ذلك الحفل جديرًا بأن يقام، واستمتع الطلاب فيه بنشوة التفوق، وبالتهاني والتبريكات التي كانت تنصب عليهم من مدرسيهم وزملائهم. وعندما سمع مدير المدرسة بالنتائج اتصل بعدد من المدرسين، وكان قد علم باجتماع جماعة العمل التطوعي للاحتفال بهذا التفوق، فرتب مع مدرسين آخرين للمشاركة في هذا الحفل، واتصل أيضًا بكثير من أولياء الأمور ليشاركوا أبناءهم هذه الفرحة، وكان من بين المدعوين والدا محمد وسالم. قضى الجميع قسطًا كبيرًا من تلك الليلة في الاستمتاع بذلك الحفل.

جميل لو تسهب هنا في ملامح الغرس والسعادة وأثر هذه الاحتفالات في نفسيهما
لقد كان حصول محمد على المركز الأول في الثانوية العامة على مستوى المملكة، وحصول سالم على المركز الثاني أمرًا بالغ الأهمية بالنسبة لأسرتَيْ محمد وسالم، ولم تكتفِ الأسرتان بالاحتفال الذي أقيم في المدرسة، وإنما أقامت كلٌّ منهما احتفالًا رائعًا، دَعَوْنا فيه الأقارب والجيران والأصدقاء، وجاء

(X1) وضع محمد برنامجًا لمذاكرته بعد صلاة العصر، فكان يبقى في المسجد لما صلاة العشاء، ثم يعود إلى البيت ويتناول عشاءه مع أسرته، ثم يبقى في غرفة المذاكرة إلى قرب منتصف الليل. كان إخوته نادرًا ما يبقون بعد العشاء، وأما والداه فصارا يقضيان ساعات أول الليل في الصالة، يتحدثان أحيانًا عن نتائج الثانوية وما بعدها، وأحيانًا يشاهدان نشرة الأخبار وصوت التلفاز لا يكاد أن يخرج عن جدران تلك الصالة. وعندما يغلب النوم عليًا يتوجه إلى سريره أو ينام على الكنبة. أما خديجة فتأخذ بيد الحين والآخر ثوب عصير أو شاي وبعض البسكويت إلى غرفة المذاكرة وتضعه على منضدة محمد وترمقه بعينيها العابثتين وابتسامتها الرقيقة، فيرفع رأسه ويرد بكلمات مقتضبة: شكرًا، بارك الله فيك، أحسن يا أماه.

وعندما اقترب العام من نهايته لم يفارق سالم غرفة محمد وباتت أصوات الحوارات والمجادلات وتسمع المحفوظات شيئًا مألوفًا في بيت علي، وأحيانًا يتفاجأ علي وخديجة بزيارات سعيد وعفراء وهما يتفقدان ولدهما. امتدت ساعات المذاكرة في الإجازات الأسبوعية إلى الظهر، ثم يعود كل منهما إلى غرفته، وبعد استيقاظهما عند العاشرة يتناولان إفطارهما بسرعة خاطفة ثم ينغمسان بين الكتب. لقد بدى أن التوتر والقلق لم يكن فقط قرين الشابين في هذه الفترة وإنما الأبوين أيضًا، وإنه كان لدرجة أقل في أسرة سعيد نظرًا لتوفر المادة لديه وعدم قلقه من مستقبل ابنه كثيرًا.

(X2) كانت الأسر في غالبية بيوت القرية، بل وفي معظم بيوت المملكة، تتحلق أمام التلفاز ولا تكاد أن تسمع شيئًا من الضوضاء وتعالي الأصوات وأفراد الأسرة يتقربون لبعضهم البعض عبر هذه المناسبة، وما يتوقعونه من نتائج، ومن سيكون الأول على المملكة، وأحيانًا يتطرق الحديث حول صعوبة الامتحانات ومحاولات بعض الطلبة الغش في ZNP7. كان قلبا محمد وسالم يخفقان من الخلاف. لم يكن يخفى عليهما أن هذا سيحدث يومًا ما. ليس الآن، هكذا صرف محمد أخته أروى عندما جاءته ليشغل لها التلفاز. نظر إليه بابتسامة تفهم ما كان يدور في خلد محمد. هل يا ترى سيكون من الأوائل على المملكة؟ أم أن الدرجات التي تحصل عليها في مدرستنا مضخمة ولا تعبر عن مستوانا الحقيقي بين طلاب المملكة؟ وجه سؤاله لسالم هذا الصباح ولكنه سالمًا كان هو الآخر في قلق مثلما كان يقلق سالمًا ليس بذاك الذي يجعل محمد مضطربًا. كان فكر سالم ينحصر في الحصول على وظيفة مرموقة وبدون النتائج العالية لن يتأتى له ذلك، وقد تضيع الكثير من أحلامه إن اضطر للعمل في وظيفة لا تناسبه، أما محمد فكثيرًا ما كان يقول لصديقه: إن الجامعات المرموقة في أمريكا لن تقبل إلا الحاصلين على درجات الامتياز في الثانوية. وعندما رد عليه سالم: لا تأس، فطلاب جامعات أمريكية، تقرأ له محمد بشر وقال له: مكانة الجامعة وسمعتها تعني مستقبلي. لقد كان ينظر إلى ما بعد التخرج من الجامعة. ZNP3.

(X3) وإذا أنه يجلها في المسجد لولا ازدحامه بالطلاب في هذه الفترة، بات منظر الصفوف الطويلة في الصلوات مألوفًا لدى الأهالي؛ فمعظم الطلاب حرصوا على المذاكرة في المسجد وأداء الصلوات في الجماعة، وحرص بعضهم على النوافل الطويلة والدعاء والذكر، وما إن تبدأ الامتحانات حتى تبدأ الصفوف في التناقص. رغبة محمد وسالم للمذاكرة في المنزل ليس لمجرد تجنيل الامتحانات النهائية تحاصرهم الضوضاء التي يحدثها الطلاب في المسجد ولكنه أيضًا لتفادي تضييع وقتهما في كثرة رجوع الطلاب إليهما لاستيضاح المسائل والإجابة عن الأسئلة.

الجميع بالتهنئة والهدايا لمحمد وسام.

كان الشغل الشاغل لمحمد بعد تفوقه في الثانوية هو تحقيق حلمه الذي بدأ ينمو منذ أن التحق بالثانوية. لقد رسخت في ذهن محمد أنْ لا سبيل لإعزاز الأمة ورفعة لوائها وانتشالها من الضياع والهوان الذي تعيش فيه إلا من خلال التفوق والتميز، وها هو قد حقق المرحلة الأولى من مراحل تحقيق حلمه الكبير، وهو أن يكون من مشاهير العالم في علوم الفضاء، وقد حفَّزه على اختيار هذا التخصص أستاذ التربية الإسلامية وأستاذ الفيزياء، فقد كان أستاذ التربية الإسلامية يقول له دومًا: يا محمد، إني أرى فيك قدرات وإمكانيات امتنَّ بها المولى- عز وجل- عليك، واختصك بها دون سائر أقرانك، وعليك أن تستخدمها في ما يرضي الله- سبحانه وتعالى- وفيما يحقق لهذه الأمة المجد والسُّؤْدَد.

وكان محمد كثيرًا ما يجلس مع مدرس التربية الإسلامية، ويتناقش معه ما يمكن أن يفعله في أيام دراسته في الثانوية وبعد الثانوية، وكان من توصيات المدرس له أن العالم قد أصبح يتنافس في علوم كثيرة، والأمة الإسلامية لا تعي من تلك العلوم إلا مسمياتها. أما التطبيق والواقع فإنه بعيد جدًّا عما هو عليه في الأمم الأخرى، ولذلك فإن النبوغ والتميُّز في مجالٍ من المجالات التي يمكن أن ترفع من شأن الأمة وعزتها لهو من أوجب الواجبات.

كانت هذه الكلمات دومًا ترفع من معنويات محمد، وتحفِّزه على تكريس المذاكرة، وعلى زيادة تلهفه وشوقه لمعرفة كل ما هو جديد. وكان أحد أساليبه هو التردد على مدرسيه والجلوس معهم والحديث حول تخصصاتهم. وكان مما يثير اهتمام محمد ما كان يخبره به مدرس الفيزياء من التقدم الهائل الذي تم تحقيقه في العصور المتأخرة في علوم الفضاء، وكان محمد دومًا يسأل مدرس الفيزياء عن نماذج من الأمة الإسلامية، سواءً من العلماء أو المشاريع أو الدراسات التي تَنْصَبُّ في علم الفضاء، وكان مدرس الفيزياء في كل مرة يتسم ويقول لمحمد: يا ابني، أنت تسأل عن أمور لا توجد في هذا العالم؛ فحصيلتنا كأمة إسلامية من علوم الشرق والغرب لا تَسُرُّ، وإنما هي فقط مجرد محاولات بسيطة ومتواضعة لبعض المخلصين من أبناء هذه الأمة.

وكان يقول له أيضًا: وإذا كان الحال بالنسبة للعلوم الأخرى هو سيئ في واقع هذه الأمة، فإن حال الأمة الإسلامية في علوم الفضاء ليندى له الجبين؛ فنادرًا ما تجد اهتمامات فردية أو حكومية

ما إن سمع محمد صوته حتى قفز واحتضن أخاه طويلًا ما وقامت خديجة واحتضنتهما وتلقى عليه كلمات التهنئة مقرونة بحمد الله والدموع تنهمل من عينيها. أما علي فقد بقي ينتظر دوره ثم ضم ابنه إلى صدره وظلا لعدة دقائق وهما متعانقان. قامت أسية وعانقت زوجها وابنها أخاهما بحرارة. لقد ساد [illegible] داخل البيت حالة من الفرح والحركة

ثم سأل محمدًا أن يتبعه وسأل: ماذا جرى له؟ لم يكن هو الأخ الأكبر في أسرة كبيرة وغراء عندما ولد محمد. كان الأبوان لا يشكان أن ابنهما سيكون هو الأول في المملكة رغم ذكاء سالم بدون محمد من الفهم والذكاء. وعندما أطلق على اسم محمد نفرت مشاعر الأبوين حتى أن سالمًا عندما سمع اسمه لم يجد إلا احتضان أخوانه. وبعد فترة من الزمن تقدما بالتوالي ولكن عند سالم كسنين جاء الأبوان بتعاقل واحتضناه وهنآه.

الأول: هو لحق ذلك أكرمني ما رد سالم. ولكنه بذل جهدًا أكرمه ما عقبا أبوه. الحمد لله أني حصلت على المركز الثاني في المملكة. وهذا يكفي شرفًا وفخرًا؟ أسكت سالم أبواه ما فقضا قضت الأخوان كغيرها من الأسر تلك الليلة في احتفالات وأنواع الفاكهة. كذلك، فقد تبادلت الأسر المكالمات الهاتفية وهي تزف بنجاح أبناء وبنات ذويها الفرحة والبهجة والمشعشة بها مسجلات الفاكهة والسرور. وأما خديجة فقد انتقت بعض الأناشيد الإسلامية التي قيل لها أي يمثل هذه المناسبة. لم تنم تلك الليلة أسرة محمد؛ فعبر أن تناول الوالدان كوب عصير وقطعة كعك وخلافه إلى غرفتهما ومشاعر الحزن والبؤس واضحة على الأولاد. الشخص الوحيد الذي بقي في الشرفة عامرة منذ إعلان اسم محمد هي خديجة والدتها بانتظار بقية عائلتها في مجلسها ولكنها لانتظار تسمع شيئًا مما يجري في الصالة؛ فقد كان عليها بقيت طابت نفسي محمد تلك الليلة ما ودخل إلى غرفتهم منهوكًا؛ فهو لم ينم منذ أن استيقظ لصلاة الفجر. لكنه مشاعر الحب قد [illegible] هاجت لديه عندما أراد أن يسلم نفسه للنوم. ماذا عساها فعلت عندما سمعت اسمه؟ فالجميع نفسه. [illegible] هل يا ترى [illegible] لذلك؟ أراد أن يذهب إليها فيسأل منها إجابات ولكنه منعه حياء؛ فالساعة قد قاربت الثانية عشرة [illegible] فلا بد أنها قد نامت. لكنه تمالك نفسه وقضى الليل وهي تتململ في فراشها وأحيانًا تختلس نظرات خاطفة نحو أختيها اللتين [illegible] الغرفة خشية أن يفوتها ما يدور بداخلها فيبوحا بشيء من ذلك لأمهما، ولكنهما لم يدرجا على ذلك.

بعد إعلان النتائج بدقائق اتصل مدير المدرسة التربية الإسلامية والتاريخ فورًا محمدًا ثم تحادثا مع والده فيما، وكذلك فعل مدير [illegible] وتحادثوا بمثل ذلك لسالم وأبيه وبقية الطلاب المتفوقين. [illegible]

مشاعر ما زالت متأثرة

(N1)

في صباح اليوم التالي ذهب محمد إلى بيت [illegible] وبالأمس بقيت [illegible] ليس على المال الذي يبقى [illegible] ما زال متأثرًا بما أحسه من تفاني والديه لعدم تحقيقه المركز الأول. لذلك فإن [illegible] محمد حتى اشتهى [illegible] وفعلًا تم أدخالهما إلى مجلس الرجال خشية أن يعرفا والداه بقدومه فيعبر أحمد شيء مما يجول في صدريهما. لكنه سعيدًا كما هو حاذقًا لبيبًا [illegible] وتم [illegible] إلا أنه طالما علم بقدوم محمد دخل المجلس

N1 ~~اتصل محمد بأبيه بعد صلاة الفجر وفي اليوم التالي، وبعد صلاة الفجر مباشرة اتصل محمد بأبيه~~ في اليوم التالي، بعد أن سلم لصلاة الفجر، هاتف إبراهيم عماد محمد أباه حتى اتصل به ليطمئن عليه وعلى بيته. رن الهاتف فأسرعت إليه وكأنها عرفت المتصل. السلام عليكم. بصوت خافت خشية أن يسمع أحد ردت رحماء. عرف صوتها وسرعان ما تقالت نبضات قلبه ~~وكادت~~ وكادت حماة الهاتف أن تسقط من يده. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. ~~وكاد قلبه يرقص~~ طربا، ولكنه خشي أن يتنبه أحد إخوته لطريقته فرد هو الآخر بصوت خافت. ما إن سمعت صوته حتى عرفته أيقنا فلم تتمالك من الفرحة ونسيت من حولها، قالت له: مرحبا محمد، مبارك عليك. الله يبارك فيك وعقبال الباقي يا رب. همس لها أذنيك بصوت بالكاد أن تسمعه. أرادت أن تتمادى في الحديث معه ولكن خافت من أن يسمع أحد، فردّ عليه: لطفا، تركت الساعة ونادت أخاها. أحمد تريده، تصنعت وكأنها لم تعرفه. هناه محمد ثم قال له: ~~لطفا~~ أود زيارتك. تفضل، ردّ سالم بسرعة، وكأنه يريد تفريغ همومه مع من ~~و~~ لكن هيهات أن تفوت على سالم ~~NP2~~ تراه معه معظم حياته.

أسرع إلى بيت سالم، أو بالأحرى بيت رحماء، وصوتها وصورتها لا تفارقان خياله، لقد كان في عالم آخر حتى أنه نسي أن يخبر أحدا من أهله بذهابه إلى بيت صديقه. عندما فتح له الباب ~~عرف~~ عرف من نظراته ونبرة صوته أنه

N2 قبل أن يعلق يسمع طرق الباب طرقا خفيفا، قام سالم ~~ليرى~~ يرى من بالباب ~~فوجد~~ فوجد محمد ببهرة ~~وشعر~~ وشعر محمد في عالم من البهجة ~~وهو يتمتم~~ وهو يتمتم ببعض كلمات الشكر العارمة.

N3 وهي مطأطأة الرأس، رفعت بصرها قليلا، ورمقته بعينين دامعتين، لقد كان قلبها يرفرف. ~~فقالت~~ فقالت بابتسامة: مبارك عليك. لم يتوقع أن يراها، فقال: الله يبارك فيك أيضا. ~~حبست~~ حبست بقايا دموعها تنظر كلا منهما للآخر ثم أدارت ظهرها ودخلت. ~~مكثت~~ مكثت طويلا ~~فضفاضا~~ فضفاضا كانت ترتدي ثوبا وردي ~~يصل~~ يصل إلى أسفل قدميها ~~وتعلوه~~ وتعلوه حجاب ~~خفيف~~ بنفسجي خفيف.

~~صاحبته~~ انتبه محمد من سرحانه ثم قال وكلمات لا تكاد أن تخرج من فيه: ~~لطفا~~ من؟ حياء، ردّ سالم، لطفا ما إن سمعت البارحة اسمه حتى صرخت. يبدو أن ~~ردّ~~ ردّ محمد خبث، بل تحيل، صدمته هذه الإجابة فتألم رأسه وتحيل كثيرا. تمنى محمد لو يواصل هذا الحديث لساعات ولكنه غلبه الحياء فقد ~~قال~~ له الأمر قائلا: وماذا عنك؟ أراه متأثرا كثيرا. من مشاعر بسيطة ثم تجلي، هكذا ردّ سالم وهو ينهض ليعود من الداخل بعض حوائجه ولعلكة جميلة، علكة حماء وأخواتها في إعدادها بعد صلاة الفجر مباشرة. ~~كان يعد~~ ~~غرفته~~ ~~الكعكة~~. عمر سالم في وجه صديقه وهو يفتح اللعكة بين يديه. ~~وكان~~ وماذا عن هذه؟ ربما أراد أن يباهي به أمامي، ابتسم محمد وهو يلتقي هذه الكلمات ~~بحماسة~~ وردّ سالم: نعم أراد أن يباهي به أمامي. حاول محمد مرة أخرى أن يصرف الحديث إلى أمر آخر فتساءل: وما هي خطوتك التالية؟ فردّ ~~عليه~~ ما زال ~~يحاول~~ وكأنه لم يفهم مقصده: الرأي الراجح ليس لي. ضحك محمد وهو يقذف السائل بحبة عنب: أقصد ماذا ستفعل بعد أن ظهرت النتائج؟ تأوه محمد قليلا ~~ثم قال~~: يريد أن أواصل الدراسة. وماذا عنك؟ أردف محمد، فهز سالم منكبه: أكره الدراسة. ~~ثم أجب وأنت أتعلم أن~~ وماذا عن طموحاتك؟ ~~وماذا~~ سؤال الأستاذ أسامة؟ ~~ضحك~~ عقب سالم: لا أرى الدراسة ستحقق لي ما أريد، ثم أتبع: وأنت؟ ~~نظر~~ نظر إليه محمد باستغراب: أنت تعلم أني لم أفرط في أحلامي لحظة واحدة. سادهدوء ~~أذهبت~~ أذهبت عنه محمد ما كان يجده من مشاعر عاطفية. تناول الكعك وبعض الفواكه، ثم استأذنه محمد بالانصراف وكأنه تأثر سرعة تغير همومه.

N4 ~~طلب~~ يبحث محمد هذا السر لأحد، حتى صديقه سالم لم يعرف عنه ذلك إلا عندما زاره مرة وقد اشترى ~~عشرة~~ كتبا تتكلم عن علوم الفضاء، فقال له: يبدو عليك أنك تريد أن تكون عالم فضاء، فاكتفى محمد بالابتسامة ~~ولم يكتف~~ ولم يكتف بقراءة الكتب وإنما أكثر من ارتياد مكتبة المدرسة، وأحيانا كان يأتي أستاذ أسامة يصطحبه إلى مكتبة جامعة البيان ويستعير له بعض الكتب المتوافرة هناك. ← to (XI) in (7)

N5 فاجأها أخوها: محمد جاي لعندنا بكرة. ارتبكت محمد وقالت نبضات قلبها ~~تعلم~~ ~~ما يقول~~ فلا يدري ما يقول. عرف سالم حراجة الموقف فتدخل قائلا: محمد جاي لبيتنا، ~~علم~~ علم عدم رده لرسائل. صعقت رحماء من هول ما سمعت. لم يخلها طويلة أن أحدا من البيت يعلم عما وقع له. أجبر وجهها وكست أرضها حتى لا يلاحظ وجهها أنه يرى. في تلك الرهلة التي أحدثها سالم انطلقت متعثرة من فيه محمد وكأنها تبون تفكير: أبا أحمد، سمعت الكلمات فؤاد ارتباكا ~~ملاحظا~~ ~~ما~~ هل يعتقد هذا الأخير أن يتعمد صداقة مريب؟ ~~لطف~~ لطف الصدفة فجر: إما أنه تشكلها أو أخرج ما تركها.

N7 مذهولا ما قبل يخطر بباله أن سالما ذهب ليحضر أخته

بلدان العالم الإسلامي، ولكن هذا لا يمنع يا ولدي أن يبزغ من بين أبناء الأمة من أمثالكم من يَقْلِب موازين الواقع، ويجعل للأمة نصيبًا بين الأمم في علم الفضاء وفي العلوم الأخرى. كذلك، فلا تنس يا ولدي بأن العديد من أبناء الأمة قد آلمهم واقع أمتهم، وأحرق أكبادهم ما يشاهدونه ويسمعونه من أحوال الأمة وجهلها وتخلفها، ولذلك لم يَرَوْا بُدًّا من هَجْر أوطانهم والفرار إلى مراتع العلم والحضارة، فلعلهم في تصرفهم هذا يمكن أن يحققوا شيئًا ولو كان لأنفسهم فقط.

كان محمد يستمع إلى كلمات مدرسيه وهو يجول بفكره إلى مستقبله الذي يراه منيرًا براقًا، وكانت كلماتهم المحفزة تجعله يطير بجناحي شوق وتلهف إلى ما بعد الثانوية، فإنه يريد فعلًا أن يبدأ حياةً تختلف عن حياة غالبية أبناء أمته. وكان لا ينسى أن يستنير بأفكار ونصائح مدرسيه، فكان كثيرًا ما يتناقش معهم عن التخصص الذي يمكن أن يدرسه بعد تخرجه من الثانوية، والبلد الذي يمكن أن يحتضنه أيام دراسته الجامعية.

أما نصائح مدرسيه فقد كانت تتفاوت بحسب تخصصاتهم، وبما يسمعونه عن الدول العربية والإسلامية والأجنبية، وكان البعض يقترح عليه أن يدرس داخل المملكة، وإن أحب البُعد قليلًا فلتكن دولة عربية أو إسلامية، وكان هؤلاء لا يشجعونه على الدراسة في دول الغرب والشرق لما فيها من منكرات، ولصعوبة العيش فيها والتغرُّب عن الأوطان، وأيضًا لاحتمالية قيام تلك الدول باستغلال العقول المتميزة لما يخدم مصالحها.

جميل أن تشير إلى ذلك (أي ما قام به مدرس التربية الإسلامية المذكور في الفقرة التالية) خلال وصوله إلى أمريكا أو وجوده فيها من باب الترابط الفني من جهة ورد الجميل لأستاذ التربية الإسلامية من جهة أخرى.

أما مدرس التربية الإسلامية ومدرس الفيزياء فقد شجَّعاه على الحصول على بعثة دراسية إلى أمريكا، وأن يدرس في واحدة من أشهر جامعاتها، وكانا يساعدانه في الحصول على معلومات عن جامعات أمريكا الشهيرة، وخاصة في علوم الفضاء. وكان مدرس التربية الإسلامية، وخاصة في السنة الأخيرة، يراسل بعض المراكز الإسلامية في أمريكا، ويسألهم عن واقع المسلمين هنالك، وعن الصعوبات

والتحديات التي قد تواجه الطلاب الذين يفِدون إلى أمريكا من الدول العربية. وكان مدرس التربية الإسلامية ينقل تلك المعلومات أولًا بأول إلى محمد، ويُعرِّفه على تلك المراكز الإسلامية، وعلى الدعاة والعاملين في الحقل الإسلامي الذين استقروا على أرض أمريكا واتخذوا الدعوة والاهتمام بشؤون المسلمين حِرفة لهم. لذلك لم تنته الثانوية العامة إلا وقد تشكلت لدى محمد خطة واضحة لما يريد أن يحققه بعد الثانوية، فهو يرمي للحصول على بعثة دراسية في علوم الفضاء في واحدة من أشهر جامعات أمريكا.

لقد كان اهتمام المدرسين به وتحفيزهم له سببًا في تفوقه الدراسي، وها هو الآن ينتظر بقلب متلهف ظهور نتائج الترشيحات في البعثات الخارجية. وكان اختياره الأول هو دراسة علم الفضاء بالنسبة للتخصص، والدراسة في جامعة هارفارد العريقة بالنسبة للجامعة. وحيث إنه يعلم أن ثمة أمورًا خارجة عن إرادته قد تحدث، وأنها قد تعيقه عن تحقيق حلمه، لذلك فإنه قد وضع البدائل الأخرى حيث عزم على دراسة الفيزياء النووية أو علم الجينات إن لم يحصل على فرصة لدراسة علوم الفضاء.

ورغم أن هذا هو كان واقع محمد، وهذه كانت آماله وطموحاته، ورغم أن سالمًا كان لا يفارق محمدًا كثيرًا في آماله وطموحاته وفي اهتمامه الدراسي، إلا أن فكرة النهوض بالأمة والارتقاء بها لم تكن بتلك القوة التي كانت عند محمد، وكانت تدخل على فكره وخيالاته في أحيان كثيرة بجوانب مادية نظرًا لما تعيشه أسرته من الظروف المعيشية صعبة، فكان كثيرًا ما يطمح لأن يحقق لأسرته مستوىً معيشيًّا مرموقًا، يجعل لأسرته مكانتها وقيمتها في المجتمع.

جميل أن تستطرد هنا حول الظروف المعيشية التي تقف عائقًا أمام طالب العلم

أما والدا محمد فقد كان يحفزانه عليهما على تحقيق أحلامه وطموحاته فيما يتعلق بتفوقه الدراسي وتميزه العلمي، وكانا لا يَدَعان مجالًا لمحمد للتفكير في الظروف المعيشية التي تمر بها الأسرة، وكانا دومًا يقولان له بأن الله- سبحانه وتعالى- قد تكفل برعايتهم وتوفير احتياجاتهم طول السنين الماضية، وأنهما يوقنان- بدون أيِّ ريب- بأن الله- سبحانه وتعالى- لن يتخلى عنهم ما داموا يجتهدون في طاعته والعمل بمقتضى شريعته.

(X1) لم يعد محمد كعادته كل صيف إلى القرية الصغيرة التي يقضي فيها أجمل أيام طفولته مع أسرته وأقاربه، فقد آثر البقاء في القاهرة لمتابعة دراسته والاستعداد لامتحانات نهاية العام. وكان هذا القرار صعبًا عليه، فهو يحب الريف وهوائه النقي وحياته الهادئة البعيدة عن ضجيج المدينة وزحامها. ولكنه رأى أن التفوق في دراسته أهم من أي شيء آخر في هذه المرحلة من حياته.

وقد وجد محمد في غياب أسرته فرصة لم تكن متاحة له من قبل، فقرر أن يستغل وقته في القراءة والمطالعة، وأن يتعرف على أصدقاء جدد يشاركونه اهتماماته. وكان من بين هؤلاء الأصدقاء شاب يدعى سامي، يكبره بسنوات قليلة، وكان يعمل في مكتبة قريبة من منزل محمد. وقد توطدت بينهما علاقة صداقة سرعان ما تحولت إلى أخوة حقيقية، إذ وجد كل منهما في الآخر ما يبحث عنه من رفقة وتفاهم.

(X2) وكان سامي يشاركه حبه للقراءة، ويقترح عليه كتبًا جديدة كلما انتهى من قراءة كتاب. وكان محمد يثق في ذوق سامي ويأخذ برأيه في اختياراته، لأنه وجد فيه شخصًا يفهمه ويقدره. وقد قضى معه ساعات طويلة في المكتبة يتصفح الكتب ويتحدث عنها، وكان يشعر بالسعادة لأنه وجد من يشاركه شغفه بالقراءة.

وفي أحد الأيام، بينما كان محمد يتصفح كتابًا في المكتبة، لاحظ سامي أنه يقرأ بسرعة كبيرة، فسأله عن السبب. فأجابه محمد أنه يحاول أن يقرأ أكبر عدد ممكن من الكتب قبل أن تعود أسرته من القرية. فنصحه سامي بأن يقرأ بتمهل وتدبر، لأن القراءة السريعة قد تفوت عليه الكثير من المعاني والأفكار. فشكره محمد على نصيحته، وقرر أن يأخذ بها.

وبعد أيام قليلة، عادت أسرة محمد من القرية، فاستقبلهم بفرح كبير. وأخبرهم عن صديقه الجديد سامي، وعن الكتب التي قرأها معه. فرحبت والدته بسامي، ودعته لزيارتهم في المنزل. وقد زار سامي منزل محمد بالفعل، وقضى معه ساعات طويلة في الحديث عن الكتب والقراءة. وكان محمد سعيدًا بهذه الزيارة، لأنه رأى أن صديقه الجديد يحظى بإعجاب أسرته.

ومنذ ذلك اليوم، أصبح سامي جزءًا من حياة محمد، وكان يزوره في منزله بين الحين والآخر. وكان محمد يستعير منه الكتب، ويناقشه في أفكارها. وقد ساعده سامي كثيرًا في دراسته، وأعطاه نصائح قيمة حول كيفية الاستعداد للامتحانات. وبفضل هذه النصائح، حقق محمد نتائج ممتازة في نهاية العام، وكان سعيدًا بنجاحه.

وهكذا، تعلم محمد أن الصداقة الحقيقية هي التي تقوم على الاحترام المتبادل والتفاهم، وأن الأصدقاء الجيدين هم الذين يساعدون بعضهم البعض على النمو والتطور. وقد حافظ محمد على صداقته مع سامي لسنوات طويلة، وظل يعتبره من أعز أصدقائه.

N1 ~~اتصل محمد بأبيه بعد صلاة الفجر وفي اليوم التالي، وبعد صلاة الفجر مباشرة اتصل محمد بأبيه~~ في اليوم التالي، بعد أن سلم لصلاة الفجر، هاتف إبراهيم عماد محمد أباه حتى اتصل به ليطمئن عليه وعلى بيته. رن الهاتف فأسرعت إليه وكأنها عرفت المتصل. السلام عليكم. بصوت خافت خشية أن يسمع أحد ردت رحماء. عرف صوتها وسرعان ما تقالت نبضات قلبه ~~وكادت~~ وكادت حماة الهاتف أن تسقط من يده. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. ~~وكاد قلبه يرقص~~ طربا، ولكنه خشي أن يتنبه أحد إخوته لطريقته فرد هو الآخر بصوت خافت. ما إن سمعت صوته حتى عرفته أيقنا فلم تتمالك من الفرحة ونسيت من حولها، قالت له: مرحبا محمد، مبارك عليك. الله يبارك فيك وعقبال الباقي يا رب. همس لها أذنيك بصوت بالكاد أن تسمعه. أرادت أن تتمادى في الحديث معه ولكن خافت من أن يسمع أحد، فردّ عليه: لطفا، تركت الساعة ونادت أخاها. أحمد تريده، تصنعت وكأنها لم تعرفه. هناه محمد ثم قال له: ~~لطفا~~ أود زيارتك. تفضل، ردّ سالم بسرعة، وكأنه يريد تفريغ همومه مع من ~~و~~ لكن هيهات أن تفوت على سالم ~~NP2~~ تراه معه معظم حياته.

أسرع إلى بيت سالم، أو بالأحرى بيت رحماء، وصوتها وصورتها لا تفارقان خياله، لقد كان في عالم آخر حتى أنه نسي أن يخبر أحدا من أهله بذهابه إلى بيت صديقه. عندما فتح له الباب ~~عرف~~ عرف من نظراته ونبرة صوته أنه

N2 قبل أن يعلق يسمع طرق الباب طرقا خفيفا، قام سالم ~~ليرى~~ يرى من بالباب ~~فوجد~~ فوجد محمد ببهرة ~~وشعر~~ وشعر محمد في عالم من البهجة ~~وهو يتمتم~~ وهو يتمتم ببعض كلمات الشكر العارمة.

N3 وهي مطأطأة الرأس، رفعت بصرها قليلا، ورمقته بعينين دامعتين، لقد كان قلبها يرفرف. ~~فقالت~~ فقالت بابتسامة: مبارك عليك. لم يتوقع أن يراها، فقال: الله يبارك فيك أيضا. ~~حبست~~ حبست بقايا دموعها تنظر كلا منهما للآخر ثم أدارت ظهرها ودخلت. ~~مكثت~~ مكثت طويلا ~~فضفاضا~~ فضفاضا كانت ترتدي ثوبا وردي ~~يصل~~ يصل إلى أسفل قدميها ~~وتعلوه~~ وتعلوه حجاب ~~خفيف~~ بنفسجي خفيف.

~~صاحبته~~ انتبه محمد من سرحانه ثم قال وكلمات لا تكاد أن تخرج من فيه: ~~لطفا~~ من؟ حياء، ردّ سالم، لطفا ما إن سمعت البارحة اسمه حتى صرخت. يبدو أن ~~ردّ~~ ردّ محمد خبث، بل تحيل، صدمته هذه الإجابة فتألم رأسه وتحيل كثيرا. تمنى محمد لو يواصل هذا الحديث لساعات ولكنه غلبه الحياء فقد ~~قال~~ له الأمر قائلا: وماذا عنك؟ أراه متأثرا كثيرا. من مشاعر بسيطة ثم تجلي، هكذا ردّ سالم وهو ينهض ليعود من الداخل بعض حوائجه ولعلكة جميلة، علكة حماء وأخواتها في إعدادها بعد صلاة الفجر مباشرة. ~~كان يعد~~ ~~غرفته~~ ~~الكعكة~~. عمر سالم في وجه صديقه وهو يفتح اللعكة بين يديه. ~~وكان~~ وماذا عن هذه؟ ربما أراد أن يباهي به أمامي، ابتسم محمد وهو يلتقي هذه الكلمات ~~بحماسة~~ وردّ سالم: نعم أراد أن يباهي به أمامي. حاول محمد مرة أخرى أن يصرف الحديث إلى أمر آخر فتساءل: وما هي خطوتك التالية؟ فردّ ~~عليه~~ ما زال ~~يحاول~~ وكأنه لم يفهم مقصده: الرأي الراجح ليس لي. ضحك محمد وهو يقذف السائل بحبة عنب: أقصد ماذا ستفعل بعد أن ظهرت النتائج؟ تأوه محمد قليلا ~~ثم قال~~: يريد أن أواصل الدراسة. وماذا عنك؟ أردف محمد، فهز سالم منكبه: أكره الدراسة. ~~ثم أجب وأنت أتعلم أن~~ وماذا عن طموحاتك؟ ~~وماذا~~ سؤال الأستاذ أسامة؟ ~~ضحك~~ عقب سالم: لا أرى الدراسة ستحقق لي ما أريد، ثم أتبع: وأنت؟ ~~نظر~~ نظر إليه محمد باستغراب: أنت تعلم أني لم أفرط في أحلامي لحظة واحدة. سادهدوء ~~أذهبت~~ أذهبت عنه محمد ما كان يجده من مشاعر عاطفية. تناول الكعك وبعض الفواكه، ثم استأذنه محمد بالانصراف وكأنه تأثر سرعة تغير همومه.

N4 ~~طلب~~ يبحث محمد هذا السر لأحد، حتى صديقه سالم لم يعرف عنه ذلك إلا عندما زاره مرة وقد اشترى ~~عشرة~~ كتبا تتكلم عن علوم الفضاء، فقال له: يبدو عليك أنك تريد أن تكون عالم فضاء، فاكتفى محمد بالابتسامة ~~ولم يكتف~~ ولم يكتف بقراءة الكتب وإنما أكثر من ارتياد مكتبة المدرسة، وأحيانا كان يأتي أستاذ أسامة يصطحبه إلى مكتبة جامعة البيان ويستعير له بعض الكتب المتوافرة هناك. ← to (XI) in (7)

N5 فاجأها أخوها: محمد جاي لعندنا بكرة. ارتبكت محمد وقالت نبضات قلبها ~~تعلم~~ ~~ما يقول~~ فلا يدري ما يقول. عرف سالم حراجة الموقف فتدخل قائلا: محمد جاي لبيتنا، ~~علم~~ علم عدم رده لرسائل. صعقت رحماء من هول ما سمعت. لم يخلها طويلة أن أحدا من البيت يعلم عما وقع له. أجبر وجهها وكست أرضها حتى لا يلاحظ وجهها أنه يرى. في تلك الرهلة التي أحدثها سالم انطلقت متعثرة من فيه محمد وكأنها تبون تفكير: أبا أحمد، سمعت الكلمات فؤاد ارتباكا ~~ملاحظا~~ ~~ما~~ هل يعتقد هذا الأخير أن يتعمد صداقة مريب؟ ~~لطف~~ لطف الصدفة فجر: إما أنه تشكلها أو أخرج ما تركها.

N7 مذهولا ما قبل يخطر بباله أن سالما ذهب ليحضر أخته

وبالمقابل، فقد كان حديث أسرة سالم في معظم الأحيان هو عن الأحوال المادية التي تعيشها الأسرة ويعيشها المجتمع. وعندما كان سالم يأتي والديه بأخبار سارة عن تفوقه الدراسي، أو عما يحققه الشرق والغرب من تطور، كان والداه لا يفتأان يُذكِّرانه بأنه بمقدوره أن يحقق ما حققه الآخرون، وأن يُبدِّل أحوال الأسرة وظروفها إلى ما هو أفضل، وكانا يغرسان في فكره أهمية المادة، والمكانة التي يتمتع بها الأثرياء في المجتمع.

لذلك، لم تنصبّ اهتمامات سالم بعد الثانوية على الحصول على بعثة دراسية بقدر ما كان يطمح للحصول على عمل مناسب. وكان محمد يحاول دومًا أن يثنيه عن هذا التوجه، ويُذكره بما كان يقوله مدرسوهم من ضرورة تفوقهم العلمي ونبوغهم وتميزهم، وأن لا ينظروا إلى تحقيق الأحلام والطموحات التي تعود عليهم بمنافع شخصية بقدر ما يهتمون بتحقيق الأحلام والطموحات التي تخدم الأمة بأكملها.

طول الرواية لم تُشِر إلى أيِّ أحدٍ من إخوانه، ومن الجميل أن تشركهم في الأحداث

لقد كان سالم كثيرًا ما يتشكى عن أحوال أسرته وظروفها المادية، وأن والده يكد ويتعب من أجله ومن أجل إخوانه، وأنه -أي سالم- يريد أن يريحه من هذا العناء ويريح أفراد أسرته. وكثيرًا ما حاول محمد أن يقنع سالمًا بالالتحاق بالجامعة والحصول على شهادة جامعية، وأن تلك الخطوة ستؤهله للحصول على وظيفة مرموقة ومرتبٍ لا بأس به. لكن سالمًا كان كثيرًا ما يقول لمحمد بأن الدراسة الجامعية تستغرق وقتًا طويلًا، وأنه لا يريد أن يُبقي أسرته في عذاب وشظف من العيش طيلة تلك السنين، وكان محمد يُذكِّره بأن عليه أن يُعلم أنه -أي سالم- لم يكن لهذه المرحلة أيُّ دور في إعالة أسرته أو حتى في مساعدتها ماديًا، وأن من تكفل برعاية الأسرة هو الله -سبحانه وتعالى-، وأنه -سبحانه- قادر على أن يتكفل بها وبأسرته أيام دراسته. وبالرغم من أن سالمًا كان يرتاح إلى الكلمات محمد، إلا أن قلبه كان يتلهف للفراغ من الثانوية والحصول على وظيفة مناسبة.

لم تَطُل الأيام كثيرًا بعد ظهور نتائج الثانوية حتى تلقى محمد وسالم اتصالات عديدة من جهات مختلفة في المملكة، منها هيئات حكومية ومنها مؤسسات خاصة، وكانا محمد وسالم يلتقيان يوميًّا ويتناقشان حول تلك الاتصالات والعروض التي كانا يحصلان عليها.

كان رد فعل محمد تجاه تلك الاتصالات والعروض يختلف عن رد فعل سالم؛ فمحمد لم يُعِر تلك الاتصالات والإغراءات أيَّ اهتمام، رغم محاولات سالم لإقناعه بالذهاب إلى المؤسسات التي تتصل به ليتعرَّف على رغباتهم والعروض التي يقدمونها. كان كل ما يشغل تفكير محمد هو اليوم الذي ستظهر فيه نتائج الترشيحات للبعثات الخارجية، ويحصل على البعثة الدراسية التي يتمناها.

أما سالم فكان لا يتلقى اتصالًا من مؤسسة إلا ويذهب إليها ويقابل مسؤوليها، رغم أنه في كثيرٍ من الأحيان يعود بخيبة أمل، فقد كان يجد أن ما تعرضه تلك المؤسسات من وظائف لا تتناسب مع رغباته هو، فقد كان يطمح لأن يحصل على وظيفة مرموقة وراتب جيد، بالإضافة إلى فرصة للحصول على دورات تدريبية وربما بعثات دراسية مستقبلًا.

قدَّمت إحدى شركات النفط لسالم واحدًا من أفضل العروض المغرية، حيث عرضت عليه بعثة دراسية بالإضافة إلى تأمين عمله عندها بعد انتهاء دراسته. لكن سالم لم يناسبه العرض، حيث إنه سيتم ابتعاثه على أنه طالب وليس موظف، وهذا يعني أن ما سيحصل عليه من مستحقات مالية أثناء البعثة الدراسية لن يفي بأكثر من متطلبات إقامته ومعيشته، فضلًا عن أنه سيتم ابتعاثه إلى إحدى الدول الغربية، وهو لم يكن يرغب في ذلك أيضًا.

بعد حوالي عشرة أيام من ظهور نتائج الثانوية تلقى محمد اتصالًا من الديوان الملكي يطلب منه الحضور لمقابلة توظيف، وعندما التقى محمد بسالم وأخبره بالاتصال علم أن سالمًا قد تلقى نفس الاتصال، وأنه متشجع كثيرًا لحضور المقابلة. أما محمد فقد أخبر سالمًا بأنه لن يذهب إلى المقابلة لأمرين: الأول أنه لا يريد أن يتنازل عن أهدافه ورغباته الحصول على بعثة دراسية إلى أمريكا، والآخر أنه يعلم سلطة الديوان الملكي، ويخاف إن ذهب إلى المقابلة ورفض العروض التي سيقدمونها لن يقبلوا أن يقوموا بعرقلة بعثته الدراسية، فالخسر الجانبين. حاول سالم أن يقنع محمدًا بالذهاب سويًّا إلى المقابلة، وبأنه يستطيع أن يُصِرَّ على رأيه بعدم قبول العروض التي لا تناسبه، لكن محمدًا أصرَّ على موقفه بعدم الذهاب.

في اليوم التالي ذهب سالم للمقابلة في الديوان الملكي، وعندما عاد من العاصمة توجه أولًا إلى منزل محمد ليخبره بأن حلمه قد تحقق، فقد حصل على وظيفة جيدة وراتبًا فوق ما كان يتوقع، بالإضافة إلى بعض الامتيازات الأخرى التي قدموها له مثل السكن المجاني في العاصمة وسيارة خاصة

ويحيل الطلب والده بالإضافة الذي تلقاه من الديوان الملكي. بدت ملامح السرور على وجه أبيه، فعقب محمد قائلاً: ولكن لن أذهب. فرد والده بسرعة: ولماذا؟ فصمت محمد برهة وكأنه يبحث عن جواب يمنع أباه، وأردف تأثر بموقف والده من فرصة هذا العرض: واصلت نفسي أنه لا ألتفت لمثل هذا العمل قبل أن أكمل دراستي الجامعية. ولكنهم قد يوفروا لك "ع أجابه بعلة مجانية ويضيفوا له العمل بعد تخرجه، كما نسمعه من كثير من الناس الذين يحصلون على مثل هذه الفرص. لم يشأ أن يدخل محمد في جدال مع والده، فقال: سأستخير الله ثم أقرر. فرحت خديجة بموقف هذا وعلقت: نعم ما جميل أن نلجأ إلى الله، هو لن يضيعك بإذن الله. وفعلاً، صار

لسان المؤمنة الواثقة بربها

محمد لا يصلي نافلة إلا ويستخير الله بعدها، ولم ترده صلاة الاستخارة إلا ثباتاً على قراره واطمئناناً له.

يستطيع أن يستخدمها في أوقات العمل وخارجها. قال سالم محمد: لم أكن أعلم أن الديوان الملكي بتلك الأبهة، لقد رأيت شيئًا عظيمًا، وما قدّموه لي فاق تصوري، ولكني أقترح عليك ألا تُفوّت الفرصة، وأن تذهب إليهم وتعرف ما سيقدمونه لك من عروض.

رفض محمد طلب سالم، وقال له: لم تبق إلا أيام قلائل، وستظهر نتائج الترشيحات للبعثات الدراسية، وإن لم أحصل على بغيتي فيها فسأفكر في الذهاب إلى الديوان الملكي. فقال له سالم: إنك تعلم أنه قد تخرّج من الثانوية هذا العام آلاف الطلاب، وأن غالبيتهم سيبحثون عن عمل، والكثير منهم يعلم العروض المغرية التي يقدمها الديوان الملكي، وإن انتظرتَ أيامًا لتذهب إليهم فقد تفوتك الفرصة، فقال له محمد: حتى وإن حدث ذلك فإن أمامي فرصًا أخرى بإذن الله وعليَّ ألا أتعجل.

جميل أن تصور مشاعر محمد خلال اليومين والأفكار التي تتوارد في ذهنه

لم يطل انتظار محمد كثيرًا، فبعد يومين تم إعلان نتائج الترشيحات للبعثات الدراسية في الجريدة الرسمية بالمملكة، وقد تصدر محمد قائمة البعثات الدراسية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وحصل على ما كان يحلم به، فقد حصل على بعثة لدراسة علوم الفضاء في جامعة هارفارد، كما كان يتمنى. كانت فرحة محمد وأسرته بظهور هذه النتيجة كبيرة جدًا. أما سالم فرغم أن اسمه قد ظهر هو الآخر في الترشيحات، وحُقّق له طلبه الأول، إلا أنه أخبر محمدًا بأنه لا يرغب في البعثة، وإنما سيلتحق بالوظيفة. حاول محمد أن يقنع سالمًا بأن يقبل تلك البعثة، أو يذهب إلى مديرية البعثات ويخبرهم برغبته في تغييرها إلى بلد آخر أو أيِّ تخصص يريده، فإن معدله الدراسي يؤهله لأن يحصل على ما يريد. غير أن سالمًا أصرَّ على عدم قبول أيِّ بعثة دراسية، وعلى رغبته في الوظيفة. في الأسبوع التالي توجه سالم لإنهاء إجراءات التوظيف، وصاحبه محمد إلى مديرية البعثات لإنهاء إجراءات بعثته.

بعد حوالي أسبوعين اتصل الديوان الملكي بسالم ليخبره بأن إجراءات التوظيف قد اكتملت، وأنه يمكنه مباشرة العمل ابتداءً من الأسبوع القادم. في الأسبوع القادم توجه سالم إلى الديوان الملكي، واستلم وظيفته، واستلم أيضًا مفاتيح الشقة التي سيسكن فيها في العاصمة، وأيضًا مفاتيح سيارته.

(X1) لم يتأخر سالم في محاولة استمالة صديقه فلجأ إلى الحيلة ذكية. ما إن عاد إلى المنزل حتى استقبله والداه وأخواته وهم يسألونه عن المقابلة فأخذ يشرح لهم ما رآه وحصل عليه بغية ملؤها الفخر والابتهاج. سُرَّ الجميع بذلك وهنؤوه وباركوا له. ما إن دخل غرفته حتى نادى سعاد فجاءت مسرعة وهي لا تشك أنه أرسل رسالة من محمد. أغلقت الباب ثم قالت له والفرحة تملأ وجهها: ماذا؟ أريد أن تقنعي محمدًا؟ فوجئت سعاد بهذه الإجابة فردّت بقلق: لماذا؟ فقالوا: لقد حاولت كم أن أقنعه أن يذهب للديوان الملكي فرفض فعنفته: ربما يتهاونوا به فردّ: بل اقبلوا به قبل أن يعملوا بي ولكنه رفض فكرة الوظيفة في الوقت الحاضر. جادها خاطر ملأ أحاسيسها بالبهجة والسرور فقد ظنت أن أخاها يريدها أن تجلس مع محمد وتقنعه فردّت بسرعة: والمطلوب؟ اكتبي له رسالة وحاولي أن تقنعيه بعدم تفويت هذه الفرصة. تلقت ردّه بسرور ثم أتت إلى لابتاس بالكتابة إليه فهي فرصة لا يجب تفويتها. عندما وضع سالم الرسالة في صديقه عرف أن أمر سعاد وتم تخبئته حدس أنه من دفعها للكتابة إليه. أدخل الرسالة في جيبه وشكرها. وعندما أوى إلى فراشه وتأكد أن أهله نائمون بدأ قراءتها. لقد خيبت آمال أخيه فلم تذكر في رسالتها شيئًا عن الوظيفة أو مقابلة الديوان الملكي وإنما كانت رغم طولها عبارات حب وكلام ناعم من قبيل حبيبي على عدم التراجع عن آماله وأمنياته وتشجعه لأن يذهب بعزيمة من الحديد لتحقيقه وبيسر أموره. لأول مرة في حياته شعر بالحزن على أخته التي باعتزاز عظيم لوجودها في صفه. إذ أنها تضحي بطموحاتها وأحلامها من أجل أن يذهب ويحقق آماله وطموحاته. لاحظ أن عبارات الرسالة قد تغيرت عن تلك التي أرسلتها من قبل عبر البريد الإلكتروني. يا ترى ما الذي حدث؟ حاول جاهدًا أن يكتب شيئًا ولكن خانته الكلمات فلم يجد إلا أن يلملم نفسه للنوم فالغد يستيقظ صباحًا الذهن أو يرى في منامه ما يعينه على التعبير لها.

استقبل محمد الاجتماع الذي عقدته جماعة العمل التطوعي أن يطلع الأستاذ أحلام التربية الإسلامية والتاريخ والفيزياء بالمستجدات التي حدثت له وسالم بعد إعلان نتائج الثانوية. تعجب الجميع من موقف سالم وكيف تغير بتلك السرعة. يا أضى خاطب الأستاذ أسامة الأستاذ عارف مقربًا الحياة لا تسلم منذ الأمم امتثالًا لله عليها بأن أصح وبصيرة ثاقبة. أيد الأستاذ عماد الأستاذ أسامة ما قاله زميله فقال: ولا ننسى خيبة الديوان الملكي في تقدير الشباب المتفوقين وصرفهم عن الالتحاق بركب النجاح لئلا يكون لهم شأن كبير في المستقبل فيفسدوا الناس عليهم كما يعتقدون. هزّ الأستاذ عارف رأسه موافقًا ثم أضاف: ولكنه ما أعلمه أن الأعمال الخيرية لأجر وسام جديرة فردّ محمد: نعم فهم يحدثون من الأثر ما مقارنة بغيرهم من أبناء القرية. ولله الثراء في أحياء كثيرة قد تفيدهم الناس ليتل معالي الأمور علق الأستاذ أسامة.

(X2) كانت خطة محمد بعد أن أكمل الوجهة التي سيذهب إليها والتخصص الذي سيدرسه أن يتواصل مع المسؤولين في جامعة هارفارد وقسم علوم الفضاء بالذات. قرأ الكثير عنهم من خلال مواقعهم الإلكترونية وتواصل مع بعض المسؤولين والأساتذة والطلاب. كانت هذه فرصة كبيرة له ليتعلم الكثير عن استخدامات الحاسوب والشبكة العنكبوتية. وعندما واجهه مشكلة فنية كان يلجأ إلى الأستاذ محمد أحد أطباء مصادر التعلم بثانوية خالد بن الوليد.

لم ينتظر سالم حتى نهاية الأسبوع ليخبر صديقه محمد بما حصل عليه، وإنما اتصل به في مساء ذلك اليوم، وأخبره بالحفاوة والتقدير الذي لقيه من المسئولين في الديوان الملكي، وأخبره بأنهم قد سلَّموه مفاتيح شقته ومفاتيح سيارته، وأنه يتصل الآن من شقته، وأنه قد أوقف سيارته أمام شقته.

لم يزد محمد على تهنئة سالم بما حصل عليه، فهو يعلم في قرارة نفسه أن تلك الإغراءات هي ما كان يتخوَّف منها محمد من قبل، فإنها ستصرفه مبدئيًّا عن تحقيق حلمه في الحصول على بعثة دراسية، ثم سيكون من شأنها فيما بعد أن تصرفه عن تحقيق أحلامه وطموحاته البعيدة في خدمة هذه الأمة. لكن محمدًا لم يشأ أن يفتح هذه المواضيع في الهاتف، وأيضًا لعلمه بميول سالم ورغباته، وأنه بات لا يكترث كثيرًا بتلك الطموحات.

كان موعد سفر محمد إلى أمريكا هو الأسبوع الأول من شهر أغسطس، ولذلك كان عنده متسع من الوقت في فصل الصيف، فقضاه في إنهاء متطلبات السفر من الحصول على التأشيرة، وشراء الحقائب ومستلزمات السفر الأخرى، وبقي أيضًا يتردد على أساتذته، وخاصة مدرس التربية الإسلامية، واهتم بموضوع العمل التطوعي، وحاول أن يُقنع مدرسيه على توسعة دائرته لتخرج من حيِّز المدرسة لتقوم بخدمة المجتمع. لاقى هذا الاقتراح قبولًا وترحيبًا من قِبَل مدرس التربية الإسلامية ومن بعض المدرسين الآخرين، رغم أنهم يعلمون أن إمكانياتهم قليلة، وأن تجاوب الناس معهم سيكون محدودًا، ولكن رأوا أن فتح هذا المجال أمام أفراد المجتمع قد يكشف لهم عن كوادر مغمورة في أوساط المجتمع يمكنها أن تكون ذات دور فعال في خدمة وتنمية المجتمع.

بدأ محمد وأساتذته يخططون لبعض الأنشطة في فترة الصيف، وقضى محمد قرابة الشهر والنصف الأولى من بداية الإجازة الصيفية وهو مرتبطٌ بأساتذته ومتعاون معهم في تنفيذ تلك الأنشطة. وقد كان دعم والدَيْ محمد له كبيرًا؛ حيث إنهما كانا يهنئانه على المشاركة في تلك الأنشطة، ويحفزانه على مواصلتها وتنميتها، وكان والد محمد كثيرًا ما يشارك بنفسه في تلك الفعاليات، وخاصة عندما تقام في عطلة نهاية الأسبوع. أما والدة محمد فكانت كثيرًا ما تجهز لابنها بعض الكعك ودلة الشاي والقهوة ليصطحبها معه عندما يذهب إلى أحد الاجتماعات التي يرتبها مدرسوه لمتابعة سير تلك الأنشطة، أو عندما يذهب إلى رحلة أو فعالية تستغرق وقتًا طويلًا، وكان محمد يقابل والديه بالثناء والشكر على ما يقومان به.

حاول محمد أن يُشرك صديقه سالم في بعض الفعاليات الصيفية التي كانت تقام في عطلة نهاية الأسبوع، ولكن سالمًا كان في كل مرة يأتي بأعذار مختلفة؛ كرغبته في البقاء مع أسرته، أو في الذهاب لزيارة أصدقائه، أو بأنه أحضر معه بعض الأعمال التي تخص وظيفته ويريد الانتهاء منها قبل ذهابه إلى العمل. أحسَّ محمد بأن همة سالم ورغباته وطموحاته قد بدأت تضعف وتتبدل، وأنه قد صارت له اهتمامات من نوع آخر؛ فكان يلتقي بزملاء دراسته الذين التحقوا هم أيضًا بوظائف، وكانوا أحيانًا يخرجون في بعض الأسابيع إلى رحلات خلوية للصيد أو الشواء أو مجرد الاستجمام.

في بداية شهر أغسطس بدأ محمد يتجهَّز للسفر، فقام والده بأخذه إلى المحلات الكبرى في العاصمة من أجل أن يشتريا له أجود أنواع الحقائب والملابس ومستلزمات السفر، وكان محمد كثيرًا ما يتشاجر مع والديه من أنه لا يحتاج إلى تلك الأغراض الباهظة الثمن، وأنه تكفيه بعض الأغراض البسيطة والرخيصة، وأن شراء مثل تلك الأغراض ستزيد من ديون أعباء الأسرة وأعبائها. أما والداه فقد كانا يردَّان عليه بأن أمور الأسرة سيدبرها الله الذي تكفَّل برعايتهم طول حياتهم، وأنه على محمد لا بُدَّ أن يظهر بما يليق بمقامه كأول طالب من المملكة يدرس في جامعة هارفارد وفي أهم التخصصات، وكان أبوه أحيانًا يمازحه قائلا: لا تقلق، سنُدوِّن ما نصرفه عليك الآن، وعليك تسديد هذه المبالغ عندما تتخرج وتتوظف.

في يوم سفره جاء بعض الأهل والأصدقاء لتوديع محمد، وفي مساء ذلك اليوم أوصل والدا محمد ابنهما إلى المطار، وقد كان الحديث طيلة الطريق عن القلق الذي يحسُّ بها والدا محمد، وكان محمد يطمئنهما بأن الأمور ستسير بإذن الله بسهولة ويسر. وأخبر محمد والديه بأن مدرسيه قد قاموا بجهود مشكورة في ترتيب الأمور له في أمريكا، وخاصة فيما يتعلق باختيار المنطقة والتخصُّص.

عندما وصلت الأسرة إلى المطار، وجد محمد صديقه سالمًا ينتظرهم عند مدخل صالة المغادرة. سلَّم سالم على محمد ووالده، ثم أخذ سالم الحقائب وأخذ يجرها إلى داخل الصالة المغادرة. اهتم محمد بشرح أقسام المطار لوالديه وشرح لهم أيضًا بعض إجراءات السفر التي على كل المسافرين القيام بها قبل المغادرة.

وأما سالم فإنه قام بتخليص إجراءات السفر لصديقه محمد، وكانت ملامح الحزن لفراق محمد بادية على وجهه. اقترب محمد من سالم، وخاطبه قائلًا: لم يكن من داعٍ لأن تكلف نفسك بالحضور

X1 لست بحاجة لأن أظهر إلى من الأمر ياء ... خاطب والده مع ... وشرائع لتلك الأغراض الباهظة التي ... وتحمل الأعباء ... لم يعجب والده هذا الملاح ...

فرد عليه: ...

X2 ليس هام الإنسان ... وبينما هو يوجه إخوته لتحمل ... عمر يزداد ... في زيارة البيت ...

X3 وكانت الملفات التي ... عندما رآه سلم ... مع الأنيق ... ما كاد يفرغ أن تشقق ... نقل: يا ده محمد. ... سلم وقال: لو كان غيرك ... لقد تحملت ... عناء السفر ... وكاد يكفر أن تتهلل. ... هنا كادت ... لفترة ... وسأله سالم عن التحيرات ... فأخبره بأنه ... ما يراه. هناك شخص يريد أن يسلم عليك ... فاجأه سالم ... فعرف ... فبكى ... ثم تبعه إلى السيارة ... لم يتوقع أن يتعرض سالم ... لهذا الموقف ... وأخذ يحدثه عما ... والدته وأخواته ... الوقت وأخبره أنهم ... إلى الزهة. ... لم يخرج من السيارة ... فتحت الباب ... سلم عليها وهو يبتسم ... بابتسامة لا تخفي ... الحزن الذي بداخلها. ... قالت له: طلبت من سالم أن يأخذني ... لأراه ... وعلى ... أراد أن يبرر موقفه من عدم الذهاب ... فقاطعته ... أنا ... راضية بما فعلت ... ركعت عليه وهي ... خشيت أن آتي إلى البيت ... وسالم غير موجود فيشك والدك في زياراتي. ... هذه الكلمات ... فتح دمعة ... تدحرجت ... وعلى نفسه أن يخبره حتى لا ... عبارات عتب ... إلى حوارات ... نقاشات حول حور المسلم في خدمة دينه وأمته. ... بدأ حال سالم ... كثيرًا حتى في البيت ... حتى أن أباها ... عندما رآها لا تخرج من البيت إلا لحاجة ... رآها والدها يقرأ ... الصحيحين لا تنفك عنه ... كما جرى لها ... تلاوة القرآن ... وقراءة الكتب الدينية ...

من عينيك ... أرجوك لا تبكي ... حاول أن يواسيها ... فتى ... فرقت بيننا الأيام فعلى أن يكون معك دومًا. ابتسمت وهي ... تمسح عينيها ... أعلم ذلك ... ولكن ... سالم ... سيرحل قريبًا ... وأنت ستبقين ... بالمدرسة ... لتحرزي المركز الأول ... أن يراه مرة أخرى. أشارت لها ... هذه الكلمات ... وقالت ... الابتسامة تملأ ثغرها ... البهجة بادية على محياها: ... انفرجت أساريرها ... بدعواتك فعلًا الله يستجيب لك. حاول سالم أن يختصر اللقاء ... خشية أن يطلب أحد ... أمرهم ... فتحول صوت محمد ... مقصده ... فقال لها: ... أطلتنا أخيل ... فانفجرت تبكي وهي ... ردت: ... وجعل الله ... وأمانيك ... وأخواتك أعمالًا. ... رد عليها: ... أسأل الله أن يحفظك ... وعيال. ... كانت كلماته الأخيرة ... له: ... ستجد رسالتي تنتظرك ... لا تطل علي. ... ابتسم وهو ... يتحول صوت سالم ... اعذريني ... أطلت عليك. ... لا بأس ... رد سالم ... ولولا ... خشية أن يطلب أحد ... لأم لتركتها.

ثم رفعت الخادمة ... وجهها

ثم قال له: ... جزاك الله خيرًا ... الآن ... أراد محمد أن يودعه ... فقاطعه: ... ماذا تعني ... والآن!؟ ... إنني ... أوصالي ... المطار بنفسي. ابتسم محمد وقال: ... هذا لا يحتمل ... قائمة ... أن تتصل ... أهلك ... سترح ... عناء الطريق ... بعد ... ثم إنه ... الأسرة ... بأكملها ... تنتظرني ... لتأتي معي. ... أصر سالم أن يذهب معه ... المطار حتى ولو ... سيذهبون ... بسيارتهم. لم يستطع محمد ... إقناعه ... فأوصل ... أخته ثم عاد. ... وطلب ... أخذ محمد والديه ... بمجيء سالم معهم ... حاول والده أن يثني سالمًا عن المجيء ... فأبى. ... صارت لا تفارقه ... منذ أن ظهرت نتائج الثانوية.

X5 وكانت جلسة ... في الكرسي الأمامي ... وكانت أرجى ... فتحدثا ... بينما جلس يوسف ... بجانبها. ... وفي الكرسي الخلفي تتوسط محمد أخيه وأخته ليتسنى له ... محادثة والديه.

X6 لم تكن مشاعر محمد ... يأمل مما هي ... عند والديه ... ولكنه ... تعاونه ... ما بداخله ... وحتى من الصعب معرفة ذلك من ... ملامح وجهه أو نبرات صوته. ... شاب في الثامنة عشرة من عمره ... لم يخرج من بلدته ... حياته ... ثم يفارق أهله عامًا كاملًا ... ويذهب إلى بلد مجهول ... يختلف عن بلاده ... عاداته وتقاليده ... هذه المشاعر التي

N1 ~~اتصل محمد بأبيه بعد صلاة الفجر وفي اليوم التالي، وبعد صلاة الفجر مباشرة اتصل محمد بأبيه~~ في اليوم التالي، بعد أن سلم لصلاة الفجر، هاتف إبراهيم عماد محمد أباه حتى اتصل به ليطمئن عليه وعلى بيته. رن الهاتف فأسرعت إليه وكأنها عرفت المتصل. السلام عليكم. بصوت خافت خشية أن يسمع أحد ردت رحماء. عرف صوتها وسرعان ما تقالت نبضات قلبه ~~وكادت~~ وكادت حماة الهاتف أن تسقط من يده. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. ~~وكاد قلبه يرقص~~ طربا، ولكنه خشي أن يتنبه أحد إخوته لطريقته فرد هو الآخر بصوت خافت. ما إن سمعت صوته حتى عرفته أيقنا فلم تتمالك من الفرحة ونسيت من حولها، قالت له: مرحبا محمد، مبارك عليك. الله يبارك فيك وعقبال الباقي يا رب. همس لها أذنيك بصوت بالكاد أن تسمعه. أرادت أن تتمادى في الحديث معه ولكن خافت من أن يسمع أحد، فردّ عليه: لطفا، تركت الساعة ونادت أخاها. أحمد تريده، تصنعت وكأنها لم تعرفه. هناه محمد ثم قال له: ~~لطفا~~ أود زيارتك. تفضل، ردّ سالم بسرعة، وكأنه يريد تفريغ همومه مع من ~~و~~ لكن هيهات أن تفوت على سالم ~~NP2~~ تراه معه معظم حياته.

أسرع إلى بيت سالم، أو بالأحرى بيت رحماء، وصوتها وصورتها لا تفارقان خياله، لقد كان في عالم آخر حتى أنه نسي أن يخبر أحدا من أهله بذهابه إلى بيت صديقه. عندما فتح له الباب ~~عرف~~ عرف من نظراته ونبرة صوته أنه

N2 قبل أن يعلق يسمع طرق الباب طرقا خفيفا، قام سالم ~~ليرى~~ يرى من بالباب ~~فوجد~~ فوجد محمد ببهرة ~~وشعر~~ وشعر محمد في عالم من البهجة ~~وهو يتمتم~~ وهو يتمتم ببعض كلمات الشكر العارمة.

N3 وهي مطأطأة الرأس، رفعت بصرها قليلا، ورمقته بعينين دامعتين، لقد كان قلبها يرفرف. ~~فقالت~~ فقالت بابتسامة: مبارك عليك. لم يتوقع أن يراها، فقال: الله يبارك فيك أيضا. ~~حبست~~ حبست بقايا دموعها تنظر كلا منهما للآخر ثم أدارت ظهرها ودخلت. ~~مكثت~~ مكثت طويلا ~~فضفاضا~~ فضفاضا كانت ترتدي ثوبا وردي ~~يصل~~ يصل إلى أسفل قدميها ~~وتعلوه~~ وتعلوه حجاب ~~خفيف~~ بنفسجي خفيف.

~~صاحبته~~ انتبه محمد من سرحانه ثم قال وكلمات لا تكاد أن تخرج من فيه: ~~لطفا~~ من؟ حياء، ردّ سالم، لطفا ما إن سمعت البارحة اسمه حتى صرخت. يبدو أن ~~ردّ~~ ردّ محمد خبث، بل تحيل، صدمته هذه الإجابة فتألم رأسه وتحيل كثيرا. تمنى محمد لو يواصل هذا الحديث لساعات ولكنه غلبه الحياء فقد ~~قال~~ له الأمر قائلا: وماذا عنك؟ أراه متأثرا كثيرا. من مشاعر بسيطة ثم تجلي، هكذا ردّ سالم وهو ينهض ليعود من الداخل بعض حوائجه ولعلكة جميلة، علكة حماء وأخواتها في إعدادها بعد صلاة الفجر مباشرة. ~~كان يعد~~ ~~غرفته~~ ~~الكعكة~~. عمر سالم في وجه صديقه وهو يفتح اللعكة بين يديه. ~~وكان~~ وماذا عن هذه؟ ربما أراد أن يباهي به أمامي، ابتسم محمد وهو يلتقي هذه الكلمات ~~بحماسة~~ وردّ سالم: نعم أراد أن يباهي به أمامي. حاول محمد مرة أخرى أن يصرف الحديث إلى أمر آخر فتساءل: وما هي خطوتك التالية؟ فردّ ~~عليه~~ ما زال ~~يحاول~~ وكأنه لم يفهم مقصده: الرأي الراجح ليس لي. ضحك محمد وهو يقذف السائل بحبة عنب: أقصد ماذا ستفعل بعد أن ظهرت النتائج؟ تأوه محمد قليلا ~~ثم قال~~: يريد أن أواصل الدراسة. وماذا عنك؟ أردف محمد، فهز سالم منكبه: أكره الدراسة. ~~ثم أجب وأنت أتعلم أن~~ وماذا عن طموحاتك؟ ~~وماذا~~ سؤال الأستاذ أسامة؟ ~~ضحك~~ عقب سالم: لا أرى الدراسة ستحقق لي ما أريد، ثم أتبع: وأنت؟ ~~نظر~~ نظر إليه محمد باستغراب: أنت تعلم أني لم أفرط في أحلامي لحظة واحدة. سادهدوء ~~أذهبت~~ أذهبت عنه محمد ما كان يجده من مشاعر عاطفية. تناول الكعك وبعض الفواكه، ثم استأذنه محمد بالانصراف وكأنه تأثر سرعة تغير همومه.

N4 ~~طلب~~ يبحث محمد هذا السر لأحد، حتى صديقه سالم لم يعرف عنه ذلك إلا عندما زاره مرة وقد اشترى ~~عشرة~~ كتبا تتكلم عن علوم الفضاء، فقال له: يبدو عليك أنك تريد أن تكون عالم فضاء، فاكتفى محمد بالابتسامة ~~ولم يكتف~~ ولم يكتف بقراءة الكتب وإنما أكثر من ارتياد مكتبة المدرسة، وأحيانا كان يأتي أستاذ أسامة يصطحبه إلى مكتبة جامعة البيان ويستعير له بعض الكتب المتوافرة هناك. ← to (XI) in (7)

N5 فاجأها أخوها: محمد جاي لعندنا بكرة. ارتبكت محمد وقالت نبضات قلبها ~~تعلم~~ ~~ما يقول~~ فلا يدري ما يقول. عرف سالم حراجة الموقف فتدخل قائلا: محمد جاي لبيتنا، ~~علم~~ علم عدم رده لرسائل. صعقت رحماء من هول ما سمعت. لم يخلها طويلة أن أحدا من البيت يعلم عما وقع له. أجبر وجهها وكست أرضها حتى لا يلاحظ وجهها أنه يرى. في تلك الرهلة التي أحدثها سالم انطلقت متعثرة من فيه محمد وكأنها تبون تفكير: أبا أحمد، سمعت الكلمات فؤاد ارتباكا ~~ملاحظا~~ ~~ما~~ هل يعتقد هذا الأخير أن يتعمد صداقة مريب؟ ~~لطف~~ لطف الصدفة فجر: إما أنه تشكلها أو أخرج ما تركها.

N7 مذهولا ما قبل يخطر بباله أن سالما ذهب ليحضر أخته

زادت نبضات قلبها، فماذا لو قالا ما قالا وتركاها؟ ماذا سيقولان لبعضهما؟ ستكون فرصة لهما لتبادل مشاعرهما، وأنتِ
محمد وهو يحدث نفسه: ولكنه ماذا دخل أحمد بينهما أو أخواتها؟ يا ولتاه ستكون فضيحة في الحي كله، وستتحطم كل الأحلام
التي رسمتها صباح كريمة طيلة الأيام الماضية بمجرد أن رأت أحمد وأخواته في الحي. (NP)
كشح فرغ رأسه وظهر أمام سالم وملامح وجهه تغير
عما يدور بداخله من أحاسيس وخوف. أنا لم أرد على رسائله أعيرها عليه. سكت قليلاً ليرى
أثر تلك الكلمات عليه. لم تقل شيئاً وإنما ظلت منكسة رأسها ولكنه بلا شك فرحت بتصديه، فهو يخاف عليها، وهذا يدل
على حبه لها. وأنا أعزل وأحتمل. أكمل تابع كلامه وهو ينظر إلى سالم وأخته منكس قليلاً، ويمسك بيد الفتاة الأخرى
بنظرة خاطفة. استحياءً منها أنه يصرح بحبه لها وهم سالم مغزاه فوراً: وأضاف بحيله.
لفتاة أحلامه وقلبها تزداد نبضاته ولم يترك سالم لمشاعرها وإنما صدمها بقوله: والآن ما رأيك؟
لقد كاد أن يغشى عليها، فلم تحفظ حفظ مخاطرها ولوكلة واحدة تسكت طلب أخيها، فظلت صامتة وهما
ينظران إليها. أنا آسفة أيضاً. ابتسم سالم وكاد محمد أن يطير فرحاً، فهاهي قد تقبلت كلامه
وربما يدل أيضاً أنها نادمة على ما قامت به. صمت الجميع لدقائق وسالم يغلي بداخله، فهو لا يرى لنفسه مكاناً هنا، وخير له أن
تتعلم في الوظيفة التي يبعث فيها من أن يتعلم عن الحب. ثم ماذا؟ خاطب أخته وهو يحاول قطع هذا الصمت.
أحست أنها في المنطقة فارتجف قلبها مجدداً يا ترى كان محمد معها بنفس ريما أنا مت له نظرة أما سيكي، ولكن أتى لها أنه تقول
شيئاً من ذلك أمام أخيها، فمهما نظرها لها من رجاء عن عاقبة محمد فقد ينقلب عليها أي حبيب من الأحباب ويخبر والديها،
وعندها سيتحطم كل شيء بنته إلى الآن. تحاملت وجسدها يرتجف فقالت: أعترف ما قمت به، ثم أحست أنه لابد أن تحمد
ولو يسيراً مما تشعر به تجاه فعله فتغير منه موقفه تجاهها، وسامحها. انفجرت بكاءً أسرع محمد وحضنها وسالم
أخيه أنه ينهي هذه الجلسة، فقد بدأ القلق ينساب إلى خاطره من صفحاة أحد والدين على الدخول عليهم، فقال: أظن بذلك أننا قد تصالحنا
وفي ما يتقبل عذرها بنبرة تريدان توصيل رسالة لبعضهما دون أن يريدها، جر محمد كثيراً بما صح فشكر لصديقه ذلك، وأحست بارتياح
أنه اقتراح أخيها هو في الطار الذي تريده، رفعت رأسها وقالوا وهم يبتسم: مشكورين، وسأخرج الآن. فصارحت وأغلقت
الباب، فانفجر محمد في وجه سالم ما هذا الفخ الذي أوقعتني فيه؟ ابتسم له وهو يقول بخبث: فخ؟ لقد كنت تتمنى أنه يطول
بيته الجلوس معك. فضحك، ثم قال: ولكن ليس بهذه الصورة.

وكان يكفي أن نسلِّم على بعضنا في الهاتف. ابتسم سالم، ثم قال: لو كان مَن سيسافر هو غير محمد لفعلتُ ذلك، ولكنك تعلم مقدار حبي لك ومنزلتك في قلبي، وإنك بلا شك ستترك فراغًا كبيرًا في حياتي، رغم أني أعترف بأني قد ابتعدتُ عنك كثيرًا بعد حصولي على الوظيفة. لم يزد محمد إلا بقوله: لا عليك، مهما حدث فإنَّا سنبقى بإذن الله أصدقاء.

ما إن أكمل سالم إجراءات السفر لمحمد، حتى أُعلِن عن الرحلة التي سيغادر فيها محمد، وطُلِب من المسافرين التوجه إلى بوابة المغادرة. عانق محمد والديه، وقبَّل يديهما وطلب منهما الصفح عنه وأن لا ينسياه من الدعاء. لم يُخفِ الوالدان ما كانا يشعران به من ألم الفراق، وقد رأى محمد الدموع تنزل على وجنتيهما فلم يتمالك هو نفسه حتى تدحرجت من عينيه دمعة مسحها بطرف ثوبه. ناولت والدة محمد ابنها كيسًا كانت قد أحضرته معها في السيارة، ثم قالت له: خذ هذا الكيس ففيه بعض الحلويات التي يمكن أن تتسلى بها في الطائرة. أخذ محمد الكيس، ثم ابتسم لوالدته وملامح الحزن بادية على وجهه، ثم قال: جزاكِ الله خيرًا يا أمي.

بعدها توجَّه محمد صوب صديقه سالم، وعانقه وطلب منه أن يسامحه عما بدر منه من أخطاء، ووعده كذلك بأن يتواصل معه باستمرار. تكرر النداء للتوجه إلى بوابة المغادرة، فقال محمد لوالديه ولصديقه سالم وهو يبتسم: يبدو أنهم أكثر عجلة مني للمغادرة. عليَّ أن أذهب الآن.

أخذ محمد جوازه وحقيبة اليد من صديقه سالم ثم توجَّه صوب بوابة المغادرة وهو يلوِّح بيده على والديه وصديقه. وصل محمد إلى بوابة المغادرة، وبقي في صالة الانتظار حوالي ربع ساعة. بعدها، فُتِحت البوابة، وصعد محمد الطائرة، وكانت هذه أول مرة يخرج فيها من المملكة، وأول مرة يركب فيها طائرة.

أحس محمد بامتزاج مشاعره، فهو من ناحية سيفارق أهله وأصدقاءه وزملاءه، وسيشتاق إليهم كثيرًا، وهو من ناحية أخرى سيذهب إلى عالم آخر يسمع عنه بأنه عالم الحضارة والتقدم والعلم، ولكن لا يدري ما حقيقته. كانت تلك المشاعر تمتزج بين حنايا نفسه، لكنها بعد قليل بدأت في الفتور حيث بدأ طاقم الطائرة في تقديم المشروبات ووجبة العشاء، ثم تم عرض فيلم أجنبي استمتع محمد بمشاهدته.

(X1) انطلقت من النافذة فرأى أضواء العاصمة وهي تلوح له من بعيد. غامت في أحاسيس حزينة وبدأ شريط الذكريات يمر أمام عينيه وكأنه سيغادر بلده بلا عودة. فكر في والديه وكيف يمكنهما تحمل فراقه؟ وماذا ستكون أحوال إخوته؟ إنهم بالآلاف سيحزنون لفراقه ويشتاقون إليه. حتى أنه فكر في أروى وكيف ستبدو له بعد عودته من أمريكا بعد سنوات من الآن. لدرها، حلّقت في عالم آثاري داخله كثير من المواجع، إنه عالم الطب، عالم شيماء. لقد كاد أن ينفجر باكيًا لولا حياؤه ممن يجلسون بجانبه. أتراها ستحمل هذا الفراق؟ خاطبها عندما تذكرها نفسه وصوت حاجة ودمعتان حارتان تنسالان من عينيه. ماذا لو رآها أبواها وهي غارقة في الحزن؟ إنهم - لا ريب - سيربطون ذلك بفراقي، وقد تتعرض لأذى وسألم ملصقات لو عرفوا ذلك. ثم كيف تستطيع أن تتذكر عقلي وقلبها ومشاعرها للذاكرة طيلة هذه السنة الحرجة من حياتها؟ وأنا بعيد عنها؟

استمرت هذه المشاعر الهائجة تنتابه كالسيل العارم، ولم ينقذها منه إلا صوت المضيفة وهو يتلو دعاء السفر إيذانًا بتحرك الطائرة. <NP>

قام اثنتان من المضيفات الجميلات ومن ملامحها أنهما من جنوب شرق آسيا، فقال في نفسه: حتى الضيافة في الطائرة لا تقدر عليك؟ عندما بدأت الطائرة في التحرك قرأ دعاء السفر ثم أغمض عينيه وهام بنا جريًا به أن يحفظه ويحفظ أبويه وإخوته وشيماء، وأخذ يعدد أهله وجيرانه وأصدقاءه. تزايدت مشاعر القلق وهو يرى الطائرة تسرع في مدرجها ثم ترفع مقدمتها إيذانًا بالصعود إلى السماء. كان ينظر إلى الأضواء في الأسفل وهي تختفت رويدًا رويدًا، ومع تزايد الصعود جاءته الأفكار من كل صوب. فكر في الموت فقال لنفسه: ماذا لو هوت الطائرة؟ ماذا لو مت؟ هل سيكون لي ما أعتذر به؟ بدأ يفكر في ذنوبه وتقصيره في حق ربه وأهله والناس. فكر في صلواته وما يغشاه خلالها من غفلة وعدم حضور قلب. فكر في بعض نزوات الشباب والمراهقة التي زارته أحيانًا فعاوده التخلص منها ولكنها أرادته صريعًا. فكر في علاقته في شيماء، ثم تساءل: هل سيغفر الله لنا ما يدور بيننا؟ في تلك اللحظات القصيرة كادت أن تتغلب عليه مشاعر الخوف فكاد أن يتقيأ لولا أن تجلد ربه وتشفقه عليه. <NP>

ماذا تريد أن تشرب؟

انتبه من ذلك الكابوس المخيف على صوت المضيفة وهي تخاطبه باللغة الإنجليزية:

(X2) كانت الطعام لذيذًا، ورغم ذلك كاد أن يغوص مرة أخرى في عالم الأفكار لولا تدخل الرجل الذي يجلس بجانبه، أراك مستغرقًا في محنتك، بادره الرجل، هل بدأت بك الأشواق منذ الآن؟ ابتسم له، ثم قال: هكذا يبدو. أردف الرجل: هل هذه أول مرة تسافر فيها؟ وأنت؟ رد الرجل: تعودت على الأسفار. بعد أن كان الرجل الطويل أبيض البشرة يرتدي بذلة، كان هذا الرجل بجانبه أسود أزرقًا. فمنذ محمد أن من بلاد الشام، فالكنة لسانه تكشف عن ذلك. في هذه الرحلة الطويلة التي ستستغرق قرابة الثلاث عشرة ساعة. <NP>

جميل لو توضح مشاعر محمد وطموحه وهو ينظر إلى بلده في نافذة الطائرة.

لقد كان ذلك الفيلم يحكي قصة نبيلة عن شاب فقير من الزنوج، ضاقت الأحوال المعيشية بأسرته وبلده، فتاقت نفسه لتغييرها وتحسينها، لكنه لم يستطع، فقرر أن يهتم أولًا بنفسه، وأن ينمي مواهبه وقدراته. وعندما فعل ذلك وجد الفرص تنفتح أمامه، حتى استطاع أن يحصل على عرض في شركة أجنبية في بلاده.

واجتهد في عمله وأخلص، فقامت تلك الشركة بإرساله إلى دورات تدريبية إلى أمريكا، وبدأت مهاراته وقدراته تتعاظم، وبدأ مسؤولوه يكتشفون هذه القدرات والإمكانيات، فأوْلَوْه ثقة كبيرة، وأسندوا إليه مهمات جديدة إلى أن أصبح المدير العام للشركة في تلك المنطقة، ثم تحقق حلمه في السفر إلى المقر الرئيسي للشركة، وهناك التقى برئيس الشركة. وكم كانت فرحته عندما طلب منه رئيس الشركة ألا يغادر أمريكا، لأن الشركة محتاجة إلى قدراته وخبراته هناك أكثر من الحاجة إليها في بلاده. لذلك تم منحه إقامة دائمة في أمريكا، وأعطيت له مناصب عليا في الشركة.

لقد وجد محمد أن الأقدار قد ساقت له هذا الفيلم لتُسلِّيه مما يجد من مشاعر وأحاسيس، ولطمأنته بأن رغباته وطموحاته لا شكَّ بأنها ستتحقق بإذن الله، ولكن لا بُدَّ له من الاجتهاد والمثابرة. لقد أعاد الفيلم الثقة للقرار الذي اتخذه محمد لمواصلة الدراسة وعدم الانسياق وراء إغراءات الوظيفة والمنصب التي كثيرًا ما تصرف الشباب عن تحقيق أحلامهم وطموحاتهم. لقد كان هذا الفيلم بمثابة المحرِّك والمحفِّز لمحمد لمواصلة مشواره الذي اختطَّه لنفسه ليصل إلى آفاق عليا من النجاح.

بعد انتهاء عرض الفيلم، تم عرض أفلام وثائقية عن أمريكا، واستمتع محمد بمشاهدتها كثيرًا، وخاصة ما كان فيها من مناظر طبيعية خلابة، كالسحب الركامية التي كانت تعانق قمم الجبال وكأنها عمائم، والبحار الزرقاء الممتدة، والجبال الشاهقة الخضراء، والسهول المنبسطة التي تزينها البحيرات ومجاري الأنهار. لقد كانت تلك المناظر تبعث في نفس محمد الانشراح والبهجة، وكان طاقم الضيافة في الطائرة على درجة عالية من الخلق واللطافة، مما آنسه في رحلته وسلَّاه عن فقدان أهله وأصدقائه.

الفصل الثاني

أمريكا بلد الأحلام

جميل أن تتطرق إلى اتصاله بوالديه لطمأنتهم على وصوله.

عندما وصل محمد إلى أمريكا استقبله أحد موظفي سفارة المملكة في أمريكا، وهنَّأه على سلامة الوصول، ثم أخذه إلى فندق قريب من السفارة، وأخبره بأنه سيأتي إليه في الغد ليأخذه ليتعرف على أعضاء السفارة، وأخبره أيضًا بأن إقامته في الفندق تشمل جميع الوجبات.

استراح محمد قليلًا، ثم توجه إلى صالة الاستقبال في الفندق وتعرف على المطاعم الموجودة في الفندق، ومواعيد الوجبات، وغير ذلك من الخدمات التي تقدم فيه، وأخذ معه بعض النشرات عن الأماكن السياحية في واشنطن والمناطق المجاورة لها.

في صباح اليوم التالي جاءه مندوب السفارة، وسأله عن أحواله، وأخبره بأنهم على موعد لمقابلة السفير وبقية الموظفين في السفارة. بعد خروجهما من الفندق أخذ مندوب السفارة محمدًا في جولة في بعض شوارع واشنطن، وعرَّفه أيضًا وهم في طريقهم إلى السفارة على بعض المراكز التجارية الشهيرة، وبعض الأماكن السياحية، ومقرات بعض دوائر الحكومة.

في السفارة، التقى محمد بسفير المملكة، ورحب السفير به كثيرًا، وقال له: إنه شرف لي أن ألتقي بأول طالب من المملكة يدرس في جامعة هارفارد، وفي تخصص فريدٍ هو علوم الفضاء. ومما لا شك فيه أن الحصول على فرصة للدراسة في هذه الجامعة العريقة لهو فخر ليس لك وحدك، وإنما للمملكة بأسرها. شكر محمد السفير على ما قاله، ثم تجاذبا الحديث حول أحوال محمد وأسرته، وأحوال الدراسة في الثانوية.

بعدها طلب محمد من السفير أن يعطيه نبذة عن جامعة هارفارد، وعن الحياة هناك. أخبره السفير بأن جامعة هارفارد هي من أعرق الجامعات في أمريكا، بل وفي العالم بأسره. وأخبره كذلك بأن الجامعة لا تستقطب إلا عباقرة العالم، ولذلك فإن الدراسة فيها تحتاج إلى جهد ومثابرة. أما عن

(X1) [illegible] عند مابدأت الطائرة في الهبوط [illegible] بدأ الأحلام بمعانقتها الشاهقة، وخفرق الحديدة [illegible] ألصق وجهه بنافذة الطائرة، وهو يتخلل الأنهار الطويلة. كانت تكمن نشوة عارمة بتحقيق حلمه والوصول إلى أمريكا التي كثيراً ما شغلت فكره ومشاعره، وتنتابه أحياناً قلق من المجهول الذي [illegible] بعد لحظات قليلة من الطائرة تصوّر نفسه [illegible] ويرى حشوداً من الناس [illegible] تجمهرت أمام بوابة الطائرة لترى هذا الطفل العربي المتميز الذي جاء [illegible] ليصبح أشهر عالم في علم الفضاء. ثم تصوّر نفسه وحشود من الناس [illegible] العرب والمسلمين جاءت لاستقباله، وكل واحد منهم يعرف بعلم بلاده، وينتظر خروج هذا الفارس العظيم الذي [illegible] سينقل أمته من الضياع والجهل والتخلف، ويجعل منها أمة تقود العالم في العلم والحضارة.

[illegible] نشوة تلك الأفكار [illegible] والخيالات كانت أحياناً تراوده صورة والديه وإخوانه، فتختلط مشاعر بين الحزن لفراقهم، والتفكير فيما قد يشعرون به الآن بعد ذهابه عنهم، وبين تصوّرهم وهم يطرحون الأسئلة والحيرات بزهو وفخر بذهابه إلى أمريكا. وكلما اقتربت الطائرة من ملامسة الأرض، كلما زادت نبضات قلبه، وتضاربت الخيالات في داخله، بدأت تتلاشى تدريجياً وهو يتمتم بحمد الله على سلامة وصوله، ويدعو الله أن ييسّر أموره، ويوفقه فيما جاء لأجله. <NP>

(X2) حتى الشخص الذي كان يجلس بجانبه في الطائرة اختفى. أنهى إجراءات الخروج، ثم أخذ حقائبه، وخرج من بوابة المطار، ولم تكن غرفته وهو يرى لافتة مكتوب عليها اسمه باللغة العربية وبخط واضح. اتجه صوب الشخص الذي يحمل اللافتة، فسلّم عليه. ردّ الرجل السلام، ثم سأله: أنت محمد علي؟ ابتسم ونقسه عدة مرات قليلاً: نعم، وأنت؟ أنا موظف في سفارة المملكة هنا واسمي [illegible]، وجئت لاستقبالك. استبشر محمد بهذا الرجل وأحسّ بشيء مما كان يعني نفسه به من قبل من استقبال الناس له. <NP>

كانت الساعة الثانية بعد الظهر. اجتمعت الأسرة على الغداء، وانتبه علي سؤال عمه محمد. نبرة حزينة ردّت خديجة: لم يتصل إلى الآن، وأنا قلقة عليه. لماذا لا تتصل يا أبا محمد لتسأل عنه؟ أجاب نبرة متقطعة تمتزج فيها الإرهاق والحزن: حاولت أتصل يا أم محمد؛ لو أعرف شخصًا يعرف أين هو الآن لاتصلت به. اتصل بسالم، فربما يعرف عنه شيئًا، وأدّن عليه. كان سالم وشيماء أيضًا في حلب، فقد مرت أكثر من سبعة عشر ساعة منذ إقلاع طائرته، وإلى الآن لا يعرفوا عنه شيئًا. ~~استحلفها~~ علي وخديجة أن ينتظرا إلى بعد صلاة العصر، ثم يحاول علي أن يتصل بسالم. دخلا غرفتهما فنام سعيد، ولكن خديجة بقيت تذرف الدموع، وتشق العبرات، وتحاور ربّ الراحة.

قفزت خديجة من سريرها، وهرولت إلى الهاتف المعلّق في الممر. السلام عليكم، قالها بصوت مسموع ونبرة سريعة توحي بأنها تريد التعرف من المتصل. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، كان يلقي الكلمات بنبرة متقطعة تمتزج مع البهجة. كيف أحوالك يا أمي؟ أنا محمد. محمد، ردّت عليه بصوت خائف وهي تبكي، لماذا لم تتصل يا ولدي؟ لقد خشيت أن يكون وقع لك مكروه. أين أنت الآن؟ هل أنت بخير؟ أمطرت عليه وابلًا من الأسئلة ~~بسرعة~~ وبسرعة منعته من الرد عليها، وحين انتهت قالت له: لماذا لا تتكلم يا ولدي؟ ماذا بك؟ <NP/>

كان محمد في شقة عارمة، وكان يسمع أسئلة أمه وقلقها عليه فيتبسم. اطمئني يا أمي، أنا الآن في فندق الموريان. أين؟ صرخت عليه غاضبة وقال: فندق يا أمي، وهذا المكان مثل القصر، وأنا أسكن فيه الآن، وأتصل بكم منه. بدأ يشرح محمد لوالدته ملخص ما حصل له منذ أن تركتهم في المطار إلى هذا الوقت، وأمه لا تنقل تلقي عليه أسئلة تتبع عما بداخلها من قلق وحزن. استمرت المكالمة لأكثر من نصف ساعة، وقبل أن يغلق سماعة الهاتف سأل عن أبيه وإخوته، فطمأنته عليهم وأخبرته بأنهم نائمون، ودّعها بعد أن أخبرها بأنه سيعاود الاتصال في المساء ليطمئن على والده وإخوته. <NP/>

ارتاح ضمير محمد بعد الاطمئنان والدته على أحواله، ~~وبقي~~ بقي أن يخبر شيماء وسالم، ~~وأن~~ فتح حاسوبه المحمول وأدخله بالإنترنت - كما شرح له موظف الفندق - ثم بدأ ~~في~~ أن يرسل رسالة لسالم وأخبره بأحواله وطمأنه على نفسه. ~~كان~~ كان قد طلب رسالة شيماء ولكنه فضل البدء ~~بالكتابة~~ بالكتابة إلى سالم ~~لأنه~~ خشية أن تتحول مشاعره من بهجة إلى حزن بعد أن يقرأ رسالة شيماء. لكن شيماء تعلمت من بعض الكتب والروايات التي قرأتها أن تكتب دومًا متفائلة، وأن ~~لا تظهر~~ ~~ما~~ ~~عليه~~ لا تظهر طبيعي ما عليه أن يعكر صفو حياته. كانت رسالة فيها من عبارات المرح والأنس ما جعلت المشاعر العاطفية تشتعل عند محمد، وخشي أن تكون رآها أمامه وهي تتحادث معه بوجه علاه البشر، وتغر لا تفارقه الابتسامة. ~~كان~~ زاد ابتهاجه عندما أخبرته عن نفسها، وأنها غيرت من مشاعرها من الحزن لفراقه إلى الفخر والاعتزاز به، فهو حبيبها الذي ليس مثيل في هذا الدنيا، كما كتبت له في رسالتها. كان ردّه على رسالة شيماء مجدي الموسان في ليلة الزفاف، ~~كان~~ مشاعر حب، وكلمات تفاؤل، وعبارات فيها من الطاقة والإيجابية ما جعلت شيماء ~~لا~~ تبقى تتقلب في فراشها إلى قرابة الفجر للنشوة والبهجة التي غمرتها.

موقعها، فإنها في ولاية ماستشوست، وهي تبعد عن واشنطن حوالي ساعة وربع بالطائرة، أو بضع ساعات بالسيارة. وسأله محمد عن المناطق التي ينصحه بالحصول على شقة فيها، فأخبره السفير بأن إيجارات غالبية الأماكن في واشنطن وماستشوست باهظة الثمن، رغم أن بعضها ليست حديثة البناء، وأن المناطق القريبة من الجامعة قد تكون الأنسب بالنسبة للطلاب، رغم أنها في كثيرٍ من الأحيان ليست بالأرخص.

بعد خروج محمد من عند السفير عرَّفه المندوب ببعض موظفي السفارة، ومنهم الملحق الثقافي والملحق الصحي والمسؤول عن الشؤون المالية، وأخبره هؤلاء بأنه يمكنه المجيء إلى السفارة أو الاتصال بهم في أي وقت يشاء بدون سابق موعد. بعدها، أخذه المندوب في جولة في أقسام السفارة، وأعطاه بعض الكتيبات والنشرات التي قد تساعده على العيش في أمريكا.

بعد انتهاء زيارته للسفارة، عاد محمد إلى الفندق، واستراح قليلًا في غرفته، ثم خرج لتناول الغداء في أحد مطاعم الفندق. بعد الغداء، عاد محمد إلى غرفته وبدأ يتصفح الأوراق الموجودة هناك، والأوراق والكتيبات التي أعطاها إياه مندوب السفارة.

كان المندوب السفارة قد أخبره بأن رحلته إلى ماستشوست ستكون في صباح الغد، ولذا فإنه ما زال عنده متسع من الوقت للتعرف على واشنطن. أخرج محمد دليل الهاتف، وبدأ يتصفحه ويبحث عن المراكز الإسلامية، وتذكر المعلومات التي ساعده مدرس التربية الإسلامية للحصول عليها حول المراكز الإسلامية والمؤسسات المهمة في واشنطن.

التفصيل فيما يتعلق بالجاليات

بدأ محمد يتصل ببعض المراكز الإسلامية، ويسألهم عن عناوينهم وبُعدهم عن سفارة المملكة. كذلك، سألهم محمد عن الأنشطة التي يقومون بها، فأخبروه بأنه تقام في كل مركز إسلامي الفرائض الخمس وصلاة الجمعة، بالإضافة إلى بعض الدروس الدينية، وبعضها كانت توجد بها مدارس لأبناء الجاليات الإسلامية.

قرر محمد أن يذهب بعد الظهر لزيارة بعض الأماكن الشهيرة في واشنطن. استغرقت جولة محمد إلى قرابة المغرب، وفي طريق عودته طلب من سائق سيارة الأجرة أن يوصله إلى أحد المراكز الإسلامية

القريبة من الفندق الذي يسكن فيه. عندما وصل إلى المركز الإسلامي توضأ وصلى المغرب. وبعد الصلاة ذهب محمد إلى إمام المركز وعرَّفه بنفسه، فاستبشر الإمام بمحمد، وسُعِد كثيرًا لما رأى من حسن أخلاقه [الإشكالية الفنية في كيفية معرفة الراوي بسعادة الإمام وإعجابه بحسن أخلاقه]، وأنه جاء للدراسة في جامعة هارفارد.

بقي محمد في المركز إلى صلاة العشاء. وبعد الصلاة توجَّه إليه إمام المركز وأخبره بأنه سيوصله إلى الفندق بنفسه، وألحَّ على ذلك. بعد خروجهما من المركز، توجَّه الإمام أولًا إلى بيته، وعندما وصلا أخبر محمدًا بأنهما سيتناولان العشاء أولًا، ثم يوصله إلى فندقه. لم يجد محمد بُدًّا من الموافقة، فتناولا العشاء، ثم طلب من الإمام أن يذهبا للفندق.

شكر محمد الإمام المركز ما قدَّمه له من حسن الضيافة وطيب المعاملة. وفي الطريق سأل محمد إمام المركز عن الحياة في ماستشوست بشكل عام، وجامعة هارفارد بشكل خاص. أوضح الإمام له الكثير من النقاط، وأهداه الكثير من النصائح التي تعينه على التمسُّك بدينه، وفي الوقت نفسه التفوُّق في دراسته. كذلك، لم ينسَ الإمام أن يزوده بعناوين وهواتف بعض المراكز الإسلامية القريبة من جامعة هارفارد.

في اليوم التالي أوصلته سيارة الفندق إلى مطار واشنطن رونالد ريجان الداخلي، وركب محمد الطائرة ليصل إلى مطار بوسطن في ماستشوست بعد حوالي ساعة وربع، بعد وصوله المطار استقلَّ سيارة أجرة إلى فندق قريب من جامعة هارفارد كان قد أخبره عنه إمام المركز في واشنطن.

عندما وصل محمد إلى الفندق، واستراح قليلًا في غرفته، اتصل برقم أحد الأشخاص الذين زوَّده إمام المسجد في واشنطن بأرقامهم. عرَّف محمد الشخص بنفسه، وأخبره بأنه يرغب في زيارة المركز الإسلامي. سُعِد الشخص بطلب محمد، وأخبره بأنه سيتصل به لاحقًا.

استراح محمد في الفندق قليلًا، ثم خرج لتناول الغداء في أحد مطاعمه. بعد الغداء عاد إلى غرفته، وصلى الظهر والعصر، ثم قرأ شيئًا القرآن، بعدها، أخذ واحدًا من الكتيبات التي اصطحبها معه وبدأ القراءة فيه. وقبيل المغرب اتصل به الشخص من المركز الإسلامي الذي تكلم معه في الهاتف،

(A1) واستغل هذه الفترة ليتعرف على الخدمات التي يقدمها المركز، وخاصة لخدمة الجاليات المسلمة، تعرف على بعض الأشخاص من جنسيات عربية وغير عربية، وكانت لغته الإنجليزية كافية ليتفاهم مع غير العرب. كان يركز في حديثه مع هؤلاء عن الظروف التي يمرون بها هنا، وأحوال بلدانهم، عرف أن غالبية هؤلاء هم مهاجرون، وأن الظروف المعيشية كانت السبب الرئيسي لهجرتهم، وأحيانا كانت الحروب الأهلية في بلدانهم، واعتداءات الدول الكبرى سببا لتشردهم ثم هجرتهم إلى أمريكا. وجد أن غالبية المهاجرين يكنون لأمريكا الاحترام لما حصلوا عليه من تسهيلات، وخاصة فيما يتعلق بإقامتهم وحصولهم على وظائف مناسبة. لكنه يعلم كما لا يخفى عليه المضايقات والامتهانات التي يتعرض لها بعضهم حين وآخر، سواء من الموظفين أو عامة الناس.

بدأت تتشكل في ذهنه صورة عن واقع المسلمين في أمريكا، وبقدر ما كان يشعر بالتعاطف معهم بقدر ما يزيد حماسا للدور الذي عليه أن يقوم به لمساعدة إخوانه سواء في أمريكا أو بعيدا عنها. وددت لو جمعت لديه معلومات أكثر، أو أنه يعيش أقدرهم على أحوال المسلمين والتفاعل معهم، ولكنه ذكر نفسه بأنه ما ساقه الله إلى هذه البلاد إلا ليكتسب من العلوم والقدرات والمهارات التي تجعله قادرا على التفاعل مع ما يجري حوله بشكل مؤثر وفعال.

(X2) بعد أن رجع إلى عزفت كتب رسالة إلى شيماء، وشرح لها تفاصيل ما حصل له منذ وصوله في ذلك اليوم. لم يكن هدفه من الكتابة إليها مجرد التواصل، وإنما أراد أن يبني فيها الفكر الدعوي، وخاصة الاهتمام بأحوال الأمة. لقد وجدت المسلمين يعيشون هنا كغرباء، وما ينبغي للمسلم أن يكون كذلك، فهو خليفة الله في أرضه، وليذكرها فهذه أرضه وغير المسلمين هم الغرباء. لم يكن هذه الكلمات لتزيين شخصيته لشيماء، وإنما كانت نابعة من قلبه المملوء بحال المسلمين، الذي يتلهف لليوم الذي تسنح له الفرصة لأن يبدأ في التغيير.

وأخبره بأنه يريد أن يمر عليه ليذهبا سويَّة إلى المركز الإسلامي القريب من الجامعة ليُصلِّيا المغرب هنالك.

رحَّب محمد كثيرًا بالفكرة، وأخبر المتصل بعنوان الفندق الذي يقيم فيه، وأخبره بأنه سينتظره في صالة الاستقبال. غيَّر محمد ملابسه، وتوضأ ثم خرج لانتظار قدوم صاحبه. وبعد حوالي عشر دقائق دخل الفندق شابٌّ ملتحٍ في بداية الثلاثينات من عمره. لمح محمد الشاب، فعرف أنه من اتصل به، فتوجَّه نحوه، ثم بادره بالسلام. عرف الشيخ عبدالله أحمد وأنه قدهاجر مع والده منذ أكثر من عشرين عامًا.

جميل أن تشرك محمد في سرد بعض الأحداث على لسانه، فهو ما يجعل القارئ مستمتعًا بتنوُّع الأساليب.

ردَّ الشاب السلام، ثم قال: محمد، أليس كذلك؟ رد محمد وملامح البهجة بادية على محياه: نعم هو. قال الشاب: أنا اسمي عبدالله أحمد، وأنا من فلسطين. قال محمد: مرحبًا بك أخي عبدالله، وإني سعيد بأن ألتقي بأمثالك في هذه البلاد. قال الشيخ عبدالله: وأنا سعيد أيضًا بأن أرى شابًّا مسلمًا على مثل هيئتك ودماثة خلقك. نكَّس محمد رأسه، ثم قال: أشكرك يا شيخ، وعسى أن أكون عند حسن ظنك.

خرج محمد والشيخ عبدالله من الفندق، وفي الطريق إلى المسجد تجاذبا أطراف الحديث، وتعرفا على بعضهما البعض، وأخبره الشيخ ببعض أحوال المسلمين في أمريكا بشكل عام وفي ماستشوست بشكل خاص، وما تقدمه المراكز الإسلامية من خدمات للمسلمين.

سأل محمد الشيخ عبدالله عما يمكن أن يقوم به الطالب في أمريكا لخدمة دينه، فأخبره الشيخ بأن هنالك العديد من المنظمات الطلابية التي توجه أنشطتها واهتماماتها للمسلمين القادمين من الدول الإسلامية، وأنه توجد لهذه المنظمات الطلابية مكاتب في كثير من الجامعات، وتقام لها في بعض الأحيان ملتقيات ومؤتمرات. وأخبره كذلك بأن هناك ما يُعرف باتحاد الطلبة المسلمين، وهو موجود في جامعة هارفارد، وهو امتداد للفروع الأخرى الموجودة في الجامعات الأخرى.

بعد صلاة المغرب أخذ الشيخ عبدالله محمدًا في جولة في أرجاء المركز الإسلامي، وعرَّفه على إمام المسجد، وعلى بعض الأشخاص المقيمين والوافدين، وعرَّفه أيضًا على بعض الطلاب الذين أتوا من

دول إسلامية مختلفة، وبعضهم يدرس في جامعة هارفارد، وبعضهم يدرس في جامعات وكليات أخرى.

استمتع محمد كثيرًا بهذه الزيارة، حيث أحسّ أن الأبواب لخدمة الأمة قد باتت مفتحة على مصارعها، وأن عليه أن يستغل فترة دراسته في أمريكا للقيام بما يعين المسلمين على التمسك بدينهم والنهوض بأمتهم. صلى محمد العشاء في المركز الإسلامي، وبعد الصلاة أخذه الشيخ عبدالله إلى الفندق، وأخبره بأنه سيمر عليه قبيل كل صلاة ليُصلِّيا في المركز الإسلامي.

في فترة إقامة محمد في الفندق ساعده الشيخ عبدالله في الحصول على شقة قريبة من المركز الإسلامي. (X1) كذلك، فقد عرَّفه على بعض الطلاب الذين يدرسون في جامعة هارفارد، والذين لهم نشاط متميِّز في اتحاد الطلبة المسلمين.

قام هؤلاء الطلاب بمساعدة محمد في إنهاء إجراءات التسجيل في الجامعة، وغيرها من الإجراءات الإدارية، وقاموا أيضًا بتعريفه على بعض الأماكن المهمة في الجامعة، وعرَّفوه أيضًا على اتحاد الطلبة المسلمين، وأخذوه إلى مقر الاتحاد في الجامعة، وتعرَّف هناك على بعض الأنشطة التي يقوم بها الاتحاد. (X2)

بعد ٩ صفحات أشرت إلى قطع الهاتف والكهرباء، فمن الجميل أن تشير هنا إلى ظروف حصوله على السكن وأساليب توصيل الخدمات مثل الهاتف وغيره حيث إن لديهم ميزات وسلبيات. فكر ثم قرر.

كانت طموحات وأحلام ومعنويات محمد تعلو كل يوم نظرًا لما يراه من الفرص التي تتسابق أمام عينيه. لقد وجد مناخًا مناسبًا للتمسك بدينه والارتباط بإخوانه المسلمين، ووجد أيضًا البيئة المناسبة للمشاركة في الخدمات والأنشطة التي تقام لخدمة المسلمين، ووجد في اتحاد الطلبة المسلمين في الجامعة فرصة للاهتمام بأحوال إخوانه الطلاب المسلمين الذين يدرسون في الجامعة، وأيضًا لمدِّ خيوط التواصل مع المنظمات الطلابية الأخرى، وتفعيل دعوة غير المسلمين في الجامعة.

أحسَّ العاملون في المركز الإسلامي باهتمامات محمد فأوْلَوْه عناية خاصة؛ فكانوا يدعونه للمشاركة في الاجتماعات والمؤتمرات واللقاءات وغيرها من الفعاليات التي تقام في ذلك المركز الإسلامي أو في غيره

(X1) مما أحفظ وجده محمد هو أنه الكهرباء والماء والهاتف موجودة في الشقة، وما عليه هو فقط الاتصال بالشركات المزودة لتلك الخدمات، وتقديم بيانات الشخصية لهم. مما طلبته شركتي الكهرباء والماء هو دفع مقدم بمقدار مئتي دولار تقاميني، وأخبروه بأنه سيسترجع ذلك المبلغ بعد دفع تلك الخدمات، وكان أيضاً قد دفع ستة مئة دولار قبل توقيعه على عقد إيجار الشقة. أوضح له السيد عبد الله بأنه هذه الإجراءات تسري على الجميع وخاصة الطلاب الجدد. القانون الأمريكي لا يجيز التمييز بسبب الناس على أساس عرقي أو ديني أو بسبب اللغة أو اللون أو الجنس، أوضح له السيد أحياناً تحدث تجاوزات لذلك من قبل بعض الأفراد. رغم أنه موظف المملكة قد أخبرته بأنه سيدفع له تكاليف الصندوق الذي سيبقى فيه طيلة فصوله في سكنه، إلا أنه عليه أنه يدفع ذلك بنفسه. لاحظ محمد كمية المبالغ التي عليه أنه يدفعها. ماذا لو لم يعطني والدي ألفي دولار كرسائل نقد، هل سيكون بإمكاني تأمين إقامتي في هذه البلاد؟ أحس بالنعمة العظيمة التي كانه يتمتع عندما كان في المملكة، جميع كانه لا يهتم بمصاريف سكنه أو طعام أو شراب أو خدمات، واستشعر كذلك الدور الكبير الذي كانه والده يقوم به في توفير جميع احتياجاته. وبعد أنه فقل لا ما قام به في ذلك اليوم عندما كتب لشيماء ذلك المساء قال لها: إن الحياة المعيشية هنا لا تطاق، وقد أدركت الآن بالدور العظيم الذي يقوم به آباؤنا في تأمين حياة رغيدة لنا دون أن نبذل فيه شيئاً مقابل ذلك. علقت شيماء في ردها له: لا تنس أنه حالك هو خير من كثير من الطلاب الوافدين، وأقترح أنه توجدوا وسائل لإعانة هؤلاء، وتسهيل أمورهم. واتفق محمد على ذلك. ٨٩٢.

(X2) وجد محمد أنه عليه أنه الأستاذ أسامة بما وجده في أمريكا، فهو صاحب أفضال كثيرة عليه. أرسل له رسالة بريدية إلكترونية شرح له ملخص ما جرى له منذ وصوله إلى هذا اليوم. لكن محمداً لم يتوقع أن يرد مجرد الأحداث، وإنما كانه يعلق عليك بما يجلها بواقع أمته، والدور الذي عليه أنه يقوم به. مما كتبه له: وجدت يا أستاذي أنه المقولة الشهيرة "في بلاد الغرب إسلام بلا مسلمين، وفي بلادنا مسلمين بلا إسلام" ليست صحيحة. ثم شرح له قائلاً: هنا ملايين المسلمين، والقلة النادرة منهم من تجسد الإسلام في حياته، وأما الباقون فهم تائهون لكثيرهم من المسلمين. ثم أردف: إن الجهد الذي علينا القيام به تجاه هؤلاء عظيم، وأسأل الله أنه يعيننا على القيام بجزء يسير من ذلك.

N2

N3
كما كان سرور الأستاذ أسامة عندما قرأ رسالة محمد وشعر بالدور الذي عليه أن يقوم به لتخريج شباب من أمثال محمد، ففي نظر أسامة الشاب الذي يصل إلى المرحلة الثانوية ولا يبدأ في الخدمة يحتاجه وأمته، يكون الصعب التعويل عليه فيما بعد. شعر كذلك بأهمية التربية الإيمانية أساس لا يمكن التفريط فيه، ثم تتبعها التربية الفكرية ثم العلمية والثقافية. لقد فتحت رسالة محمد له آفاقا جديدة من وسائل التربية التي عليه أن يمارسها نفسه لكي، ويحفز بقية المدرسين على القيام بها.

N3 عندما بدأت إجازة ما بين الفصلين، اشتغل الأمريكان باحتفالات عيد الميلاد وحول الشجرة الميلادية، وفي الوقت نفسه نشطت المنظمات الإسلامية في إقامة مؤتمرات للمسلمين، كان أشهرها المؤتمر السنوي الذي تعقده رابطة الشباب المسلم العربي، ويشترك فيه مجموعة من شباب المركز الإسلامي وأعداد الطلبة لحضور هذا المؤتمر، والذي كان في هذا العام في مدينة ؟؟؟ بولاية ؟؟؟. لأول مرة في حياته، رأى محمد ذلك التجمع الهائل للمسلمين، والذين كان أغلبهم من الشباب ذوي الدعاة. استطاع في فترة المؤتمر أن يتعرف على كثير من إخوانه المسلمين من مختلف دول العالم الغربي، وكثير من المحاضرين الذين جاء أغلبهم من خارج أمريكا، وأيضا من الدعاة الشباب الذين قدموا من مختلف ولايات أمريكا. كان لا يلتقي بحضور محاضرات المؤتمر وإنما يستغل أوقات الصلوات والراحة في محاولة التعرف على أكبر عدد ممكن بتوسم فيهم الهمة والحماس لخدمة هذا الدين، وتكونت لديه العديد من الأفكار والمشاريع الدعوية المستقبلية، سواء في أمريكا أو في المملكة.

N4 ظلت تنتظر عودته إلى البيت إلى قرابة الحادية عشرة، وما إن دخل من الباب حتى أسرعت إليه وقالت: لقد وصل. تصنع أنه لا يعرف فردد: من؟ فقالت: محمد. ألم تخبرك شيرة كنتي عن العائلة التي ستنزل عندنا؟ فقال: نعم، لقد أخبرني بأنه سيصل اليوم، ولكني كنت قد نسيت ذلك. ما لم تدركه أسماء هو أن مشاعر أخيها تجاه محمد قد تغيرت منذ زيارته قبل أيام قليلة، وخاصة بعد أن أصبح صاحب الزيارة، فقد ملأ العمل، واشتغلت اهتماماتهم وأحاديثهم للبيتزا والرحلات، حتى ستذهبان للزيارة؟ فجأة بسؤال، فقد كان ينوي الاقتصار على الاتصال به هاتفيا، وما يقوم به، وما أمر عليه في الغد، رد على، فترجته أن يأخذها معه، وكان راضيا، لا يرى أي مشاعر عاطفية التي كانت بينه وبين محمد، بل إنه كانت تراوده أحيانا الرغبة في لقاء صديقه العزيز يونس، الذي صار من خلال زمالته في العمل - البديل الأفضل لمحمد، وكان ينوي من وراء ذلك التقرب إلى أخته صفاء، التي لاحظها عدة مرات عندما كان يزوره في بيته.
N5 (NP)

من المراكز الإسلامية الموجودة في مدينة بوسطن، وفي بعض الأحيان في مناطق أخرى. وعندما يأتي إلى أمريكا أحد المشائخ أو الدعاة المسلمين، فإن محمدًا كان يُدعى للالتقاء بهؤلاء والتعرف عليهم. لكل هذا، فقد بدأت تتشكل أمام ناظريْ محمد أحلامٌ براقة لم يتركها لخياله فقط وإنما بدأ يضع لها خططًا وتصورات لتحقيقها.

أما في الدراسة، فقد حصل محمد على أكثر من ست مائة درجة في امتحان التوفل، والذي كان المتطلب الأساسي للدراسة في الجامعة لغير الناطقين باللغة الإنجليزية. وقد أتاح له ذلك ليشرع في دراسته من أول فصل. وما إن بدأ الفصل الدراسي حتى واظب محمد على دراسته واجتهد فيها، واستطاع أن يحافظ بجدية وجدارة على معدل تراكمي لا يقل في كل فصل عن ٣.٩.

كل ذلك أهَّل محمدًا لتصدُّر قائمة لوحة الشرف الأولى من أول فصل، ورأى مدرسوه نجابته، وبدأ زملاؤه من الطلاب يعرفون نبوغه، وكانوا يأتون إليه عندما تصعب عليهم بعض المسائل. وكان المدرسون لا يفتأون يذكرون اسمه في اجتماعاتهم ولقاءاتهم، ويتحدثون عن مستواه الدراسي المتميز، وقرروا أن يُشركوه في أنشطة القسم المختلفة، وأعطوه فرصة للمشاركة في العملية التدريسية من خلال مكتب المساعدة الذي يقدمه القسم كخدمة لمساعدة طلاب علوم الفضاء.

> من الجميل أن تكون هناك حبكة أو عقدة أو مشكلة تواجه محمد ثم يستطيع تجاوزها

وما إن ظهرت نتائج الفصل الأول حتى طارت الأخبار إلى سفارة المملكة في واشنطن، وتلقى محمد اتصالًا هاتفيًّا من السفير والملحق الثقافي هناك على التميُّز الدراسي الذي حصل عليه. كذلك، فقد تلقى محمد رسائل من بعض المنظمات الطلابية العلمية وغير العلمية تهنئه على ما حققه من مستوىً متميز في دراسته، وعرضت عليه بعض تلك المنظمات الانضمام إليها كعضو.

لكن محمدًا كان يعلم حساسية مثل تلك القرارات، فكان يأخذ ما يصله من عروض إلى إخوانه في اتحاد الطلبة المسلمين لاستشارتهم حولها، وكانوا يخبرونه بأن بعض المنظمات الطلابية لها أهداف قد تكون بعيدة عن توجهاته هو، ولبعضها تاريخ عدائي نحو الإسلام والمسلمين. قرر محمد أن ينظم إلى بعض المنظمات الطلابية التي اطمئن إليها قلبه، وشجعه على الانضمام إليها بعض إخوانه. وقد وجد في تلك المنظمات بيئة خصبة لنبوغه وتميزه في مجالات مختلفة.

رغم أنه لغته الإنجليزية كانت جيدة عندما أتى المملكة، لكنه متطلبات جامعة
X3 هارفارد أجبرته على قضاء الفصل الأول في تقوية لغته. كرّس معظم
أوقات النهار لدراسته، مع مساعدته أنشطته الدعوية التي عاد لها في فترة
المساء. وكذلك حافظ على ممارسة الناطقين بالعربية على تقوية لغته الكلامية
في نهاية الفصل.

X4 كانت فترة دراسة اللغة بالنسبة له فرصة للتعرف على المجتمع الأمريكي،
حيث بنى علاقات مع إخوانه في المركز الإسلامي هناك والجالية. كذلك كان
له دور فعال في بناء صداقات مع إخوانه من المملكة الذين يدرسون في أمريكا. كان
يقضي هؤلاء يدرسون في بوسطن، ويقضي في زيارات أخرى، وكان همه هو
تحفيزهم على الدراسة والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث إنه وجد
أن العديد منهم قد اغتر بالحياة في أمريكا وانشغل بملذاتها وأهوائها،
فقرر في أوقاته وأعماله وأهمل الدراسة.

في هذه الفترة بدأت بشائر ومنهج الأخيرة في الثانوية، وبقي محمد
متواصلاً مع عبد الباسط الكدوري، يحفزهما على الدراسة، ويبعث فيهما روح
الطموح والمثابرة، وبين فينة وأخرى يذكرهما بالدعوة والاستقامة على دين الله. أما
لأهله فقد صار يتواصل معهم بشكل أسبوعي، ويطلع على أحوالهم
N3 بشكل دائم. ويرسل بعض الصور التي يلتقطها للتقدم في المناسبات
والفعاليات التي يحضرها، وأيضاً صوراً تنقل لهم
ملامح من الحياة في المجتمع الأمريكي.

X5 لقد كان يوقن في قرارة نفسه أن نجاحه وتفوقه ليس من كسبه وجهده، وإنما
هي منة من خالقه، ولذلك فقد كان كثير الالتجاء إلى الله، وخاصة عندما
تعترضه مشكلة أو يداهمه خطب. لم يترك صلاة الجماعة منذ أن استقر في رحلته،
وكان له وِرد اليومي من كتاب الله، فضلاً عن محافظته على قيام الليل. ومنذ
أن بزغت تجليات لحيته وهو في الصف الحادي عشر لم يحلقها أو يقصرها،
فالتحية بالنسبة له شعار المؤمن، وهو يعتز بإسلامه حتى عندما كان يقدم
عرضاً في الصف كان يفتتح بالبسملة باللغة العربية ثم يترجم باللغة الإنجليزية.
فعندما ترى هيئته وما عليه من وقار وتواضع تحب أن تجلس مع أحد شيوخ العلم.
كان له طاقة مذهلة تلازمه في كل الأحوال، ولذلك
وقد حرص على العلم الشرعي والتفقه في دينه من خلال الكتب التي أحضرها معه، والدروس
التي لا يفرط فيها في المركز الإسلامي. كذلك وجد ضالته في الكتب الإسلامية ←

N3
كما كان سرور الأستاذ أسامة عندما قرأ رسالة محمد وشعر بالدور الذي عليه أن يقوم به لتخريج شباب من أمثال محمد، ففي نظر أسامة الشاب الذي يصل إلى المرحلة الثانوية ولا يبدأ في الخدمة يحتاجه وأمته، يكون الصعب التعويل عليه فيما بعد. شعر كذلك بأهمية التربية الإيمانية أساس لا يمكن التفريط فيه، ثم تتبعها التربية الفكرية ثم العلمية والثقافية. لقد فتحت رسالة محمد له آفاقا جديدة من وسائل التربية التي عليه أن يمارسها نفسه لكي، ويحفز بقية المدرسين على القيام بها.

N3 عندما بدأت إجازة ما بين الفصلين، اشتغل الأمريكان باحتفالات عيد الميلاد وحول الشجرة الميلادية، وفي الوقت نفسه نشطت المنظمات الإسلامية في إقامة مؤتمرات للمسلمين، كان أشهرها المؤتمر السنوي الذي تعقده رابطة الشباب المسلم العربي، ويشترك فيه مجموعة من شباب المركز الإسلامي وأعداد الطلبة لحضور هذا المؤتمر، والذي كان في هذا العام في مدينة ؟؟؟ بولاية ؟؟؟. لأول مرة في حياته، رأى محمد ذلك التجمع الهائل للمسلمين، والذين كان أغلبهم من الشباب ذوي الدعاة. استطاع في فترة المؤتمر أن يتعرف على كثير من إخوانه المسلمين من مختلف دول العالم الغربي، وكثير من المحاضرين الذين جاء أغلبهم من خارج أمريكا، وأيضا من الدعاة الشباب الذين قدموا من مختلف ولايات أمريكا. كان لا يلتقي بحضور محاضرات المؤتمر وإنما يستغل أوقات الصلوات والراحة في محاولة التعرف على أكبر عدد ممكن بتوسم فيهم الهمة والحماس لخدمة هذا الدين، وتكونت لديه العديد من الأفكار والمشاريع الدعوية المستقبلية، سواء في أمريكا أو في المملكة.

N4 ظلت تنتظر عودته إلى البيت إلى قرابة الحادية عشرة، وما إن دخل من الباب حتى أسرعت إليه وقالت: لقد وصل. تصنع أنه لا يعرف فردد: من؟ فقالت: محمد. ألم تخبرك شيرة كنتي عن العائلة التي ستنزل عندنا؟ فقال: نعم، لقد أخبرني بأنه سيصل اليوم، ولكني كنت قد نسيت ذلك. ما لم تدركه أسماء هو أن مشاعر أخيها تجاه محمد قد تغيرت منذ زيارته قبل أيام قليلة، وخاصة بعد أن أصبح صاحب الزيارة، فقد ملأ العمل، واشتغلت اهتماماتهم وأحاديثهم للبيتزا والرحلات، حتى ستذهبان للزيارة؟ فجأة بسؤال، فقد كان ينوي الاقتصار على الاتصال به هاتفيا، وما يقوم به، وما أمر عليه في الغد، رد على، فترجته أن يأخذها معه، وكان راضيا، لا يرى أي مشاعر عاطفية التي كانت بينه وبين محمد، بل إنه كانت تراوده أحيانا الرغبة في لقاء صديقه العزيز يونس، الذي صار من خلال زمالته في العمل - البديل الأفضل لمحمد، وكان ينوي من وراء ذلك التقرب إلى أخته صفاء، التي لاحظها عدة مرات عندما كان يزوره في بيته.
N5 (NP)

أما اتحاد الطلبة المسلمين، فقد كان محمد يتردد إليه كل يوم، وكان لا يفوته شيء من الفعاليات أو الأنشطة التي كان يقيمها الاتحاد في الجامعة، وبدأ محمد يتعرف على الأساليب المتبعة حاليًا في الاهتمام بدعوة الطلاب المسلمين وغير المسلمين، وتناقش مع بعض مسئولي الاتحاد حول ابتكار وسائل جديدة للدعوة. وقد أثارت تلك المناقشات والاقتراحات اهتمام مسئولي الاتحاد، وكانوا لا يتوانون في دراستها، والبدء في تطبيق بعضها.

وتعاون محمد مع بعض مسئولي الاتحاد في إصدار أول مجلة طلابية تخدم المسلمين في الجامعة، وسمَّوْها "صوت الطلاب المسلمين". وقد استغل محمد قدراته ومواهبه وأسلوبه الرفيع في كتابة المقالات والأخبار في هذه المجلة، وبدأت أخبار محمد والأنشطة التي يقوم بها في الجامعة تسري إلى خارج الجامعة، بل إلى مدن وولايات أخرى، وتلقى محمد اتصالات عديدة من مراكز إسلامية ومنظمات طلابية في جامعات أخرى ومدن أخرى، وكان المتصلون يدعونه لزيارتهم وإلقاء المحاضرات والدروس عندهم.

لم يشأ محمد أن يقطع حبل تواصله مع دراسته ونشاطاته الدعوية فقرر أن يبقى فصل الصيف بأكمله في أمريكا، ما عدا حوالي عشرة أيام ذهب فيها بعد انتهاء فصل الربيع لزيارة أهله الذين كانوا في شوق كبير لرؤيته بعد غياب طال عامًا كاملًا، لم تغب اهتمامات محمد عن باله حتى في الفترة القصيرة التي قضاها بين أهله وأصدقائه، فكان يخبرهم عن أحوال المسلمين في أمريكا، والأنشطة التي يقومون بها، وكان يُحفِّز أصدقاءه وزملاءه للتمسك بدينهم وتفعيل واستغلال قدراتهم وطاقاتهم لخدمة الإسلام والمسلمين.

من أهم ما كان يريد محمد تحقيقه في رحلته القصيرة إلى المملكة هو أن يلتقي ببعض مدرسيه، وخاصة مدرس التربية الإسلامية، ويوافيهم بما قد أنعم الله عليه من فرص عظيمة عند ذهابه إلى أمريكا. وفعلًا، التقى محمد بأستاذ التربية الإسلامية، وبدأ يقص عليه أحواله في أمريكا، وكيف أن فرص الدعوة وخدمة الإسلام والمسلمين متاحة أكثر مما هي في بلدان المسلمين.

واقترح محمد على أستاذه أن يبدؤوا بنقل بعض تلك الأفكار وتطبيقها في المملكة، وخاصة ما يتعلق بالمنظمات الطلابية؛ كاتحاد الطلبة المسلمين وغيرها من المنظمات العلمية. وأوضح محمد لمدرس التربية الإسلامية أنه وإن كانت البداية ستكون بسيطة، إلا أنها على مرور السنوات ستنمو، وسيتم

(X2)

كانت أم محمد تعدُّ الأيام عدًّا، وكانت لا ترى إقبال
بكل إلا وتُسأله عن موعد عودته وهو يجيبها بأنه سيعود في نهاية الفصل. ولم
فرحت عندما حدَّد لها في اتصاله الأخير بأهله موعد قدومه. أما هو فكانت الأشواق
لرؤية أحبابه لا توصف. كتب لشيماء مرة: لقد بدأ تركيزي في المحاضرات
يقل، وصار ذهني يسبح في أحلام جميلة لرؤيتكم. أعيش في بيتنا، تغمرني
النظرات الحانية والابتسامات البريئة. فأشعر بداخل بحالة لا توصف من الانبساط
والسرور، حتى إنه أحد زملائي كان يراقبني فلاحظني أنا أبتسم دون أن يكون هناك
داعٍ لذلك، فرحت له ما أمر به من خيالات.

في هذه المرة رأى محمد ظروف العمل عند والده، فجعل يعمل ويسهر إلى الساعة في
الحيّ لكي لا يضطر والده لأخذها إجازة. عادت العائلة إلى المكلا لاستقبال
وكم كانت فرحة الجميع وهم يرونه يخرج من باب المطار.
فمنذ الإعلان عن هبوط الطائرة وهو يرى أمام ناظريه
الاستقبال الرهيب الذي صنعه خياله، ويتصور فيه أسرته
وأساتذته وزملائه قد جاؤوا لاستقباله. وما إن توجه صوب باب الخروج وهو
بحرية حقائبه حتى تقالت نبضات قلبه، وما إن شاهد والديه وإخوته مصطفين
أمام الباب حتى ترك العربة وطار لأمه واحتضنها، وسالت الدموع الحارة
من دقائقه، ثم عندما أحسّت بهدوء نفسها وسكون قلبها أخذت تقبّله
يده ثم رأسه، ثم أتجه إلى والده وإخوته وعانقهم الواحد تلو الآخر، ثم حمل أرى
عاصف، بينما انطلق خالد وطيف وهم يتسابقون على عربة الأمتعة.
كان يتوقع أن يرى سالمًا ومعه شيماء، ولكنه خاب شعاعه، فقال لنفسه:
ربما وجد صعوبة للمجيء إلى العاصمة ثم العودة إلى البلدة العتيدة. ليلة أو ليلتين
نحن. قضت الأسرة ساعتين في الطريق، ومحمد يقص عليهم أخباره المثيرة
ويصوّر لهم المشاهد والأحداث التي مرت به، ولم يتذكر أنه يسألهم عن أحوالهم إلا
قرب وصولهم إلى القرية.

وصلوا البيت في حوالي الساعة، فبادر للاتصال بمحمد، وكان يأمل من وراء ذلك
أن يطمئن شيماء على وصوله. لكن خاب أمله أن أخاها لم يكن في البيت، وكانت
تعلم بقدوم محمد وتحدثت بوقت وصوله إلى البيت، ولذا فما إن رنّ الهاتف حتى أسرعت
إليه. سلّمت عليه، وما إن سمعت صوته حتى كاد أن يغشى عليها من الفرحة، لم تستطع
أن تنطق بكلمة، وإنما ظلت تصغي إليه وهو يعبّر لها عما في قلبه من أشواق لرؤيتها: لقد
كنت أتحدث مع أهلي في الطريق وفكري منصرف إليك، حتى إني أحيانًا أنتبه
من شرودي، فأجد نفسي أتخيل حديثي والدي قد تغيّر، وبما أنه لا يستطيع أن يقدّر
موعدك معي لرؤيتي، فقد طلب مني أن أتصل بها وسألح بذلك.

(N4)

N3
كما كان سرور الأستاذ أسامة عندما قرأ رسالة محمد وشعر بالدور الذي عليه أن يقوم به لتخريج شباب من أمثال محمد، ففي نظر أسامة الشاب الذي يصل إلى المرحلة الثانوية ولا يبدأ في الخدمة يحتاجه وأمته، يكون الصعب التعويل عليه فيما بعد. شعر كذلك بأهمية التربية الإيمانية أساس لا يمكن التفريط فيه، ثم تتبعها التربية الفكرية ثم العلمية والثقافية. لقد فتحت رسالة محمد له آفاقا جديدة من وسائل التربية التي عليه أن يمارسها نفسه لكي، ويحفز بقية المدرسين على القيام بها.

N3 عندما بدأت إجازة ما بين الفصلين، اشتغل الأمريكان باحتفالات عيد الميلاد وحول الشجرة الميلادية، وفي الوقت نفسه نشطت المنظمات الإسلامية في إقامة مؤتمرات للمسلمين، كان أشهرها المؤتمر السنوي الذي تعقده رابطة الشباب المسلم العربي، ويشترك فيه مجموعة من شباب المركز الإسلامي وأعداد الطلبة لحضور هذا المؤتمر، والذي كان في هذا العام في مدينة ؟؟؟ بولاية ؟؟؟. لأول مرة في حياته، رأى محمد ذلك التجمع الهائل للمسلمين، والذين كان أغلبهم من الشباب ذوي الدعاة. استطاع في فترة المؤتمر أن يتعرف على كثير من إخوانه المسلمين من مختلف دول العالم الغربي، وكثير من المحاضرين الذين جاء أغلبهم من خارج أمريكا، وأيضا من الدعاة الشباب الذين قدموا من مختلف ولايات أمريكا. كان لا يلتقي بحضور محاضرات المؤتمر وإنما يستغل أوقات الصلوات والراحة في محاولة التعرف على أكبر عدد ممكن بتوسم فيهم الهمة والحماس لخدمة هذا الدين، وتكونت لديه العديد من الأفكار والمشاريع الدعوية المستقبلية، سواء في أمريكا أو في المملكة.

N4 ظلت تنتظر عودته إلى البيت إلى قرابة الحادية عشرة، وما إن دخل من الباب حتى أسرعت إليه وقالت: لقد وصل. تصنع أنه لا يعرف فردد: من؟ فقالت: محمد. ألم تخبرك شيرة كنتي عن العائلة التي ستنزل عندنا؟ فقال: نعم، لقد أخبرني بأنه سيصل اليوم، ولكني كنت قد نسيت ذلك. ما لم تدركه أسماء هو أن مشاعر أخيها تجاه محمد قد تغيرت منذ زيارته قبل أيام قليلة، وخاصة بعد أن أصبح صاحب الزيارة، فقد ملأ العمل، واشتغلت اهتماماتهم وأحاديثهم للبيتزا والرحلات، حتى ستذهبان للزيارة؟ فجأة بسؤال، فقد كان ينوي الاقتصار على الاتصال به هاتفيا، وما يقوم به، وما أمر عليه في الغد، رد على، فترجته أن يأخذها معه، وكان راضيا، لا يرى أي مشاعر عاطفية التي كانت بينه وبين محمد، بل إنه كانت تراوده أحيانا الرغبة في لقاء صديقه العزيز يونس، الذي صار من خلال زمالته في العمل - البديل الأفضل لمحمد، وكان ينوي من وراء ذلك التقرب إلى أخته صفاء، التي لاحظها عدة مرات عندما كان يزوره في بيته.
N5 (NP)

N5

ماذا؟ تأتي معي؟ مستحيل، اضطربت سيماء من هذا الرد حتى كاد أن يغشى عليها. تأمل أنه ما كان ينبغي أن يواجهها بهذا الأسلوب، فتابع: أقصد، لقد صرت بنتًا كبيرة، ولو رآك أحد وأنت تحادثينه لربما ظن أن علاقة مشبوهة بينكما، وربما تصل الأمر إلى أبي وأمي. لقد خابت آمالها فيه، لم تكن تتوقع أن يفعل مثل ذلك الرد منه، فلم تقل شيئًا، وإنما أسرعت منتقلة بصرها إلى الخارج، ارتمى الزورق بتكي، ثم خشيت أن يراها أحدهما فغاصت بالتحف بينهما، وغرقت في موجها وأفكارها. ما الذي غيّره نحوي؟ سألت نفسها، لابد أنه وقع أمر بينه وبين محمد، ولكنه ما دخلي أنا؟ ثم استدركت فقالت: صحيح أنه لو رآني أحدهم وأنا أكلمه لظن في أمرنا. حاولت أن تبدو موقف أخيه وتبحث له عن الأعذار.

انتظر محمد فرصة الصباح وهو يتقيأ وهو يتقيأ وهو يتقيأ صديقه العزيز سالم، ولكنه لم يجد ذلك، فأجّل لقاءه لصلاة الجمعة، ولكنه سالمًا لم يحضر، أو ربما حضر ولم ينتظر طيلة خروج محمد. بدأت الظنون تدبّ إلى خاطره، وحاول أن يبحث عن مبررات لذلك، ثم أطلّ عليه بعد صلاة العصر، تعانقا، ومحمد لا يصدق أن سالمًا من شدة الفرح بعودته، ولكنه سالمًا قابل كل ذلك ببرود. كان يكلمه بعبارات عابرة، شعر محمد خلالها أنه لا يريد الحديث عن نفسه ولا عنه، بقي معه للدقائق، ثم استأذن للانصراف لارتباط سبق معه، حينما قال له: لم يصدق محمد أنه الذي يراه هو سالم، لقد كان يرقب زيارته بفارغ الصبر، وكان يتوقع أن يحضر معه شيئًا، مثل ما فعل عندما عاد إلى أمريكا. ما الذي جرى؟ خاطب نفسه، هل أغضبه شيء مني؟ حاول أن يسترجع ما كان يكتبه في رسائله إليه، ثم انتبه إلى علاقته مع سيماء، أتراه كان يعرف عن مراسلاتي لها؟ حاول أن يجد مبررًا له، ولكنه كان راضيًا عن تلك العلاقة. يقطع دوامة من الأفكار، لابد أن يحادثه عما حدث، اصطف فكره إلى سيماء، فأخذته العبرة من ضياع الفرصة الثانية. هل تراها طلبت منه أن يحضرها؟ عاود محادثة نفسه، إنها فتاة رقيقة، تعرف شيئًا عن تغيّر حال أخيها، ولا بد أن سالمًا تكلم في الهاتف، حين جنّ جنونه، فقرر أنه لابد من التواصل معها، ولكنه كيف؟ إنه لا يريد أن يتبع خطوات الشيطان، وهو يخشى على نفسه وعليها العار، أو حتى الملامس بسببها. وفجأة انتبه، إنه الوسيلة المأمونة والمضمونة للتحدث معها هي عبر البريد الإلكتروني. قرر أن يحادث الإنترنت الذي قطعه عندما عاد إلى أمريكا، خشية أن يستخدمه إخوته في محاولة مخاطبة نفسه مجددًا، ماذا لو كان يريدها أن تعتنق [illegible] ولكن، رد لها كانت صبيحة يوم مغادرته أمريكا، قرر أن يكتب لها.

ماذا جرى يا شيماء؟ كانت هذه أول كلمات لؤي بعد السلام عليك. لقد لاحظت تغيرًا في أحواله، فما الذي حدث له؟ لقد واصل يسرد عليك تحليلاته واعتبارات التي ربما كانت - في نظره - صديقة طفولته لأنه يغير علاقته معه. وقد شرحها أنه تفضح له عن كل ما تعرفه. بعد أقل من ساعة جاء رده، ولكنه لم يحمل في طياته غير الحيرة والقلق التي تعاني منها شيماء. لم ألاحظ عليه أي تغير قبل الباحة، فكتبت له، ولا أدري إلى الآن أي سبب لذلك غير التغير الذي جاء فجأة من حوله من أنه يتكفف مرتابا لوالديه أو شخص آخر.

استمر التواصل بينهما عبر الرسائل الإلكترونية. تنافشا حول نتائج الفاتورة المرتفعة بعد أسبوعين. هل ستأتين معي؟ سألها في إحدى رسائله. فأجابه بالإيجاب. استهلني على بعثة دراسية إذا أردتِ ذلك، وحتى لو لم يحصل ذلك فأنا مستعد أن أدرسك على نفقتي. ردت عليه: كما تعلم، فليس الأمر بيدي، وأخاف أن يعترض والدي على الزواج منك، وأكثر ما يخوفني أن يكون لسالم دور في تغييرها عن الموافقة، كان قرارها الذي اتفقا عليه هو أن يتقدم إليك عم شنافا فيما لو حدث ما لا تحمد عقباه. صارت الخطوة التالية أن يقنع محمد والديه، فبدأ بوالدته لعلمه بأن لها تأثيرًا كبيرًا عليه، بما عقدمات فهمت خديجة المغزى من وراء ذلك، فقاطعته قائلة والبهجة تملأ أصداءها: فقط لي عليك وأنا أتكفل بالباقي. فأجابها شيماء قائلا وقلبه في اضطراب لا يوصف من خشية أن يرفض أهله، لكنك ما إن سمعت اسمها حتى قاطعته وقالت: ابتسمت وقالت: نعم البيت، ونهضت الأخت. اطمئني يا حبيبي، فلا أظن أن هناك من يرفض زواجك به. احتضن محمد أمه، وقال ممتنا: كنت واثقا من أنك لن تخيبي.

ما إن قرأت تلك الكلمات حتى أسرع إلى حاسوبه المحمول ليبشر حبيبته: لقد وافقت أمي. فكادت أن تطير فرحًا، حتى أنها أوقعت [illegible] عندما كانت تساعدها في إعداد الغداء - رأته يبتسم ابتسامة عريضة، وكأنه في عالم آخر، لاحظت منه هذه الابتسامة يا ابنتي، فخاطبته عفراء: ففيم تفكر؟ انتبهت لسؤال أمها، فقالت: فأرادت أن تداري، فقالت: التتابع على الأبواب يا أمي. ابتسمت له، وقالت له: كنت أظنك تفكر في شيء آخر، فهمت مقصدها، فضحكت بمرح، ثم قالت: أمي؟

كان كلما جاء يوم زاد حبهما الآخر، وزاد تلهفهما للزواج، وعندها أطمئنا إلى ما اختاره الله.

كان لا يريد أن يفعل أمر دون توجيه من ربه، و

الترحيب بها من قِبَل شرائح عديدة في المجتمع. كذلك، فقد اقترح إصدار نشرة طلابية للمدرسة يمكن أن تنمو فيما بعد لتخدم طلاب المدارس الأخرى.

قابل مدرس التربية الإسلامية اقتراحات ابنه وصديقه بالترحيب والإجلال، ووعدهما بأن يتواصل معه، وأن يسعى للبدء في تلك الأنشطة، وأخبرهما المدرس بأنه يمكنهم أن يوسعوا من أنشطة جماعة العمل التطوعي لتتحول إلى ما يشبه اتحاد الطلبة المسلمين. أما فيما يخص النشرة الطلابية، فبالرغم من ترحيب الأستاذ لها إلا أنه أخبر محمدًا بأن الواقع في المملكة يختلف عما هو عليه في أمريكا؛ فهنالك لم يحتج محمد إلى تصاريح لإصدار نشرتهم الطلابية، أما في المملكة فإنهم بحاجة إلى الحصول على تلك التصاريح والتراخيص من جهات عديدة منها وزارة التربية ووزارة الإعلام، وربما غيرها من الجهات الأخرى، ولكنه مع ذلك وعد محمدًا بأن يحاول الحصول على تلك التصاريح.

كانت من رغبات محمد أيضًا هو أن يلتقي بصديقه العزيز سالم ليتعرف على أحواله، ولكنه احتاج أن ينتظر عدة أيام إلى أن تأتي عطلة نهاية الأسبوع. وما إن وصل سالم إلى البلد، وكان قد علم بقدوم محمد، حتى جاءه في الحال ليسلم عليه. بقي الاثنان يتبادلان الحديث حول أحوالهما، وقضى محمد عدة دقائق وهو يتكلم عن أحواله في أمريكا، وكأنه يحاول أن ينقل إلى سالم الصورة البراقة التي رآها هناك عن الجوانب العلمية وأمور الدعوة وأحوال المسلمين وغيرها.

أما سالم، فبالرغم من أنه كان يعير محمدًا أذنًا صاغية، إلا أنه فيما يبدو لم يكن متلهفًا لسماع مثل ذلك الحديث، ولذلك رد على محمد ببرود قائلًا: وفقك الله لكل خير، ثم سأله: وهل ما زلتَ مصرًّا على مواصلة الدراسة؟!

تعجب محمد من هذا السؤال، وقال لسالم مندهشًا: ماذا؟ أتسألني يا سالم عن مواصلة الدراسة وقد رأيتُ هناك أحلامي تتحقق الواحدة تلو الأخرى؟ إني لو لم أوفق إلى ما وُفِّقت إليه لما انثنيتُ عن دراستي. وأراد محمد أن يُلقِّن صديقه درسًا، فواصل حديثه قائلًا: إني كنتُ متيقنًا في الماضي، وأصبحتُ الآن أعتقد اعتقادًا جازمًا بأنْ لا حياة لفردٍ ولا لأمة إلا بالعلم.

سمع سالم هذه الكلمات ولكنها لم تدغدغ شغاف قلبه، فردَّ على محمد قائلًا: وماذا عن أحوالك المالية؟ قال له محمد: الحمد لله، ما أحصل عليه من بعثتي الدراسية يكفيني لتغطية مصاريفي، وقد استطعتُ بحمد الله توفير بعض الدولارات لأساعد بها والدي.

قال له سالم بأسلوب لا يخلو من زهوٍ وتكبر: أما أنا يا محمد فقد أصبحتُ شخصًا آخر؛ لقد أصبح عندي الآن الآلاف، وقد نمى راتبي كثيرًا، وتحسنت أحوالي وأحوال أسرتي المادية. وكما تشاهد من ملابسي وهاتفي وما أزين به سيارتي فإن حالي الآن غير ما تركتني عليه من قبل [لم يكن سالم بحاجة إلى توضيح ذلك فإن محمد يرى ملابسه وهاتفه].

أحسَّ محمد بأن أحوال صديقه سالم فعلًا قد تغيرت، ولكنها تحولت إلى تحقيق أحلام وطموحات شخصية ومادية، بدلًا من أن تكون في تحقيق أهداف نبيلة وطموحات سامية يخدم بها مجتمعه وأمته.

رد محمد على سالم ببرود قائلًا: أسأل الله لك المزيد. أخبرني هل تلتقي بمدرسينا وزملائنا؟ قال سالم: أما المدرسون فلم ألتق بأيٍّ منهم بعد التحاقي بالعمل، وأما زملاؤنا فإني على اتصال ببعضهم، حيث نذهب سويًّا في بعض الأيام للتنزه والتسوق. بقي محمد وسالم يتبادلان الحديث ونفس كل واحد منهم تعتب على ما تسمعه من حديثٍ من الآخر.

قضى محمد ما تبقى من أيام قلائل في زيارة بعض الأهل وفي شراء بعض مستلزمات السفر، ولكنه أيضًا كان لا ينسى أن يتواصل مع بعض مدرسيه وهو يحاول تمهيد الطريق لهم للبدء ببعض ما اقترحه عليهم من أنشطة ومشاريع تخدم المجتمع والأمة.

بقي محمد في المملكة حوالي ثمانية أيام ثم عاد إلى أمريكا وهنالك كان أكثر تحمسًا مما قبل، نظرًا لما سمعه من تحفيزٍ من أساتذته ووالديه وأهله، ولما رآه من تبدُّل أحوال بعض زملائه وأصدقائه، فكرَّس جهوده في دراسته وفي ممارسة أنشطته الطلابية، سواءً تلك التي تخدم الدعوة أم غيرها التي تتعلق بأمور الدراسة.

عندما بدأ فصل الخريف، تلقى محمد عدة رسائل من بعض المؤسسات التجارية والمنظمات الشهيرة، مثل شركة مايكروسوفت الشهيرة في عالم الحواسيب ووكالة ناسا المعروفة. وقد عرضت عليه تلك المؤسسات وظائف جزئية مقابل رواتب مغرية. تناقش محمد مع بعض أصدقائه المخلصين في اتحاد

استشارت خديجة عمة أيام حول أبو تقاتي زوجي كانت تتحين الفرصة المناسبة لذلك، وخاصة عندما تشعر بارتياح النفس وصفاء ذهنه. ما إن أخبرته حتى سُرّ بذلك كثيرًا، وكان أبو تقاتي أن بنت حلوف وذكية وأنها توافق محمدًا في اهتماماته وميوله. طار الخبر إلى سيماء بعد أن علم محمد بموافقة والده. بقيت الخطوة الأهم، كتابة الرسالة، وهي مخاطبة والديه. وقد قال لها: لا أظن أنهما سيمانعان، ولكن عجل بالأمر.

جلس مع والده، وطلب منه المبادرة للذهاب لخطبتها، وبرر ذلك بقصر إجازته الصيفية، وأنه سيحتاج للتدبير كثير من الأمور قبل عودته. اتفقا أن يذهبا في المساء، بعد جرس المنزل، ولكنه سيماء لم تركض هذه المرة لتفتح الباب، فهي قد أرادت أن تبتعد عنها الشكوك. كان سعيد قد رجع من المسجد وبقي ينتظر في الصالة حتى إحضار العشاء. ما إن سمع الجرس حتى قام يفتح الباب، فوجئ بزيارة عليه ومحمد وخديجة وفاتنا - وإنه كان يزورانهم أحيانًا بين فترة وأخرى ما عدا أنها كانت زيارة في صباح العيد أو الجمعة، رحب بهم ودخل عليًا إلى مجلس الرجال ثم ذهب ينادي عفراء لتستقبل خديجة في حين كان عليًا أحيانًا يأتي مع خديجة، ولكنه لم يأتِ في صباح العيد أو الجمعة. وأما محمد فكان يزورهم سالمًا عندما يكون في البيت، وهو الآن في الدوام. وكانت وتيرة الزيارات تكون ما دام أنه يجد مبررًا للزيارة، فمرة فكر في تجديد الزيارة، ومرة بحجة زيارة للجيران والأصدقاء، فأسرتهما منذ طفولة أولادهما وهم في تواصل مستمر وخاصة بين العلاقة التي توطدت بين محمد وسلم. ومرة يقول إنه جاء ليقترض منه مبلغًا من المال ليوسعا البيت أو ليشتريا سيارة لمحمد. لكن فكر مجيئهما لطلب يد عفاف لم يخطر على بال سعيد، لأنه شاب القرية - كعادة شباب المملكة - لا يرى وجوبًا لابنه بعد التخرج، ثم إن ابنته البكر ما زالت بدرس في الكلية، وسيماء لم تنه الثانوية إلا هذا العام. حاول أنه لا يتعجل الأمر.

أجلسهما ورحّب بهما، ثم استأذنهما لإحضار الماء والقهوة. أخبر البنات لتجهيز القهوة، فسعدت سيماء أختها إلى المطبخ، وبدأت تجهز صحن الفواكه، وعصير البرتقال، وهي تنظران إلى هيئتها، وتتعجبان، وهما لا تعلمان بقدوم محمد بنيته تحادثا أو لأمر آخر. كان محمد يتفقد أحوال محمود وراحته، وحضانة سعيد على تفوقه وذهابه إلى أمريكا. كان محمد ينتظر بفارغ الصبر أن يفتح والده موضوع الزواج، وهو في اضطراب وقلق لا يوصفان، على طريقة عمه محمد وتفوقه وتميزه، ثم عرّج على ما حظي به من خطبة حظ عليه الشرع من المبادرة على الزواج متى ما تيسرت الظروف لذلك. فهم سعيد أنهما قد جاءا لخطبة إحدى بناته، وانصرف فكره إلى ابنته الكبيرة، فلا يعقل - حسب العادات السائدة - أن يتزوج الصغرى قبل الكبرى. لقد حسمنا الخطبة أن يسلم سيماء، قالها سعيد ثم سكت ليعرف ردة فعل سعيد واضطراب محمد، وهو ما يقلقه ويخيف لطالما أن ابنته الكبرى هدى

NG

نظر علي إلى ابنه وكأنه يستوضحه، فردّ محمد بتلعثم: بل رشيد، أعاد سعيد ما أن الصغيرة، وأنه أختيك لم يتزوجا بعد. وبدا قلق محمد يتزايد، فصفير يبدو عليه أنه يقترض ع زواجه من رشيد للأدلة التي ساقها. أراد أن يوضح له خطأ نظرته هذه، ولكنه آثر سبقه فقال: نحن نعلم أن عادة الفاس عندنا زواج الكبرى ثم التي تليها، ولكن هذه ليست شرعًا يخالفها سعيد: ولكنه لو تزوجت رشيد قبل أختيك، فالناس سينظرون إليهما بريبة، وقد لا يتقدم لها أحد. ردّ محمد - وكأنه ساخط على هذه العادة -: ولكن لا يمكن الزواج بهما، فهما أكبر مني بعدة سنوات. فردّ سعيد ببرود: وهذا لا ينتظر طويلًا، فحينئذ تكون أختيك قد تزوجتا، وربما قد تزوجا. فردّ محمد بغضب: وماذا لو لم يتزوجا؟ استحيا علي من مجرد ابنه هذا، فحاول ملاطفة سعيد، فقال: بإذن الله سيتزوجا قبل ذلك، وكلام عمك سعيد في محله. رأى محمد أن الفرصة تفلت من يديه، فحاول استدراك الأمر فقال: ألا عليك أن أعقد قراني الآن، ثم نترك الزفاف طيلة زفاف اختيهما؟ راق هذا الاقتراح لعلي، فقال: صحيح، ألا عليه القيام بهذه الخطوة الآن، ثم يؤجل الزفاف طيلة تخرج محمد ورشيد؟

لقد رأى محمد أن هذا الاقتراح في حالة الموافقة عليه سيتيح له رؤية رشيد والتحدث إليه والجلوس معه متى شاء.

لم ير سعيد بأسًا بهذا الاقتراح، ولكنه بدأ تخامره الظنون حول إلحاح محمد على الزواج الآن، وطلبه رشيد على وجه الخصوص؟ أيكون على علاقة به؟ وهو لا يدري؟

لقد شاهد أفعالًا غريبة لرشيد في السنتين الأخيرتين لم يعرف كنهها، ولكنها طبيعية هذه العلاقة؟ على كل حال، أجاب سعيد بعد فترة من الصمت، وسأطرح الأمر مع أهل البيت، وسأعلمكم بالرد. شعر محمد بارتياح كبير؟ فعلي قد يبدو عليه أنه يقبل الفكرة، ورشيد لا يشك في موافقتك، وأمك وأخواتك لن يعارضوا. وفجأة توقف، وبدأ القلق والاضطراب يعودان إليه. هل سيوافق؟ سأل نفسه، وهو يتصور موقف سالم عندما يعلم بهذا الاقتراح.

كانت رشيد في حيص بيص، وقلبها كلما امتدت الدقائق زاد وجيفه. ماذا يجري؟ قالت لنفسها، هل يعقل أن تكون كل هذه الفترة لطلب زواج؟ لابدّ أن أبي لم يوافق. دخلت أختيك عليك وهي متمددة في سريرها. مالك يا رشيد؟ سألتك هدى؟ لا شيء. (توقفت أختي أن تسأل عن السؤال عندما دخلت أمك. أراكن مجتمعات هنا، قالت الأم، خيرًا لا شيء؟ فأجابت هدى: كنا نناقش نتائج رشيد. صحيح، ردّت الأم، متى ستظهر النتائج؟ القادم يا ذن الله، ردّت هدى. سمعت الأم وبشائر جلية في المجلس، فحذرت أن الصبوح يفاد رفاه، وما هي إلا لحظات حتى دخل سعيد.

عندما رأته رشيد، بدأ القلق والاضطراب يتزايدان، فنظراته توحي بتغير حاله. لابدّ أنه رفض فكرة الزواج، قالت لنفسها، لابدّ أنه غاضب علي. لاحظت عفراء والبنات أيضًا تغير نظرات سعيد. ماذا بك يا سعيد؟ بادرته عفراء، أراك عادت منقبضًا، وكأنه تذكر أمرًا خطيرًا. لا شيء مما تظنين، أجابها سعيد، لنجلس على المائدة، فأنا جائع. جلس سعيد، وأخذ الجميع أماكنهم، وعفراء ورشيد يطالعان وجه سعيد، وأما رشيد فكادت أن تسقط مما بداخلها من اضطراب.

back

أما هدى وأختي الصغرى فما كدن يسمعن كلمة الزواج حتى انفرجت أساريرهن بابتسامة خشية أن تظهر لهن حياءً من أبيهما. من الذي جاءوا والزواج بي؟ تساءلت عفراء باستغراب. جاء علي ومعه ابنه محمد، ويريدان الزواج بي؟ قاطعته عفراء وهي لم تفهم ما يجري. هدى ما زالت في الطبية وتابعت تعقيبها، وقد اتفقنا أن لا نتزوج قبل تخرجها. ابتسم سعيد وهو يرمق شيماء بنظراته، ثم قال:

ثم إن محمداً ما زال [illegible] ولداً صغيراً.

جاؤوا لخطبة شيماء. ماذا؟ ردّت عفراء بدهشة [illegible]

وما هي إلا ثوانٍ حتى شاهدوا شيماء تسقط من الكرسي، فهرعت عفراء وابنتيها إليها، وقام سعيد من مكانه. شيماء.. شيماء.. صاحت عفراء وهي تضرب على وجنتي شيماء، يا ويلي، تأبطت صراخها، هل يريدون قتلها؟ أحضرت البنت الوسطى كوب ماء ورشّت منه على وجه شيماء، وعفراء تضرب على [illegible] حتى تنفست، فضمتها عفراء إلى صدرها وهي تقول: فداك نفسي حبيبتي، لا تقلقي، لا تسمعي لهراء أبيك، لن يجبرك أحد بالزواج إلا ممن ترغبين ومتى ترغبين.

أفقدت تلك الإغماءة القصيرة موضوع الزواج عند شيماء، ثم ما سمعت كلام أمها عادت إلى ذاكرتها فتمتمت أنه لو تلك الإغماءة لم يحدث لأن لم تكن في صالحها. أرادت تذاكر الأمر، فقالت بكلمات متعثرة: لا تقلقوا عليّ فأنا بخير والحمد لله. تمالكت فوقفت على رجليها، ثم جلست على الكرسي، جلست أمها وأخواتها بجانبها، بينما عاد سعيد إلى مكانه. رأت شيماء أن الفرصة سانحة، فأرادت تذاكر، فقالت لأبيها: سامحني يا أبي، فقد عهدتني أن لا أعيدها، والحمد لله على السلامة. ابتسمت ابتسامة خفيفة، ثم قالت: سلمك الله من مكروه يا أبي، وبالنسبة للزواج، قاطعها أمها قائلة: دعي هذا الأمر يا ابنتي ولا تفكري فيه، أنا بخير يا أمي، ما قالت شيماء، وأنا وأختي سيأتي يوم علينا ونتزوج، ولكنه ألم نستطع الأمر منهما يا أبي، فرمقها كما يقصدان هدى أو سارة، لقد تعجبت مما تعجبت منه، ردّ سعيد، وقلت في نفسي ربما كانا يقصدان هدى، فقلت لهما: يقصدان هدى وسارة، أم يقصدون شيماء، نظرت هدى وسارة إحداهما للأخرى، وكأنه فرصة ذهبية قد طارت من أيديهما، ولماذا أنا بالذات؟ علقت شيماء بخبث، لقد أخبرتها أختيها، فاقترح محمد أن يعقد قرانه عليها الآن، وبعد تخرجها [illegible] نظرت عفراء إلى شيماء فرأت البشاشة على وجهها، فعلقت: ولكنها ما زالت صغيرة، هدى وسارة؟ ردّ سعيد: إنهما ستتزوجان بإذن الله، وبعد أن يتم زفافهما سنسمح بزفاف شيماء، بدا أن هذا الاقتراح قد نال رضا الجميع، وشيماء لا تخفي انزعاجها، لقد وعدت عفراء بأن أستشيرك، ثم أردّ عليه، قال سعيد، فهل أخبره بالموافقة؟ ما دام الأمر كذلك فلا بأس به، ردّت عفراء، ثم استدركت: ولكنه لا بد أن تأخذ رأي سالم أولاً. طبعاً، قال سعيد، بعد أن آخذ رأي سالم.

عاد محمد وأبوه إلى البيت فاستقبلتهما خديجة بابتسامة بشرى، وماذا قالوا؟ وزارت ملامح
محمد توحي أنه لم يحصل على ما كان يشتهيه، فقال لها
رفضوا الزواج، ردّ محمد، ولكنني اقترحت حلاً وسطاً. ماهو؟ استوضحت خديجة. لقد
أبوها بحجة صغر سنكِ وعدم إمكانه تزويج قبل أختكِ
اقترحت أن أعقد قراني بشيماء الآن، ثم نؤجل الزفاف إلى بعد تخرجنا. بدا البشر
وجه خديجة، ثم قالت: وماذا قال أبوها؟ يبدو عليه تقبّل الاقتراح، ردّ
محمد، ولكنه قال بأنه سيشير أهله، عسى الله أن يشرح صدورهم للموافقة،
هنا قالت خديجة وهي تمد الغرفة ليتناولوا العشاء.

أخذ محمد لقيمات قليلة ثم دخل غرفته. كتب لشيماء رسالة شرح لها ما جرى
مع والدها، وكيف أنه عندما رأى الفرصة تتلاشى من أمامه اقترح الاقتصار
الآن على عقد القران، وساق لها مبرراته، وشرح لها كيف ينظر إلى اعتراضها في السنوات
القادمة، ثم ختم رسالته بقوله: وماذا عليكِ؟ هل أخبرتِ أبوكِ بما جرى؟ وماذا
كان رأي أهلكِ وأخواتكِ؟ لم تمهل الأيام قائمة حتى جاء الرد. شرحت
الرضا بهذا الاقتراح، وبقي رأي سالم.

كان محمد وشيماء يتشوقان لأن تمضي الأيام بسرعة لكي يأتي يوم الخميس عندما يعود
سالم من عمله، جلست العائلة على العشاء وشيماء لا تشك أن أباها
سيفتح الموضوع مع سالم، ولذلك فقد كانت مضطربة وقلقة بادياً. قبل أن يبدؤوا
من الأكل قال سعيد: لقد صديقك محمد وأبوه لزيارتنا. استغرب سالم من مجيء هذا
الموضوع، فلم يكن أبوه يعتاد بزيارات محمد فرداً فرداً: خيراً إن شاء الله. جاءت لحظة
شيماء، فتح سعيد الموضوع دون مقدمات، وكأنه لا يشك في موافقة سالم.
المتوقعة على الثانوية، بعدها عرّج على علاقة محمد بشيماء، وأنه كان شريكاً في
الأمور تغيّرت بالنسبة لسالم، فشيماء أصبحت بالنسبة له عملة صعبة يستطيع
من خلالها الوصول إلى ؟؟. كان الغرور والاعتداد بالنفس لا يخفيان عليه، فهو يظن
بأنفسه وكأنه سيد هذا البيت، ومع ذلك فهو لا يريد أن يصدم شيماء بكلام يجعلها ترفض
الزواج من صديقه ؟؟.

كانت خطة سالم أن يؤنب والديه على شيماء لتعلقها وقف الزواج من محمد، محمد صديق عزيز على
استفتح حديثه بهذه الكلمات وهو ينظر إلى شيماء، فرأتها لا تخفي حزنها وهمها فقال:
ولكنه استدرك سالم، وأخاف أن عقد قرانه على الآن مع غياب عنا أربع أو خمس سنوات
فيؤثر ذلك نفسياً عليكِ، فتتأثر دراستكِ، فيتهيأ مستقبلكِ، ما إن سمعت
شيماء هذه الكلمات حتى زاد اضطرابها،

ثم راحت تربط هذا بما حدث بينها وبين سالم على ما قاله. لم تصدق نفسها أنه يكون سالم هو المعترض لرفض زواجها من محمد. كانت ترى أن كلام سالم في محله وعلق سعيد وكأنه يريد أن يقول لها إن الأمر انتهى بالنسبة لها وأن محمد لم يعد يعنيها. لكنها لا تزال لم تفهم سبب إصرار محمد على الزواج من شيماء. تذكر محمد سالم أنه وكأنه يريد أن يقول لوالديه أن علاقته بمحمد انتهت.

كانت شيماء في حالة اضطراب لا توصف وذات أن كل شيء سيضيع وخافت أن تكون هذه محاولة من سالم لرفضه الزواج قطعيًا من محمد. عندها أرادت أن تتحدث ببعض الكلمات فقالت بصوت خافت: ولكنه يعود إلى الحالة كما كان وعليكم أن تطلبوا منه أن يأتي أيضًا في إجازة منتصف العام. شعرت أختها بما تمر به شيماء فأرادت أن يتحدثا معها وهما لا يريدان أن تحدث علاقة بينه شيماء وخطيبها. علقت هدى قائلة: في رأيي أن ما تقوله شيماء في محله والتواصل صارت الآن أسهل من السابق ولا أرى أن الزواج يعيق الدراسة بل إن الراحة النفسية للشخص مهمة للتركيز في الدراسة ولو وضعت الآن فكرة زواج شيماء وغربتها نصب عينيها لأصبح الأمر بالنسبة لها يجعلها غير قادرة على مواصلة الدراسة.

شكرت شيماء كثيرًا هذه الكلمات وأما سعاد فلا زالت صارت لا تدري ماذا تقول لابنها سعادة بناتي مقدمة على كل شيء. وقطع كلام هدى صوت فعلقت: إذا كان الأمر كذلك فأنا مع زواج شيماء الآن. انفرجت أسارير شيماء وخاصة عندما رأت أباها يوافق على ما قالت أمي. أما سالم فقد رأى أنه لا بد من الحزم في الأمر وإلا لما نجحت خطبة وفاء رفض قائلًا: إن ما تقوله ليس إلا عواطف وقتية ما زلت مع رأيي إلا إذا كنتم تريدون تزويجها بدون مشورتي. قال كلماته ثم قام من الطاولة وهو ينظر غضبًا ثم قال: سأخرج قليلًا.

خرج سالم وبقيت العائلة لفترة غير صامتة وكل واحد منهم يحلل في رأسه ما حدث للأسرة. لم تتمالك شيماء نفسها فانفجرت باكية ثم جرت إلى غرفتها وأغلقت الباب. سارع علي بعدم الموافقة فكسر سعيد الصمت القاتل الذي تحدث به عفراء وابنتها فعلقت هدى وهي تقوم من مكانها وتتجه إلى غرفة شيماء: هذا ظلم ولا يعقل أن يستبد شخص واحد برأيه. بقيت الأم عفراء وساعة للحظات ثم تبعت هدى وشيماء. بقي سعيد صامتًا على ما حدث لا يدري ما يقوله أو يفعله.

في الصباح الباكر اجتمعت الأسرة على الإفطار، ولكن كل واحد كان غارقًا في صمته ولم يستطع سعيد أن يفتح الموضوع. قرر أن يذهب بعد الإفطار إلى بيت علي ليعطيه رد الاعتذار. استقبله سعيد ومحمد بالبشر ثم بدأ الملف يدب في نفس محمد عندما شاهد سعيدًا

مضطربًا وقال محرجًا: ما هذا يا سعيد؟ أرى تأجيل موضوع الزواج الآن، ابتأ سعيد حديثه، فالظروف أمامها غير مهيأة الآن للشروع في هذا الأمر. كانت هذه الكلمات بمثابة قنبلة ألقاها على قلب محمد. اضطرب كثيرًا ولم يدرِ ما يقول، ثم جاءته فكرة أعادت إليه رجاحته، فابتسم ثم قال: لا بأس يا عم، فموضوع الزواج لا بدّ له من تراضي جميع الأطراف. وسرّ عليّ وسعيد من ردّ محمد غير المتوقع.

ما إن انصرف سعيد حتى استأذن محمد والده: سأخرج قليلًا، سأذهب لزيارة الأستاذ أسامة. كانت فكرة طرح الموضوع على الأستاذ أسامة تراودته قبل أن يشرع بطرح الأمر على والديه، ولكنه رأى تأجيل ذلك لحين أن تتم الأمور بينه وبين أسرتين. بدأ يشرح للأستاذ كل ما جرى، وردّ الأستاذ: وما هو المطلوب مني؟ لا يذكر أحد في القرية فضائلك ومكانتك، خاطب محمد، ولو جلست مع سالم وأبيه لاستطعت إقناعهما. لم يرَ الأستاذ بأسًا من المحاولة، فوعده بالذهاب قبيل صلاة الجمعة ليضمن وجود سالم في البيت.

فوجئ سالم بقدوم الأستاذ أسامة فهو لم يزره في الماضي إلا مرتين، رحّب به وأدخله في المجلس. أنا أهنئك بهذه الزيارة المفاجئة يا أستاذي، قال محمد وهو يشير إلى الأستاذ بالجلوس. منذ أن أنهيت الثانوية لم أرك، ردّ الأستاذ، فقلت: أستفيد من هذا اليوم المبارك لزيارتك. أحسّ سالم كأنها هناك سبب لزيارة أستاذه، فقال: مرحبًا بك في أيّ وقت، فأنت كنت وما زلت عزيزًا في القلب.

أراد الأستاذ أسامة أن لا يدخل في مقدمات، فقال: بارك الله فيك يا ابني، كما دمنا لوحدنا فأريد أن أسألك عن أمر. تأكد لسالم أن الزيارة ليست عفوية، ولكنه لم يدرِ بعدُ موضوع زواج محمد. تابع الأستاذ أسامة حديثه: علمني بعض أخوالك ورفيق عمرك محمد قد جاء يطلب الزواج من أختك. فوجئ سالم بهذا، فردّ تلعثم: نعم. قال الأستاذ: وكيف كان ردّك؟ أربكه سالم قليلًا، ثم أراد أن يقف موقف الهجوم لا الدفاع، فقال: وماذا أخبره هو؟ كان ردّ الأستاذ أسامة مفاجئًا، فتعوّد على أسلوب سالم في المراوغة، فقاطعه قائلًا: أريد أن أعرف منك أنت. اضطرب سالم ثم قال: رأت الأسرة تأجيل الأمر إلى بعد تخرج محمد. عرف الأستاذ أن سالم ما زال يراوغ، فهاجمه قائلًا: لا أسألك عن رأي الأسرة وإنما عن رأيك أنت؟ لم يستطع سالم إخفاء شعوره، وكان الأستاذ أسامة جاد ومتحيّر لمحمد، فلم يرَ أن يترك له المجال لإخفاء رأيه كفرد، فقال: أنا واحد من الأسرة ولا أخرج عن رأيها. عندها شعر الأستاذ أسامة أن لا مجال لطول هذا الحوار العقيم، فقال: يا سالم، أجبني

بنعيم أولاً هل أنت تُوافق على زواج صديقك محمد بأختك في هذه الفترة؟ <NP1>

نظر الأستاذ أسامة إلى سالم وهو يفتح الباب للأستاذ أسامة ويرمي الكآبة على وجهه. فعلاً لقد تغيّر صديقك! وقعت هذه الكلمات كالصاعقة في قلب محمد، فردّ بشرجة: ماذا كان ردّه؟ لم يردّ بشيء، فطفق الأستاذ يأسى، وإنما بقي يراوغ، واستنتجت أنه غير موافق. ماذا لم تضغط عليه؟ ألم تذكره بأيام دراستنا وكيف أنا كنا كأخوين متحابين؟ أردف محمد أنه قد أساء إلى الأستاذ بهذا الأسلوب، فاعتذر قائلاً: أرجو العذر يا أستاذي، لم أعرف أنه ليس من السهل الحصول على أخت، وإنما أتأرجح في تذكر سالم لكل العلاقة التي كانت بيننا. <NP2>

لاحظ سالم أنه تنهال عليه بنظرات يختلط فيها الغضب والحزن، ولاحظ أنه تقضي أوقاتاً طويلة على الحاسوب الموجود في الصالة، فاستنتج أنها ما زالت على تواصل بمحمد، وأنه ينقل له ما يجري أولاً بأول. ما همّت به شرّ قذر، مقتة تظن أنك تشي بها. بوجه تشيّط والغضب يفوح منه الغضب وهي تلقي عليه هذه الكلمات. هل الإنترنت أو الحاسوب تهددني بقطع علاقتي بقطع خدمة محمد؟ علاقتنا ستبقى رغم أنف؟ <NP2>

كان يرمقها بنظرات ساخرة، وعندما توقفت عن تهديده قال لها: اسمعي، أنا أعلم كل شيء عن علاقتك به، وإنني لم أكن عن هذا الأسلوب أبي وأمي فأخبر بكل ما يجري بينكما. كانت ترتجف من الغضب، وأحست بداخلها من الظلم الذي أصابها من أخيها ما جعلها لا تفكر في عواقب كلماتها، فقالت: أرى أنك لن تخسر أكثر مما خسرته الآن، ولن يصيبك من والدك شر أكثر مما أصابك من أخيه، ردّت عليه بشجاعة لم يعهدها منها من قبل: اصنع ما بدا لك، وسأتزوج من محمد رغماً عن أنفك. <NP2>

بعد ردّ الأستاذ أسامة، وانقطاع التواصل بينهما، اسودّت الحياة في عينيه، ورأى أن العودة إلى أمريكا قد تنسيه بعض الهموم التي صارت تثقله. سأعود بعد غدٍ إلى أمريكا، قالها بحزن وهم على مائدة العشاء. لم يستطع على ما يبدو أن يخيب ظن والدته، وأما خديجة فقد اضطربت عند سماع هذا الخبر، أريد أن أتكلم مع أخي حول هذا الموضوع، أعلم ذلك، ولكن الوقت غير مناسب الآن، أريد أن أتكلم معه حول موضوع الزواج قبل بدء الدراسة. <NP2>

~~مر عليه~~ ذلك العام مرّ عليه العام وهو يكابد المشاعر العاطفية الحزينة
التي تعتريه بين فترة وأخرى فتكاد أن تسيطر عليه حتى أنه فكّر عدة مرات
في ترك الدراسة، وكانت أحيانًا تأتيه أفكار شيطانية بالانتقال هاتفيًا
بشيماء وحين مواعيدها على الهروب من بيتكم وأخذها معه إلى أمريكا. لكنه إيمانه
الراسخ بالله كان يدفع عنه تلك الوساوس فسرعان ما تنزوي. ما زال أمله
بالزواج من شيماء باقيًا رغم تلك الحواجز التي رآها، ولكنه كان خائفًا
من تبدّل حال شيماء. كان يتابع أخبارها وخاصة بعد أن علم بظهور نتائج الثانوية،
وأنها حصلت على المركز الثالث على مستوى المملكة، وأنها ~~ستدرس~~ تخصصت في
علوم الحاسوب في جامعة البيان.

التي ابتكرها حيلة جديدة للتواصل مع شيماء. اتصل مرة بالبيت وسأل عن والده فأجابوه
بأنه ~~قد~~ خرج، فاستغل الفرصة ليتحدث لأخت شيماء الصغيرة بعدها كان لابد
من الاتصال على جيتها، فتلقاها حميد، وتغنم وقت انتظارها للطافة
الجامعة فتسلمك الرسالة ~~التي~~ توطدت العلاقة ~~بينهما~~ بينهما، فكانت
~~تتسلل~~ تسلمك رسائله ثم تطلب حميد من خالد أن يضعها في صندوق البريد وكأنها
صادرة منه لأختها.

~~ولكنه~~ أما سالم فرأى أن مصالحة شيماء هو خير سبيل لتحقيق مآربه ~~ولكنه~~
ولكنه الملامة المتكررة بينهما جعلته مبالغًا في حديثه. كان يسأل من أخباره
الدهاء والخبث ما مكّنه من التلميح لصديقه الجديد؟؟ أنه يريد الزواج من أخته؟؟. لم
تكن الصفقة التي جرت بينهما لتنتظر وقتًا لتفعيلها، فسرعان ما أخبر؟؟ بر عبته
من الزواج من شيماء، وطلب منه في البداية مجرد بناء علاقة وطيدة معه. ~~لم يكن ذلك~~ يستحيل
~~عليه~~ لم تقاض؟؟ الفكرة وقد علمت أنه جاءت من سالم، فطالما كانت تحلم بالتقرب
إليه.

وجدت شيماء في؟؟ نعم الصديق، وفتحت له قلبها؛ حتى أنها صارحته بما يجري بينها
وبين محمد، وما حدث من موقف خليل في رفض زواجه منه. كانت؟؟ قد تعوّدت اصطياد
الشباب والتغرير بالفتيات، ولذا فلم ~~تكن~~ تمضِ إلا قرابة شهرين حتى رتّب موعدًا بين شيماء
وخليل؟؟. لم تكن شيماء تعلم بتلك الطريقة، وما كانت وسامة؟؟ ~~وشبابه~~
وأناقة ملبسه تلامس قلبها، كانت الخطوة الجريئة من؟؟ لمحاولة ~~لتجمعهما~~ لتصنع نوعًا من التقارب بين أخيها وشيماء. أما شيماء فقد أخذت الأمر بعفوية
~~كل~~ حاولت؟؟ عدة مرات في ~~الاتصال~~ اتصال لقاء بين أخيها وشيماء، أملًا في أن
~~تحوّل~~ تحوّل شيماء حبها إليه، ولكنها ~~كانت~~ كانت
~~مملكة~~ مملكة لا يوجد فيها محمد.

كان سالم يلتقي سرًا بـ ؟؟ وكانوا يتناقشون موقف سيماء، وعندما رأوا أنه سيماء لن تلين عبل هذه الميل قرّر سالم أن يقنع والديه لتزويج أخته رغماً منك. لكنه كان يعلم أنه اعتراض والديه على تزويج محمد هو أنه أخته هدى وبالتالي لم يتزوجا بعد. لذا سرعى أولاً في البحث عن أزواج لأخته ولم يكن ذلك مستحيلاً مع أن سايبه الماكرة في إقناع بعض أصدقائه وأهم من ذلك إقناع أخته: مرّ العام الثاني وكأنه قرن

وكانت رفض الزواج بسيماء لا يزال أحياناً يستولي على سالم، فيخاف أن يعاد إلى بلده أن تلتهمه تلك الحرب فيضيق صدره مجدداً. عندها قرّر أن يبقى ذلك الصيف في أمريكا. ذلك القرار أيما معاناة!

عائلة الأخت أجمع ومعهم سيماء

عندما اتصل ليخبرهم بقراره: أرى يا ولدي أنه داستك صارت أجمل إليك منا. لم يجد ما يقوله لها غير مواساتها في مشاعرها. ليس الأمر في تفضيل الدراسة عليكم يا أمي كما ردّ عليك ولكنه هذه الجامعة والتخصص الذي أدرسه يتطلب تكريس معظم أوقاتي للدراسة وإلا ربما آل الأمر إلى طردي من الجامعة. ما إن سمعت الأم ذلك حتى ردّت بصوت ملؤه الرحمة والحب: لا يا ولدي لا تقل ذلك ونحن سنصبر بإذن الله حتى ولو استدعى الأمر أن تبقى هناك إلى أن تتخرج.

كانت تلك الكلمات بمثابة الغيث الذي نزل على قلبه ليطهر ما به من أحزان وهموم.

~~مر عليه~~ ذلك العام مرّ عليه العام وهو يكابد المشاعر العاطفية الحزينة
التي تعتريه بين فترة وأخرى فتكاد أن تسيطر عليه حتى أنه فكّر عدة مرات
في ترك الدراسة، وكانت أحيانًا تأتيه أفكار شيطانية بالانتقال هاتفيًا
بشيماء وحين مواعيدها على الهروب من بيتكم وأخذها معه إلى أمريكا. لكنه إيمانه
الراسخ بالله كان يدفع عنه تلك الوساوس فسرعان ما تنزوي. ما زال أمله
بالزواج من شيماء باقيًا رغم تلك الحواجز التي رآها، ولكنه كان خائفًا
من تبدّل حال شيماء. كان يتابع أخبارها وخاصة بعد أن علم بظهور نتائج الثانوية،
وأنها حصلت على المركز الثالث على مستوى المملكة، وأنها ~~ستدرس~~ تخصصت في
علوم الحاسوب في جامعة البيان.

التي ابتكرها حيلة جديدة للتواصل مع شيماء. اتصل مرة بالبيت وسأل عن والده فأجابوه
بأنه ~~قد~~ خرج، فاستغل الفرصة ليتحدث لأخت شيماء الصغيرة بعدها كان لابد
من الاتصال على جيتها، فتلقاها حميد، وتغنم وقت انتظارها للطافة
الجامعة فتسلمك الرسالة ~~التي~~ توطدت العلاقة ~~بينهما~~ بينهما، فكانت
~~تتسلل~~ تسلمك رسائله ثم تطلب حميد من خالد أن يضعها في صندوق البريد وكأنها
صادرة منه لأختها.

~~ولكنه~~ أما سالم فرأى أن مصالحة شيماء هو خير سبيل لتحقيق مآربه ~~ولكنه~~
ولكنه الملامة المتكررة بينهما جعلته مبالغًا في حديثه. كان يسأل من أخباره
الدهاء والخبث ما مكّنه من التلميح لصديقه الجديد؟؟ أنه يريد الزواج من أخته؟؟. لم
تكن الصفقة التي جرت بينهما لتنتظر وقتًا لتفعيلها، فسرعان ما أخبر؟؟ بر عبته
من الزواج من شيماء، وطلب منه في البداية مجرد بناء علاقة وطيدة معه. ~~لم يكن ذلك~~ يستحيل
~~عليه~~ لم تقاض؟؟ الفكرة وقد علمت أنه جاءت من سالم، فطالما كانت تحلم بالتقرب
إليه.

وجدت شيماء في؟؟ نعم الصديق، وفتحت له قلبها؛ حتى أنها صارحته بما يجري بينها
وبين محمد، وما حدث من موقف خليل في رفض زواجه منه. كانت؟؟ قد تعوّدت اصطياد
الشباب والتغرير بالفتيات، ولذا فلم ~~تكن~~ تمضِ إلا قرابة شهرين حتى رتّب موعدًا بين شيماء
وخليل؟؟. لم تكن شيماء تعلم بتلك الطريقة، وما كانت وسامة؟؟ ~~وشبابه~~
وأناقة ملبسه تلامس قلبها، كانت الخطوة الجريئة من؟؟ لمحاولة ~~لتجمعهما~~ لتصنع نوعًا من التقارب بين أخيها وشيماء. أما شيماء فقد أخذت الأمر بعفوية
~~كل~~ حاولت؟؟ عدة مرات في ~~الاتصال~~ اتصال لقاء بين أخيها وشيماء، أملًا في أن
~~تحوّل~~ تحوّل شيماء حبها إليه، ولكنها ~~كانت~~ كانت
~~مملكة~~ مملكة لا يوجد فيها محمد.

كان سالم يلتقي سرًا بـ ؟؟ وكانوا يتناقشون موقف سيماء، وعندما رأوا أنه سيماء لن تلين عبل هذه الميل قرّر سالم أن يقنع والديه لتزويج أخته رغماً منك. لكنه كان يعلم أنه اعتراض والديه على تزويج محمد هو أنه أخته هدى وبالتالي لم يتزوجا بعد. لذا سرعى أولاً في البحث عن أزواج لأخته ولم يكن ذلك مستحيلاً مع أن سايبه الماكرة في إقناع بعض أصدقائه وأهم من ذلك إقناع أخته: مرّ العام الثاني وكأنه قرن

وكانت رفض الزواج بسيماء لا يزال أحياناً يستولي على سالم، فيخاف أن يعاد إلى بلده أن تلتهمه تلك الحرب فيضيق صدره مجدداً. عندها قرّر أن يبقى ذلك الصيف في أمريكا. ذلك القرار أيما معاناة!

عائلة الأخت أجمع ومعهم سيماء

عندما اتصل ليخبرهم بقراره: أرى يا ولدي أنه داستك صارت أجمل إليك منا. لم يجد ما يقوله لها غير مواساتها في مشاعرها. ليس الأمر في تفضيل الدراسة عليكم يا أمي كما ردّ عليك ولكنه هذه الجامعة والتخصص الذي أدرسه يتطلب تكريس معظم أوقاتي للدراسة وإلا ربما آل الأمر إلى طردي من الجامعة. ما إن سمعت الأم ذلك حتى ردّت بصوت ملؤه الرحمة والحب: لا يا ولدي لا تقل ذلك ونحن سنصبر بإذن الله حتى ولو استدعى الأمر أن تبقى هناك إلى أن تتخرج.

كانت تلك الكلمات بمثابة الغيث الذي نزل على قلبه ليطهر ما به من أحزان وهموم.

الطلبة المسلمين حول هذه العروض، فشجعوه كثيرًا على قبولها، لكنه لم يشأ أن يتخذ قرارًا كهذا بمعزل عن مرشده الأكاديمي، فأخذ ما استلم من رسائل إلى مرشده الأكاديمي.

وقد سُرَّ مرشده كثيرًا بتلك العروض، وشجع محمد على ألا تفوته مثل هذه الفرص، واقترح عليه العمل في وكالة ناسا، ووعده مرشده بأن ينسق مع مركز أبحاث الفضاء في الجامعة الذي تشرف عليه وكالة ناسا ليسهِّلوا إجراءات توظيفه. وفعلًا، لم يمض أسبوعان حتى بدأ محمد العمل في مركز أبحاث الفضاء بالجامعة، وكان عمله في فترة المساء.

وبالتحاق محمد بهذا العمل تفتحت أمام ناظريه فرصًا جديدة لم يكن ليحلم أن يصادفها من قبل؛ فقد رأى أمام عينيه الأجهزة والبرامج والكتب والمجلات وغيرها من الموارد العلمية التي تخدم علوم الفضاء، ووجد أناسًا من ذوي الخبرة والاختصاص الذين رحبوا به كثيرًا لما سمعوا عنه من تفوق وتميُّز.

بقي محمد طيلة سنوات دراسته وهو يتألق ويشتهر صيته، حتى أن كثيرًا من قنوات التلفاز والراديو والمجلات قد أجرت معه مقابلات، وكان يكتب في كثير من المجلات العلمية. ونظرًا لأنه قد أخذ تخصصًا فرعيًّا في مجال الحاسوب، فقد استطاع أن يتعمق في كثير من علوم الحاسوب، مما دعا شركة مايكروسوفت العملاقة وغيرها من الشركات لتتواصل معه، وتمد له يد العون.

وقد عمل جاهدًا لأن ينقل ما يتعلمه في علوم الفضاء والحاسوب إلى إخوانه المسلمين؛ فكان يرتب لمحاضراتٍ وعروض تُعرِّف المسلمين بعلم الفضاء والتطورات الحادثة فيه، وأيضًا ببعض جوانب علوم الحاسوب. وكان يقيم أيضًا دوراتٍ تدريبية في بعض برامج الحوسبة، وفي رصد الأفلاك وحساب المطالع. ونظرًا لاشتراكه في العديد من المنظمات العلمية، فقد استطاع أيضًا أن يكون له دور بارز في العلوم الأخرى.

كل ذلك أهَّله للحصول على مراكز قيادية طلابية في الجامعة؛ كرئاسة اتحاد الطلاب، وكممثلٍ للجامعة في اتحاد جمعية الفلك الأمريكية. وتولى أيضًا قيادة اتحاد الطلبة المسلمين لسنتين متتاليتين، استطاع من خلالهما أن يرتقي بدعوة المسلمين وغير المسلمين في الجامعة إلى مستويات لم تصلها من قبل، وأقام جسر التواصل بين اتحاد الطلاب المسلمين في الجامعة وبين اتحادات الطلاب

المسلمين في الجامعات الأخرى، وقام بدعوة العديد من المفكرين من المسلمين وغير المسلمين للمشاركة في المحاضرات والفعاليات التي كان ينظمها اتحاد الطلبة المسلمين في الجامعة.

وكان لا ينسى بلده؛ فهو على اتصال دائم ببعض مدرسيه من خلال الهاتف أو البريد الإلكتروني. وكان يقضي في المملكة كل عام حوالي عشرة أيام فقط، حيث أنه كان لا يُفرِّط في إجازة عيد الميلاد التي تكون بين فصلي الخريف والربيع، فذاك موسم خصب للمؤتمرات والملتقيات والأنشطة الدعوية والعلمية، ولذلك كان يحرص على الاستفادة من تلك الفرص، ولكنه كان يذهب بعد فصل الربيع إلى بلده ويمكث هناك حوالي عشرة أيام، يتواصل فيها مع أساتذته وزملائه ويتعرف على ما استجدَّ عندهم في ذلك العام من أنشطة ومشاريع اجتماعية ودعوية.

وما إن حان انتهاء الفصل الأخير من دراسته حتى بدأ محمد يتلقى عروضَ عمل من مؤسسات مختلفة، منها وكالة ناسا وشركة مايكروسوفت، بالإضافة إلى المنحة الكاملة لدراسة الماجستير التي قدمتها له جامعة هارفارد من خلال قسم علوم الفضاء. لكن محمدًا كان يفكر في أمر آخر؛ فهو ما أتى إلى أمريكا ليستقر فيها، وإنما جاء ليبني نفسه ويتزود مما فيها من فرص وإمكانيات، ثم يعود إلى بلده، ويبدأ في خدمته، وخدمة أمته.

وقد استشار بعض إخوانه في اتحاد الطلبة المسلمين وفي غيرها من الأماكن، وراسل بعض مدرسيه في المملكة، واستشار أيضًا مشرفه الأكاديمي وبعض المدرسين الآخرين في قسم علوم الفضاء. وكان مَن في أمريكا يشجعه على المواصلة وقبول تلك العروض، أما مدرسوه فكانوا يحثونه على العودة إلى بلده لتولي زمام الأمور في الأنشطة والمشاريع التي بدؤوها هم باقتراحه هو. وكان والداه يحثانه أيضًا على العودة، وأخبره والده بأن فرص العمل في المملكة متوفرة، وخاصةً لأشخاص مثله. لذلك قرر محمد أن يعود إلى بلده فور انتهاء دراسته.

وبعد أن انتهى الفصل الدراسي، وتخرج محمد بمعدل ٣.٩٥، أي بدرجة امتياز من مرتبة الشرف الأولى. حضر حفل التخرج الذي أقامته الجامعة، وحضره معه العديد من زملائه وأصدقائه الذين بنى معهم علاقات علمية أو دعوية. وتوجه محمد بعد استلامه لشهادة التخرج بمشرفه الأكاديمي يأتي إليه ليهنئه ويخبره بأن قسم علوم الفضاء سيقيم حفلًا خاصًّا لتكريمه، وأنه يمكنه دعوة من يشاء من أصدقائه وزملائه لحضور الحفل. أخبر محمد بعض إخوانه، فلم يجدوا بُدًّا من المشاركة فهم يعرفون

(X1) بعد زواج أخيه وجد سالم الفرصة سانحة لمفاتحة والديه بموضوع زواجه، ولكنه يعلم أنه لن يستطيع ذلك دون زواج صديقه يونس شيماء. فتحت صفاء معكرة موضوع الزواج فطاب خاطرها لذلك، وحسبت أنه تقصد زواجه من محمد، فردّت بطبيعية؛ ولكن أتى لذلك أنه يتحقق وسالم يعترض عليه. فكل ما يهمها حتى تقصد زواجه من أخيه حتى تأتي شيماء، وهذه تقطع علاقتها بل إنه فتحت هذا الموضوع مجددًا.

بعد تعنت شيماء فاتح سالم أبويه برغبة صديقه، فوافقا في الحال لما كان يزينه سالم لهم من صفاته وأخلاقه. ولكنه هل ستوافق شيماء؟ ردّت عفراء، وهي تتذكر موقف ابنتها منه ما اعترض سالم على زواجه من محمد. هذه فرصة لا تتكرر، حاول سالم إقناعهم، ويونس لا يقارن بمحمد لا غنى وسامته ولا في مركزه الوظيفي. أنا من ناحيتي ليس لدي مانع، ولكنه يبقى الأمر لشيماء، أنت أبوها وولي أمرها، ردّ سالم بخبث، وله الكلمة الأولى والأخيرة. علّق أبوه،

(X2) كان يتابع أخبار شيماء أولًا، وأثر فيه كثيرًا ما أقدم عليه سالم من محاولة فرض زواجه شيماء بيونس من خلال أبويه أولًا، ثم من خلال تهديداته لشيماء وتعنيفه لوالديه على التساهل معها، حسبما يتصور. لكن صمود شيماء أمام تلك الإغراءات والتهديدات قد رفع من معنوياته، وحفزه على تكريس جهوده في الدراسة ليعجّل بالزواج من شيماء، كما كانت رغبته في البداية.

مكانته في قلوبهم. استعد محمد لهذا اليوم، فلبس بدلته الأنيقة، وظهر بهيئة توحي بالصفاء والنقاء والتميُّز والتفوق.

وقد حضر الحفل رئيس قسم علوم الفضاء وعميد كلية العلوم، بالإضافة إلى العديد من مسؤولي الجامعة. وحضر الحفل أيضًا مندوبون من وكالة ناسا وشركة مايكروسوفت وغيرها من المؤسسات والمنظمات الطلابية. وفي بداية الحفل ألقى رئيس قسم علوم الفضاء كلمة ترحيبية بالحضور، قال فيها:

أيها السادة الأعزاء: أشكر لكم تلبيتكم لهذه الدعوة، وإنه لشرف عظيم لنا جميعًا أن نلتقي اليوم لتكريم واحد من أنجب أبنائنا الذين سيظل قسم علوم الفضاء والجامعة بأكملها يتذكرانه لسنوات قادمة. إني أعني بذلك الطالب محمد عبد الله، الذي أنهى تخصصه بمعدل تراكمي لم يحققه أحد من قبل في هذا القسم، رغم أننا نعلم جميعًا أنه كان من أكثر طلاب القسم- بل وربما طلاب الجامعة- نشاطًا وفعالية.

إلا أن ما كان يقوم به من أنشطة مختلفة، وعلى مستويات عديدة، لم تمنعه من تحقيق ذلك التميُّز في دراسته، وإنه لشرف لنا جميعًا هذا اليوم بأن نُكرِّم هذا الطالب المثالي الذي نتمنى أن يحذو حذْوَه طلاب علوم الفضاء وغيرهم من الطلاب، فبناء الأمم لا يقوم إلا على السواعد الفتية من أمثال هذا الطالب. وقبل أن نقدم له بعض الهدايا التذكارية، نتمنى من الطالب محمد عبد الله أن يقول لنا شيئًا بهذه المناسبة.

بالإمكان الإشارة خلال فترة وجوده بأمريكا لبعض جوانب التميُّز لديهم (أي لدى الغرب) بما يؤيد أو ينقض العبارة القائلة: "في الغرب إسلام بلا مسلمين، وفي بلاد المسلمين مسلمون بلا إسلام" حسب وجهة نظرك.

قام محمد وتوجه صوب الميكروفون، ثم قال باللغة العربية:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى أصحابه ومَن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

عندما كان رئيس القسم يلقي كلمته كان محمد يسبح في عالم آخر.
لقد تذكر أيام الثانوية وكلمات أساتذته المحفزة. لا يزال يتذكر
في مسمعه عبارات أساتذته وهم يقولون له بأنه قد يكون ذلك الشخص
الذي سيعيد إلى الأمة مجدها وعزها. تذكر رؤيا الأسد الذي امتطاه
حتى استقرت به على تلك الصخرة الضخمة، والحيوانات وهي تهاجم هذا الحيوان
تحتوشه من كل ركن. أترى هذا أوان تحقيق ذلك الحلم؟ خاطب نفسه
أم أنه المستقبل سيحمل لنا ما هو خير من هذا المقام؟

تمنى في تلك اللحظات السعيدة أن لو شاركه والداه وأساتذته وزملاء
دراسته. تصور فرحتهم وهم يشاهدون ابنهم يكرم هذه
النخبة من المتميزة من العلماء والأساتذة. تذكر أيام خطبته
لزملائه، وأحسن جمعه في الأيام لم تتم له كما أراد، ولكنه
سرعان ما تذكر أن الأمور تسير كما يشاء الله لا كما يشاء هو،
وأن عليه أن يحسن ظنه بربه. كذلك، تذكر دائماً وكيف
أن مغريات الحياة قد أعدته عن نيل المعالي والوصول إلى هذه المراتب.

بعدها، بدأ يتحدث باللغة الإنجليزية، فقال:

أيها السادة الكرام، من عمداء ورؤساء أقسام ومندوبي مؤسسات وطلاب، وأخص بالذكر أساتذتي الفضلاء. أيها الحضور الكرام: أشكر لكم هذا التجمهر لتهنئتي بتخرجي من هذا القسم المتميّز، وإني أشكر السيد رئيس القسم على ما قاله في حقي، وإن كنتُ لستُ أهلًا لما قال، وإني أعترف لكم أيها الحضور الكرام بحقيقة لا أظنها تخفى عليكم، ولكني سأوردها من باب التذكير، ألا وهي أنه ما كان لي أن أتفوق في دراستي لولا توفيق الله لي، ثم العناية والاهتمام البالغَيْن اللذَيْن حصلتُ عليهما من أساتذتي بشكل خاص، ومن القسم والكلية والجامعة بشكل عام.

وإنه لا يفوتني أن أشكر إخواني وزملائي في المنظمات الطلابية دعوتهم لي للانضمام إلى منظماتهم، وإتاحتهم الفرصة لي للمشاركة في بعض الأنشطة التي يقومون بها، والتي كان لها الأثر البالغ في صقل مواهبي وقدراتي. كما أني لا أنسى أن أقدم الثناء الحسن والشكر البالغ على الاهتمام التي أولتني إياه وكالة ناسا وشركة مايكروسوفت وغيرها من المؤسسات، كما أنه ما كان بمقدوري أن أتفوق وأتميز لولا دعم إخواني وأصدقائي وزملائي وتشجيعهم لي وتحفيزهم لي لمواصلة البذل والعطاء.

فشكرًا لكم جميعًا أيها الحضور الكرام، وشكرًا لكل من كان له دور في نجاحي أو قدّم لي مساعدة أيام دراستي، سواءً كان حاضرًا أم غائبًا. وأشكر قسم علوم الفضاء مرة أخرى على هذا التكريم لي، وأتمنى أن يكون حافزًا لي ولإخواني الطلاب لمواصلة النجاح والتفوق، وشكرًا لكم.

قام الجميع وهم يصفقون لمحمد، ثم طلب منه رئيس القسم أن يبقى في مكانه، وطلب من عميد الكلية أن يأتي ليقدم بعض الهدايا لمحمد، فقُدِّمت له هدايا من قسم علوم الفضاء ومن الجامعة، وقدمت له أيضًا وكالة ناسا هدية تذكارية. أما شركة مايكروسوفت فقد أهدته حاسوبًا محمولًا. بعد انتهاء الحفل جاءه الكثير من الحضور ليسلموا عليه شخصيًا، وكان الجميع يتمنون له المزيد من النجاح والتفوق، وكان محمد يرد عليهم بالشكر.

ولم ينسَ اتحاد الطلبة المسلمين الدور الرائد الذي تولاه محمد في الاتحاد، فقرر الاتحاد إقامة حفل توديع له في المركز الإسلامي القريب من الجامعة. بدأ الحفل بعد صلاة المغرب من يوم الجمعة، واستهلّه رئيس اتحاد الطلبة المسلمين بكلمة ترحيبية بالحضور، خصَّ فيها محمدًا بالشكر والثناء البالغ

(XI) كان هذا اليوم من أبهج أيام حياته، فلم يشأ أن يفوته دون أن يشرك أهله معه. اتصل بهم وشرح لهم ما جرى وما حصل عليه. عمّت الفرحة الأسرة بأكملها، ولم تنس حذيفة أن تتصل عبر موعد قدومه. بعد أن أخذ أبناؤها بعض الوقت لإتمام إجراءات التخرج، أخبرته أمه، وبإذن الله سأخبركم عندما يتم تحديد موعد رحلتي. لم يفته كذلك أن يكتب لأخته، ويؤكد عليها أن تنقل أخباره لشيماء. وكم كانت فرحتها عندما بذلك. أرى موعد الفرحة الكبرى يقترب يومًا بعد يوم، هكذا حدثت نفسها وابتسمت ثم قالت: ~~لقد تعبت من الانتظار~~ بإذن الله سنفرح سويًا.

على نشاطه الكبير وتفاعله المستفيض في النهوض بالدعوة بشكل عام واتحاد الطلبة المسلمين بشكل خاص.

بعد ذلك قام عدد من قادة اتحاد الطلبة المسلمين والمركز الإسلامي بإلقاء كلمات الشكر والثناء على ما كان يقوم به محمد في خدمة الدعوة. وأشار عددٌ منهم إلى أن ما كان يقوم به محمد من أنشطة واهتمامات يُعدُّ انموذجًا صادقًا لما يجب على المسلم الداعية، وخاصة في الظروف الدراسية التي كان يمرُّ بها محمد، فقد أثبت قدرته على التميُّز والتفوق الدراسي، وفي الوقت نفسه كان مثالًا حيًّا للداعية الواعي والنشيط.

بعد أن انتهى المشاركون من إلقاء كلماتهم، طلب رئيس المركز الإسلامي من محمد أن يُعبِّر عن مشاعره ويشارك إخوانه بكلمة قصيرة. قام محمد وحمد الله، ثم صلى على رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، ثم قال:

إخواني الأكارم: أشكر لكم مشاعركم النبيلة تجاهي، وأسأل الله- سبحانه- أن أكون عند حسن ظنكم بي، وأن يغفر لي ما لا تعلمون.

إخواني في الله: إن أولى مَن يُشكَر بعد الله- سبحانه وتعالى- هو أنتم الذين احتضنتموني منذ مجيئي إلى هذه البلاد، وفتحتم لي قلوبكم، وجسَّدتم معي معاني الأخوة الإسلامية النبيلة. إنه لولا عناية الله واهتمامكم بي لربما زجَّت بي العواصف في هذا البلد الذي تجتاحه أعاصير الفكر والاعتقاد فتعصف بأبنائه ذات اليمين وذات الشمال. وإني لأحمد الله- سبحانه وتعالى- أن هيأ لي من أمثالكم مَن يعينني على الثبات والاستقامة على دينه.

إخواني الفضلاء: قد يتصوَّر الواحد منا أن الأعمال البسيطة التي يقوم بها لخدمة هذا الدين وهذه الأمة قد تعذره عند الله، وإني أقول لكم يا إخواني بأنه لا عذر لنا عند الله إذا كنا نقدم لديننا وأمتنا مجرد فضل أوقاتنا وجهودنا، وإننا لن نكون مؤدين للأمانة التي افترضها رب العزة علينا حتى نبذل في خدمة الإسلام وأمة الإسلام كل غالٍ ونفيس. وإني أُذكِّر نفسي أولًا وأُذكركم بأن تجعلوا همكم الأول هو نشر هذا الدين وإعزاز هذه الأمة، وإنكم في بلدٍ تتاح فيه سبل الدعوة إلى الله أكثر مما هي

متاحة في بلاد المسلمين، فعليكم استغلال هذه الظروف لا لتزيدوا من أرصدتكم البنكية، وإنما لتزيدوا من رصيدكم في الدعوة إلى الله.

إخوتي في الله: أرجو من كل مَن أسأتُ في حقه أن يسامحني، وأسألكم أن لا تنسوني من دعائكم. وأسألكم أن لا تتوانوا عن خدمة دينكم وفيكم عينٌ تذرف. وفقني الله وإياكم لنصرة دينه وإعزاز أمته، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بعد أن انتهى محمد من إلقاء كلمته سادت لحظات صمت، وكأن الحاضرين قد تأثروا كثيرًا بكلمات محمد، وتمتم بعضهم بكلمات الدعاء والشكر لمحمد. بعدها قام رئيس اتحاد الطلبة المسلمين ورئيس المركز الإسلامي وقدَّما بعض الهدايا التذكارية لمحمد، وعانقاه. بعدها قام الحاضرون للسلام على محمد وتهنئته بتخرجه، وكان الكثير منهم يطلبون من محمد الدعاء لهم، وأن لا يقطع تواصله معهم. بعد هذا تناول الجميع وجبة العشاء التي أقيمت لهذه المناسبة، ثم صلوا العشاء، وانصرف الحاضرون.

بعد انتهاء الدراسة بدأ محمد يرتب أموره للعودة إلى وطنه، فقرر أن يبقى هناك شهرًا آخر لكي يتمكن من إرسال شهاداته إلى سفارة المملكة لتصديقها، ولكي يتسنى له إنهاء إجراءات تسليم الشقة التي كان يسكن فيها، وقطع الخدمات الهاتف والكهرباء وتسديد ما تبقى عليه من فواتير. كذلك، فقد قام بجولة في بعض المحلات التجارية الشهيرة، واشترى هدايا لوالديه وإخوانه وبعض مدرسيه وأصدقائه، ولم ينسَ أن يخصَّ صديقه سالم بهدية متميزة.

دعه في الرواية يبحث عن شيء ثم يجده بأسلوب ذكي وممتع.

واشترى محمد أيضًا حقيبة دبلوماسية جمع فيها ما حصل عليه من شهادات علمية وشهادات خبرة وشهادات تقدير، وأيضًا بعض اللوحات التذكارية، بالإضافة إلى ألبوم صور جمع فيه صورًا له في بعض الفعاليات، وخاصة احتفال حفل التخرج في الجامعة، والاحتفال الذي أقامه قسم علوم الفضاء.

بعد انقضاء الشهر ودع محمد إخوانه في اتحاد الطلبة المسلمين وفي المركز الإسلامي الذي كان يتردد إليه كثيرًا، ولم ينس أن يذهب ليُسلِّم على أساتذته في قسم علوم الفضاء، وأيضًا على بعض زملائه في المنظمات الطلابية الأخرى.

غادر محمد مطار بوسطن في المساء، ووصل إلى مطار واشنطن بعد حوالي ساعة، ومنها انتقل إلى طائرة أخرى، ليغادر من خلالها أمريكا قافلًا إلى المملكة. استغرقت الرحلة أكثر من عشرين ساعة [جميل لو تشير إلى كيفية استفادته من هذا الزمن، فربما أحد القراء يحتاج لأفكار جميلة في الطائرة]، وصل بعدها إلى مطار المملكة، واستقبله هناك والداه وبعض مدرسيه وصديقه سالم. حاول كل واحدٍ من المستقبلين أن يستأثر ببعض الوقت ليسأل محمدًا عن أحوال دراسته ويهنئه على تخرجه وتفوقه الدراسي. ولقد كان مدرس التربية الإسلامية والتاريخ من أكثر المستقبلين استبشارًا بمقدم محمد، ولم يُخفيا ذلك، فقال له مدرس التربية الإسلامية: لقد كنا ننتظر هذا اليوم بشوق كبير وتلهُّف لا يوصف. لقد كنا نتناقش أنا وأخي- وأشار إلى مدرس التاريخ- بالأعمال الجليلة التي بدأتها أنت معنا وباتت تنتظرك لتغذيها بنشاطاتك وأفكارك [جميل لو أن تكون له خلال وجوده في أمريكا بعض المتابعات أو المراسلات مع معلميه أو زملائه بشأن هذه الأعمال مما سيجعل القارئ ينتقل بين عدة أحداث، ولا بأس أن تفتعل إشكاليات لديهم ويسهم في حلها بأسلوب حضاري وأخلاقي]. ونحن نعلم أن لأهلك وأصدقائك عليك حقًا، ولذلك فاقضِ معهم بعض الأيام، وبعدها ستجدنا ننتظرك لنكمل مشوار الدعوة سويًّا.

شكر محمد لمدرس التربية الإسلامية تلك المشاعر، ثم قال له: صحيح أن لأهلي وأصدقائي حقًّا عليَّ، ولكن لا تنسوا أنَّ لديني وأمتي حقًّا، وإني- بإذن الله- في تلهُّف أكبر للعمل سويًّا، وبارك الله فيكم وفي أمثالكم.

فتح محمد حقيبته وأخرج منها بعض الهدايا وقدمها لمدرسيه ولصديقه سالم، ولم ينسَ أن يقدم هدايا متميزة لوالديه، وقال لهما وهو يناولهما هديتهما: هذه فقط مجرد رمز لتعبِّر عما يكنه قلبي لكم من محبة ووفاء. بعد ذلك، ودع محمد مدرسيه وصديقه سالم، ثم عاد هو ووالديه إلى بلدته.

في اليوم التالي قام بزيارة شركات الخدمات، وأخذها بقطع خدماتها في اليوم التالي لزيارته، وزودها بعنوانه لترسل له ما تبقى له من مبالغ (لأحد أصدقائه هناك)

(X1)

الذي دفعه مسبقاً يوم مجيئه إلى أمريكا. كذلك فعل شقته. قام بترتيب حقائبه، وأخذ قسطاً من الراحة. وبعد صلاة العصر أوصله أحد زملائه في اتحاد الطلبة المسلمين إلى المطار. ثم قرأ شيئاً من القرآن

(X2)

استغل فترة الرحلة في كتابة مذكراته لذلك اليوم، ثم دوّن بعض الصفحات في كتابه الذي بدأ في تأليفه منذ أكثر من عام حول واقع علم القضاء في البلاد الإسلامية. كذلك، فقد اصطحب معه بعض المجلات العلمية التي تلقى في قراءتها، بينما انصرف هو إلى الحلق الذي كانه غالبية بقية الركاب يتلوّن بمتابعة الأفلام الأجنبية LNP.

كانت الرحلة أعناه بالنسبة له - فرصة لمحاسبة النفس والالتجاء إليه بالدعاء والشكر. لقد غاص في أعماق نفسه، واستذكر الكثير من فترات الضعف الإيماني التي قصّر فيها في حق ربه أو أسرته أو حتى نفسه. وبالمقابل، استشعر عظمة النعم التي امتنّ بها سبحانه عليه خلال الفترة التي قضاها في أمريكا. يا الله، ما أعظمك! خاطب نفسه: رغم كل تقصيري في حقك، ورغم الذنوب والآثام التي ارتكبتها وارتكبتها أحلامك إلا أنك لم تخلّ عني. يا رب: إنك تعلم أني ما جئت لهذا البلد إلا رغبة في أن أهيئ نفسي لتكون أقدر على خدمة دينك وقضية أمتك. اللهم أسبغ عليّ من وافر عطائك وعظيم الآلائك ما يجعلني إليك أقرب، ولدينك أوعى وأفهم. LNP.

بقي يناجي ربه لفترة طويلة إلى أن أعلن القبطان البدء بالنزول التدريجي إلى مطار المملكة. قبل ساعات من وصول الطائرة كان على وأسرته في فرحة غامرة وحركة دؤوبة وهم يتجهزون لاستقبال الدكتور إلى المطار. لقد علي والأولاد - وربما بترتيب مسبق من محمد كان وصوله صبيحة يوم الجمعة المباركة. ورغم عدم مجيئهم معه إلا أنه كان سعيد جداً لاستقبال الأرض من الفرحة، وكانت تقضي ساعات أوقاتها في الحافلة إلى جامعة البيمات في الحديث مع حميته محمد وأخباره ومستقبله، كما تتصوره هي.

الفصل الثالث

مقابلة وزير الخدمة المدنية

[أقترح أن تكون جميع عناوين الفصول ذات طابع أدبي أو رمزي، ولن أقترح لك فهذا من خصوصياتك]

قضى محمد اليوم الأول من وصوله إلى بلده في استقبال بعض أقاربه وأصدقائه الذين جاؤوا لتهنئته بالتخرج، وقام هو أيضًا بزيارة بعض الأقارب والأصدقاء. وفي اليوم الثاني ذهب محمد لزيارة مدرس التربية الإسلامية، وبدءا يتناقشان في خطة محمد لما بعد التخرج، فقال محمد: كما أخبرتك في الهاتف، فإني قد حصلتُ في أمريكا على بعض العروض، وشجعني الكثير من إخواني وزملائي ممن هم في أمريكا على أن أقبل واحدًا من تلك العروض، وخاصة أنها ستتيح لي مواصلة الدراسة، لكنني اطمأننتُ أكثر لرأيك أنت ومدرس التاريخ، وكذلك لتشجيع والدَيَّ وحثهما لي على الرجوع. وسأحاول بإذن الله أن أبحث عن فرصة عمل مناسبة هنا في المملكة.

ردّ المدرس بقوله: أظن أن هنالك حاجة ملحة في بلدك للاستفادة مما وهبك إياه المولى- سبحانه وتعالى- من قدرات وطاقات وعلم؛ فنحن- كما تعلم- محتاجون لك في مجال الدعوة، وهناك أيضًا من الجهات التي هي بحاجة إلى المتميزين من أمثالك في التخصص الفريد الذي درستَه. وأقترح عليك أن لا تحصر الآن مكان عملك في مؤسسة بعينها، وإنما عليك أن تتقدم بطلبك إلى أكثر من جهة، ثم ترى العروض التي يقدمونها لك، ومَن ثم يمكنك انتقاء الأفضل منها.

قال له محمد: بحمد الله وتوفيقه قد أحضرتُ الكثير من الشهادات والمستندات التي ربما تفتح لي فرصًا أكبر للحصول على الوظيفة التي أرغب فيها، ولكن ماذا عن مشاريعكم أنتم؟. ابتسم مدرس التربية الإسلامية وقال له: الحقيقة أنها شبه متوقفة، وهي بحاجة إلى مَن يدفعها إلى الأمام [ملاحظة سابقة]، وأظن أن الشخص المناسب لها قد أتى، وعليك أن تتولى زمامها.

في اليوم التالي لوصوله توجس محمد بزيارة سالم. ما إن رآه حتى بدأ يستعيد مساوئ شريط ذكرياته، وخاصة فيما قام به سالم للحيلولة من زواجه بشيماء ثم محاولته إرغامه على الزواج من صديقه. أحس وكأن سالمًا ما جاء إلا ليتفقأ فيه تلك الجروح. استقبله بوجه تملكه الكآبة وعرف ذلك سالم من الأسبوع فبادره وهو يعانقه: أعرف أني قد تسببت لك في كثير من المآسي وأن الحق في أنه تطردني إذا شئت. لم يكن ما عاودته أنه ينتقم لنفسه وفرد عليه بنبرة لا تخفي ما بداخله: لا عليك وما حصل فنظل إخوة.

بعد رفض شيماء الزواج من صديقه يونس وبدأت العلاقات بينه سالم ويونس تتأزم وكأن يونس ما صادقه إلا لغاية. كذلك رأى من صفاء أفعالاً نفرته منها. فأخذ أسرته للنزهة على الشاطئ وبينما كان يوقف سيارته إذا بصفاء تخرج من خيمة هناك وهي تمسك بيد شخص من يعرفه منذ أيام الثانوية. عندها عنى لعبيده سكينًا فيغرسه في صدرها. لم يحظه لم تكن شيماء معه وإلا لشمت به.

جئت لأعتذر لك عما بلغ اعتذاري لكل ما بدر مني وخاطب محمدًا وهو يجلس مع أريكة في المجلس. أراد محمد أن يقاطعه وأشار إليه أن يتوقف ثم تابع: لا أخفي عليك أنه بعد الوظيفة والراتب قد أعمانا عن المخلصين حولنا وكانت الوظيفة والراتب هي اللذين يزينان لي حتى قسوت على رفقاء السوء الذين تعرفت عليهم في عملي قد أعموك عن أن أصبر المخلصين حولي حولي بهما؛ فالعزيز عندي من له وظيفة مرموقة وراتب كبير.

كان محمد يستمع إلى كلمات سالم وهو يقاوم وسوسات الشيطان التي تملي له أنه لا يصدق ما يسمعه منه وأنه يعتبرها مجرد حيلة أو لعبة منه لتحقيق مآربه. لكنه نظر إلى أنه اتخاذ موقف عدائي معه لن يحقق له ولشيماء ما يريدان. وإذا كان الله يغفر العصاة من عباده مهما عظمت ذنوبهم فيكفي في لحظات ضعف، مهما جرى بيننا أن أغفر لصديق عزيز علي زلة صغيرة وحق أصدقاء وإخوة متحابين.

كانت هذه الزيارة بدءًا أو حلًا لمشاكل مثيرة جديدة من الإخاء والمحبة والتعاون. وبسببها فتح الله أبواب الزواج لم يغلق بعد أمامه عواصف أو هكذا تصور.

ردّ محمد بتواضع قائلًا: جزاك الله خيرًا يا أستاذي الفاضل، فهذا تواضع منكم، وما أنا بينكم إلا طالب أنفّذ ما ترونه مناسبًا للقيام به، وبإذن الله سنحاول أن نرتب للقاءات بيننا وبين بعض الأساتذة والطلاب الذين كانوا وما زالوا يشاركون في جماعة العمل التطوعي وغيرها من الأنشطة، فلعلَّ ذلك يحفزهم جميعًا للبذل والعطاء.

أليس من الجميل أن يبحث في الإنترنت عن فرص الوظائف وشروطها ومميزاتها قبل ذهابه إلى الخدمة المدنية؟

قال له مدرس التربية الإسلامية: أتمنى ذلك، وإن كنتَ بحاجة إلى مساعدة فيما يخصّ ترددك على المؤسسات المختلفة فأنا وسيارتي تحت تصرفك. رد محمد قائلًا: شكر الله لك يا أستاذي الكريم، وأنا متأكد من أنك لن تألوا جهدًا في مساعدتي، ولكن والدي وصديقي سالم عرضا عليَّ أيضًا مثل ذلك، وإن رأيتُ أحدَهم مشغولًا فسأكلم الآخر أو أتصل بك أنت. رد مدرس التربية الإسلامية مبتسمًا، وقال: أرجو هذا.

انصرف محمد من عند مدرس التربية الإسلامية، ثم عاد إلى البيت، وأخذ حقيبته الدبلوماسية وأخرج ما فيها من أوراق وصور وغير ذلك، ثم أخبر والده بأنه سيذهب لتصوير هذه الأوراق. أعدَّ محمد أكثر من عشرين نسخة متكاملة عدة نسخ من تلك الأوراق، ثم عاد إلى المنزل وأخبر والده بأنه يريد الذهاب إلى العاصمة لتسليم طلبه إلى بعض المؤسسات، وخاصة وزارة الخدمة المدنية. رد والده قائلًا: هذا جميل، ولقد هيأت نفسي لهذا؛ فأخذتُ هذا الأسبوع إجازة، وأنا تحت تصرفك، ابتسم محمد، وقال: جزاك الله خيرًا يا والدي، وإذًا سنذهب غدًا بإذن الله سويًّا إلى العاصمة.

أضف صعوبة واجهته مثل عدم وجود الموظف المختص أو عدم وجود طلبات وأسلوبه في إقناع الموظف.

في الغد توجه محمد ووالده إلى العاصمة، وكانت أول محطة لهما هي وزارة الخدمة المدنية. وعندما وصلا إلى دائرة شؤون الموظفين، سأل محمد عن المسؤول عن استقبال طلبات التوظيف، فسأله الموظف عن الشهادة التي يحملها، فأخبره بأنه تخرج في تخصص علوم الفضاء من أمريكا، فقال له: ما شاء الله، هذا تخصُّص فريدٌ ونادر. أهلًا الحبيب، مبارك عليك التخرُّج، وعسى أن تكون عونًا

X1 تعود في أمريكا استخدام الشبكة العنكبوتية لتقليص الكثير من المعاملات. لذا قام استخدم خط الإنترنت الذي يستخدمه إخوته وجميع عمه فرص لوظائف، وخاصة في الشركات والمؤسسات المعروفة. أمله أنه كثيرًا من هذه لم تكن لها مواقع في الشبكة، أو أنه مواقعها ما زالت غير مهيئة للتفاعل بينها وبينه الباحثين عن العمل. لكنه رغم ذلك فقد استطاع الحصول على إعلانات لبعض الوظائف، فأخذ عناوينها وأرقام هواتفها.

X2 فأخبر أحد الموظفين بأنه أخذ هذا الأسبوع إجازة، فسأله محمد متى سيقوم بعمله، فرد عليه بأنه لا أحد. تعجب محمد من ذلك، ولكنه والده شرح له لاحقًا أنه هذا أمر معمول في الوزارات. أخذ محمد الموظف بأنهم جاؤوا من مسافة بعيدة وتحايل عليه ليستلم هو أو عنده طلبه، فأخبره الموظف بأنه لابد من تسليم لذلك الشخص، وأنه عليه الانتظار للأسبوع القادم.

X4 في الأسبوع التالي ذهب مرة أخرى مع والده إلى الخدمة المدنية، وقابلا الموظف المختص باستلام طلبات التوظيف، ولكنه أخبرهما بأنه إجراءات التوظيف موقوفة حاليًا. ضجر محمد من هذا فقال للموظف: ومتى سيتم فتح هذا مرة أخرى؟ لا أدري، رد الموظف بكل برود، وحاول أنه تراجعنا في الشهر القادم. أنتظر شهرًا كاملًا؟ سأل محمد باستغراب، ثم تابع: ألا يمكنك مقابلة مدير شؤون الموظفين لأشرح له ظروفي؟ رد الموظف، ولكنه لن يفيده بشيء لأنه هذا تقديم من صلاحيات المدير. رأى محمد أنه من الأفضل له حفظ ماء وجهه، فعاد إلى البلد بخفي حنين.

لأهلك وللمملكة، ومن فضلك أعطني نسخة من سيرتك الذاتية وشهاداتك، وبإذن الله سأحاول إرسال طلبك إلى أكثر من جهة.

شكر محمد الموظف على دماثة خلقه وحسن تعامله، ثم قال له: لقد أحضرتُ عدة نسخ مما طلبتَ لكي أسهل عليكم تصوير الأوراق وترتيبها. سلَّم محمد الموظف عدة مظاريف، وأخبره بأن كل واحد منها يحتوي على نسخة متكاملة من السيرة الذاتية والشهادات. ردَّ الموظف قائلًا وهو يبتسم: يبدو عليك أنك شخصٌ مرتب. ابتسم محمد، ثم قال: شكرًا لك.

طلب الموظف من محمد أن يقوم بملء استمارة طلب وظيفة، وأن يسلمه بعض الصور الشمسية وصورًا من جواز السفر. قام محمد بتعبئة الاستمارة، وسلمها للموظف، وسلَّمه أيضًا الصور التي طلبها، ثم سأله محمد: ما هي الإجراءات المتبعة في الوزارة؟ رد الموظف: هذه هي الخطوة الأولى، وبعدها سنقوم بإرسال طلبك إلى بعض الجهات، وربما يتصلون هم بك مباشرة، أو ينسقون معنا، ونتصل نحن بك.

سأله محمد عن المدة التي عادةً ما تستغرقها هذه الطلبات، فقال له: تتفاوت بحسب الجهة، وبحسب مؤهلات الشخص؛ فالبعض قد لا ينتظر إلا أسبوع أو أسبوعين، وهناك مَن ينتظر سنة أو أكثر، فقال له محمد: على كل حال، رقم هاتفي مُدوَّن عندكم في الاستمارة، ومتى يصلكم رد فاتصلوا بي، قال له الموظف: وهو كذلك.

خرج محمد ووالده من وزارة الخدمة المدنية، فبادره والده قائلًا وهو لا يخفي سروره وتفاءله لمستقبل ولده: الحمد لله، يبدو يا محمد أن أمورك ستتسهَّل بإذن الله. ردَّ محمد وهو يبتسم: أتمنى من الله ذلك، وما هذا إلا بفضل الله ومنته، ثم بفضل دعائكم لي ووقوفكم بجانبي. ردَّ أبوه قائلًا: يا محمد، إن الله لا يُضيع عمل عاملٍ، وإنك اجتهدتَ في دراستك، وبإذن الله فهو لن يضيِّعَكَ. ردَّ محمد بتواضع: ونِعْمَ بالله.

ركب محمد وأبوه سيارتهما ثم توجها إلى بعض الجهات الأخرى، وخاصة الشركات المعروفة في المملكة، ورغم أن محمدًا ما كان يريد أن يقدم طلباته إلى تلك الشركات نظرًا لاختلاف طبيعة عملها

عن تخصصه هو، لكنه أخذ بنصيحة والديه وأساتذته. كذلك، فقد قدَّم محمد طلبًا في النادي العلمي وآخر في الجمعية الملكية لعلوم الفلك، وعند الظهيرة غادر الاثنان العاصمة وعادا إلى البلد.

استغل محمد فترة انتظار ردود المؤسسات التي تقدَّم إليها بطلب التوظيف لإعادة ترتيب أمور جماعة العمل التطوعي، فكان يلتقي بمدرسيه وزملائه كل يوم ووضعوا خططًا لتوسيع دائرة أنشطة العمل التطوعي لتمتد إلى بعض المدارس الأخرى، وأيضًا لتكون لها أنشطة في القطاعات الأخرى كالنادي الرياضي والمكتبة العامة وغير ذلك.

وقد كان من ضمن الأنشطة التي اقترحها محمد، وحظيت بمباركة مدرسيه وأعضاء الجماعة الآخرين، تلك التي تهدف إلى الارتقاء بالمستوى العلمي والثقافي لأعضاء الجماعة خاصة، ولأفراد المجتمع عامة. اقترح محمد أن تكون هناك دورات مكثفة لأعضاء الجماعة في المهارات المختلفة؛ كالقيادة وإدارة الوقت والجودة الشاملة والدعوة إلى الله [استبدل الصيغة]. كذلك، فقد اقترح إقامة أسبوعٍ ثقافي يجمع بين مريدي الثقافة ومحبي العلم وبين الشخصيات البارزة في المجتمع.

وقد شرع محمد فورًا في تفعيل تلك الاقتراحات، فقدَّم هو بعضًا من الدورات المقترحة، واستعانوا ببعض الشخصيات المعروفة في المجتمع في تقديم الدورات الأخرى. وقد حظيت تلك الدورات بإقبالٍ كبير من أعضاء الجماعة وغيرهم. كذلك، فقد أوضحت استبانات التقويم، التي كانت توزع في نهاية كل دورة، أن رضى غالبية المشاركين عن مستوى الأداء والتحصيل لتلك الدورات، وطالب الكثيرون منهم بالمزيد منها.

لقد استطاع محمد من خلال هذه الدورات أن يخدم الجماعة من جانبين: الأول، هو تحسين مستوى الأداء والتفاعل مع المجتمع بالنسبة لعامة أعضاء الجماعة، وخاصة المدرسين منهم. أما الثاني، فكان من خلال إيجاد مدربين من الجماعة قادرين على تقديم مثل هذه الدورات لعامة أفراد المجتمع.

ورغم أن هذه الدورات قد استغرقت عدة أسابيع، واحتاجت إلى إعداد جيد وترتيبات مكثفة من قِبَل أفراد الجماعة، وخاصة النشيطين منهم، إلا أن شعور الكثيرين داخل الجماعة وخارجها قد كان الرضا التام عن الجماعة، والتفاؤل الواسع بأن مستقبل الجماعة في خدمة المجتمع سيكون ذا أثرٍ

من الأمور التي كانت تشغل باله منذ عودته من أمريكا هو موضوع الزواج، وحينما أتم دراساته فيما يبدو - قد بدأ يعود إلى سابق عهده في علاقته بـ محمد، لذا رأى أن الأجواء مهيئة لذلك، كانت أمه قد فتحت هذا الموضوع معه عندما عاد من العاصمة كثيرًا وأخبرته بما جرى له. عندها قابلته قائلة: ماذا ~~ستفعل هذه المرة~~ منورًا؟ لا تقر عينك وعين بزوجة صالحة تسكنه إليك؟ تلك الليلة فتح هذا الموضوع مع والده فأيده هو الآخر.

صبيحة يوم الجمعة ذهبا إلى بيت سعيد، وعرف ~~سعيد~~ من زيارتهما أنهما لموضوع الزواج، ~~بحيث~~ تذكر سعيد ~~على~~ مواقف سالم جراء هذا الموضوع، فلم يشأ أن ~~يتخذ قرارًا~~ دون أن ~~يأخذ~~ يعلم رأيه قبل استشارته. ما إن حضرت الأسرة للغداء حتى فاتح سعيد موضوع الزواج، وتوجه مباشرة إلى سالم بقوله: هذا محمد قد تخرج، ~~وسيشار~~ على أبواب التخرج، فماذا تقول الآن؟ أنا موافق، ذهل سعيد وعفراء من سرعة رده، ولم يعرفا سبب هذا القرار السريع. ظن سعيد أن عفراء ~~على~~ مواقفه هي الأخرى، فعلق: إذا ~~على~~ بركة الله. ما إن سمعت سيماء ذلك، وكانت تسمع الحوار الدائر وهي منكبة على ~~حتى~~ ~~على~~ ابتسمت ورفعت رأسها.

أليس لي أنا رأي؟ فوجئ الجميع بسؤال عفراء، فردّ سعيد: ~~على~~ لتقل مواقفه؟ كانت عفراء قد تزوجت بنيها هدى وسارة ~~على~~ موظفين "كبار" ~~على~~ ويتقاضون رواتب ~~على~~ عالية. لذلك، عندما جاء يوسف لخطبة سيماء علمت من سالم أنه لديه وظيفة مرموقة ومرتبًا عاليًا. لكل ذلك لم ترحب ~~على~~ بتزويج سيماء إلا بشخص على نفس مستوى زوجي ابنتيها ~~على~~ الاثنين الآخرين. ~~على~~ وأما سيماء فضاء القلق والتوتر بادياً على وجهها. سيماء لم تتزوج بعد، تكلمت عفراء بعد فترة من الصمت، وما إن سمعت سيماء ابنتها حتى ~~على~~ زاد اضطرابها، ثم إن محمدًا لم يتوظف بعد، تأهبت عفراء ~~على~~ ولأرض بتزويج ابنتي على يعيش كفافًا على والده. وإذا كانوا غير مهيئين فنحن الانتظار، فنحن ننتظر.

~~على~~ بدا ما قالته عفراء منطقيًا، فوافق سعيد وسالم، ولكن سيماء لم تكد تسمع كلام أمها حتى ~~على~~ انفجرت باكية، وهي تبكي، ما إن وصلت الأخبار إلى محمد حتى ~~على~~ أحس بضيق شديد، ونهض منكمشًا مع أسرته، حتى إن أمه عبرت عن ذلك، فقالت: يبدو أن بنتنا منكوبة، فلماذا تصر على هذا الزواج الملايين ممن هو خير منك؟ ما إن سمع محمد ذلك حتى ~~على~~ استشاط غضبًا، وهناك لا يا أمي، لا تقولي ذلك، فما بالنا بي ليس هناك من يعادل سيماء في ~~على~~ أخلاقها وتدينها، ~~على~~ وجمالها!

فعال. [لو تتطرق في أي موضع للصعوبات التي واجهتها الجماعة وكيفية التغلب عليها والصعوبات التي واجهته في ذلك، لكي لا يتكون لدى القارئ الانطباع بأن لديه عصا سحرية].

وقد قام محمد باستغلال هذه المشاعر الإيجابية لدى أعضاء الجماعة، وذلك من خلال وضع برنامج عملي لهم يهدف إلى طرح العديد من الأنشطة التي تخدم المجتمع، والتي يقوم بها أعضاء الجماعة أنفسهم. وقد كان إقامة الأسبوع الثقافي لأول مرة في المدينة حدثًا ثقافيًّا متميِّزًا لدى أفراد المجتمع، وشهد بذلك الكثير من شخصيات المجتمع، بالإضافة إلى التغطية الواسعة من العديد من وسائل الإعلام في المملكة.

استطاع محمد من خلال الأسبوع الثقافي أن يُفعِّل أعضاء الجماعة والعديد غيرهم من عامة أفراد المجتمع، وذلك بإعداد خطة مدروسة وناجحة لإقامة فعاليات ثقافية على مدار أسبوع كامل. وقد ميَّز هذا الحدث عن غيره ما كان فيه من الفقرات الفكرية والعلمية المتميِّزة، والتي قامت الجماعة بدعوة شخصيات عربية وإسلامية بارزة من داخل المملكة وخارجها للمشاركة فيها.

وقد استغلت الجماعة الإقبال الواسع على الأسبوع الثقافي، فقامت بطرح العديد من الدورات المكثفة، التي استطاعت أن تبني الكثير من المهارات المفقودة لدى شريحة كبيرة من المثقفين في المجتمع. كذلك، فقد قامت بطرح مسابقة علمية متميزة خلال أيام الأسبوع الثقافي، شهدت إقبالًا كبيرًا من كافة شرائح المجتمع، بما فيهم النساء والأطفال.

أما فيما يخص محمد شخصيًّا، فقد كانا أمران مهمان قام بهما محمد طيلة الأسابيع الثلاثة التي قضاها في بلده بعد تقديم طلبات التوظيف للمؤسسات المختلفة. الأمر الأول هو قرار محمد للحصول على رخصة قيادة، والذي حصل على تأييد ودعم غير محدود من قِبَل والده ومدرس التربية الإسلامية.

لقد رأى محمد أنه خلال فترة دراسته في أمريكا لم يكن بحاجة لقيادة السيارة؛ فقد كان مسكنه قريبًا من مكان دراسته، وكان زملاؤه في اتحاد الطلبة المسلمين يصطحبونه معهم عندما تكن هناك حاجة للذهاب لأماكن بعيدة أو للتسوُّق. أما في المملكة، فقد رأى محمد ضرورة الحصول على رخصة

قيادة ليتسنى له التنقل إلى القرى والمدن المختلفة، وخاصة في أيام الدوام الرسمي والتي يكون فيها والده ومدرسوه وصديقه سالم منشغلين بوظائفهم.

تعاقد محمد مع مدرب سياقة، [لم لا تجعله يتدرب في أمريكا وتعطي القارئ مفارقات وأفكار جميلة عن المرور والقيادة] بحيث تكون فترة التدريب مكثفة؛ أي في الصباح والمساء. لم يحتج محمد إلا لأسبوعين، واستطاع بعدها الحصول على رخصة القيادة. وبعد حصوله عليها كان يستخدم سيارة والده في أحيان، وسيارات بعض مدرسيه في أحيان أخرى. وقد كانت وجهته في معظم الأوقات هو الخروج من قريته والذهاب إلى القرى المجاورة، وذلك إما لإلقاء بعض المحاضرات والدورات المبسطة، وإما لزيارة بعض الأشخاص الذين تعرَّف عليهم في الأسبوع الثقافي والأنشطة الأخرى التي أقامتها جماعة العمل التطوعي.

أما الأمر المهم الآخر، فقد كان تحقيق حلم محمد أثناء دراسته، وهو التعمُّق في أمور دينه وخاصة فيما يتعلق بحفظ كتاب الله والدعوة إلى الله. وضع محمد لنفسه برنامجًا مكثفًا يخدم هذا الجانب؛ حيث كان يستيقظ في الثالثة فجرًا صباحًا، وكان يقضي تلك الفترة إلى صلاة الفجر في حفظ كتاب الله ومراجعة ما حفظه في الماضي.

أما في الفترة بين صلاة الفجر إلى طلوع الشمس فقد كان يقضيها في المسجد، حيث كان يصطحب معه كل يوم واحدًا من كتب الدعوة، ويقوم بقراءته وتلخيصه ويلخصه لغرض تقديمه لإخوانه مستقبلًا إما على شكل محاضرة أو دورة علمية. أما في فترة ما قبل النوم، فقد كان يقضيها في مراجعة ما قام بتلخيصه في ذلك اليوم ومحاولة إضافة أفكار جديدة عليه. وقد كان محمد يسعى من خلال تلك التلخيصات إلى تجميعها يهدف إلى جمع التلخيصات وإخراجها على شكل كتاب يخدم الدعوة إلى الله.

[حاول أن تتخلص من بعض المفردات التي تصلح الجملة بدونها]

[تخلص من حروف العطف بين الجمل قدر الإمكان خاصة في بداية الفقرات]

كذلك فقد كان بقي محمد على اتصال بصديقه سالم وكانا يتبادلان الحديث عن أمورٍ تتعلق بالعمل الوظيفي في المملكة، وكان يستشيره في ما يمكن أن يقوم به من أجل تسريع فرصة الحصول على

وظيفة. وقد حاول محمد أن لا يدخل مع سالم في نقاشات حول أمور الدعوة، حيث أنه قد رأى منه انصرافًا كبيرًا عن هذا الجانب.

وبحكم السنوات التي قضاها سالم في العمل، وبحكم تردده على المؤسسات المختلفة في العاصمة، فقد كان سالم بين الحين والآخر يوجه محمدًا للاتصال ببعض المؤسسات، ومعرفة ما إذا كانت عندهم فرصًا للعمل. كذلك، فكان محمد وسالم يلتقيان في إجازة نهاية الأسبوع ويتحادثان حول هذا الأمر.

انقضت عدة أسابيع، وكلما اتصل محمد بجهة ما لمعرفة أين وصلت إجراءات التوظيف عندهم، كانوا الجميع يردون عليه بأن الإجراءات جارية وأن عليه الانتظار والصبر. شعر محمد بأن بقاءه في البلد واستخدام الهاتف للتواصل مع المؤسسات المختلفة قد لا يفيده في تسريع إجراءات توظيفه. لذا، فقد ناقش هذا الأمر مع صديقه سالم، واقترح عليه سالم أن يذهب معه إلى العاصمة ويبقى في شقته، بحيث يستغل فترة ذهاب سالم للعمل في التردد على المؤسسات المختلفة ومتابعة الإجراءات معهم بنفسه.

بعد مناقشة هذا الأمر مع والده ومدرس التربية الإسلامية، رأى الجميع صواب ما اقترحه عليه صديقه سالم من الذهاب إلى العاصمة والبقاء بها. في بداية الأسبوع التالي رافق محمد سالمًا إلى العاصمة وأقام في شقته. وفي كل صباح كان محمد يخرج مع سالم في سيارة سالم، ويتوجها إلى مقر عمل سالم. وعندما يصل سالم إلى عمله يقود محمد السيارة، ويتردَّد بين المؤسسات المختلفة، ولا يعود إلا بعد الظهيرة لأخذ سالم إلى شقته بعد انتهاء عمله.

كان محمد يقضي معظم فترة الصباح في مراجعة الجهات المختلفة التي تقدَّم إليها بطلبه. واستطاع محمد في زيارته لتلك المؤسسات التعرُّف عن قرب عن طبيعة عمل تلك المؤسسات والقائمين عليها. وقد تبينت له أمورٌ كثيرة كانت غائبة عنه. من هذه الأمور أنه وجد أن العديد من المؤسسات- رغم شهرتها وكثرة العاملين بها- لا يعمل فيها من المواطنين إلا النزر اليسير، وغالبية هؤلاء هم في وظائف متدنية من حيث الراتب والإنتاجية.

(X1) أكثر ما كان يقلقه في هذا الأمر المصاريف الكثيرة التي سينفقها في العاصمة؛ فهو لا يريد أن يكون عبئًا عليه، ويكفي أنه سيسكن شقته وسيارته.

(X2) كان والده يدرك غلاء المعيشة في العاصمة، وحجم المصاريف التي سينفقها محمد، ولذا ناوله مبلغًا من النقود، وحاول أن يصرف والده عن ذلك فأبى أبوه إلا أن يأخذها.

كان الكثير من المواطنين الذين التقى بهم محمد في هذه المؤسسات لا يتقاضى من الرواتب إلا ما يعينه على دفع نفقات الإقامة في العاصمة، وما يفيض عن ذلك فلا يكاد يغطي احتياجاته الخاصة. أما المساعدة في توفير نفقات الأسرة أو الادخار للمستقبل فنادرًا ما كان موجودًا عند معظمهم. وقد اكتشف محمد أن السبب الأول لهذه الظاهرة هو تدني المستوى التعليمي لهؤلاء؛ حيث أن أغلبهم كانوا من خريجي الثانويات، ولم تتح لهم فرصة الالتحاق بالكليات والجامعات بسبب تدني تحصيلهم العلمي في الثانوية.

أما الفئة القليلة الباقية فقد استطاعت أن تصل إلى المرحلة الجامعية، وحصلت بعدها على وظائف لا بأس بها، إلا أن غالبيتهم كانت من ذوي الطموحات الواهية والاهتمامات المتواضعة. لذلك، فقد وجد محمد - من خلال استطلاع رأي بعض المسؤولين الوافدين في هذه المؤسسات - أنهم لا يتشجعون لتوظيف المواطنين نظرًا لعدم جديتهم في العمل، ولعدم رغبة الكثيرين منهم في الارتقاء بمستوياتهم ومستوى مؤسساتهم.

أحسَّ محمد بأن الله - سبحانه وتعالى - قد هيأ له فرصة التعرُّف على هذه المؤسسات ليُلفت نظره إلى المسؤولية الكبرى التي عليه القيام بها تجاه مجتمعه وأمته. لذا، فقد جعل محمد من هذه اللقاءات فرصة لدراسة الوضع الحالي للمجتمع ولتحفيز الشباب على البذل والعطاء. كذلك، فقد حاول أيضًا محمد أن يتعرف على بعض الأشخاص الذين يمكن أن يكون لهم دورٌ رائد في خدمة المجتمع وإصلاحه.

["كذلك" حاول عدم تكرارها بصور متقاربة]

كان محمد قد رتَّب وقته، رتَّب وقته بحيث يتنقل بين المساجد لأداء الصلوات المفروضة، وكان يُبكِّر في الوصول إلى المساجد بغية أن يتعرَّف على الناس الذي يتعشَّم فيهم الخير للصلاح والإصلاح، كذلك، فقد كان يرمي أيضًا إلى دراسة أحوال المساجد الموجودة في العاصمة، وذلك من خلال لوحات المسجد وما يوضع بها من مقالات وإعلانات عن الدروس والمحاضرات.

[تكرار اسم "محمد" بهذه الصورة (٧ مرات في صفحة واحدة) ليس من صالح الرواية، استخدم الضمائر قدر الإمكان لا سيما أن القارئ يعلم أن بطل الرواية هو محمد]

وحاول محمد كذلك أن يلتزم بحضور العديد من الدروس والمحاضرات، وكان يستغل أيَّة فرصة تسنح له في التعرُّف على المشائخ والدعاة والمصلحين. وفي أحيانٍ كثيرة، كان أولئك يلْحظون من محمد منه نجابته وعلوِّ همته في الدعوة إلى الله وإصلاح الأمة. وكان البعض يتشجع للتعرف على محمد والتحاور معه، وكان هو بالمقابل يعتبر تشجع بعضهم للتعرف عليه والتحاور معه، واعتبر هو تلك اللقاءات فرصًا سانحة يسوقها الله إليه لبناء ثقافة واسعة حول المجتمع، ولإنماء فكره وتوسيع معارفه.

وقد كان محمد أحيانًا يتعمَّد تعمَّد أحيانًا عدم أخذ سيارة سالم في تردده في شوارع العاصمة، وإنما كان يركب سيارات الأجرة. وقد هدف من هذا التصرُّف التعرف على أحوال عامة الناس وأحوالهم ومستوياتهم العلمية والثقافية والفكرية، وكان لا يركب . وقد كان محمد لا يركب واحدة من سيارات الأجرة إلا استطاع- بلباقة وحكمة- أن يفتح موضوعًا للنقاش.

وقد اكتشف محمد أن غالبية سائقي سيارات الأجرة، وكثيرٍ من المترددين عليها، يمكن تصنيفهم في طبقة الأمية المتعارف عليها، وشريحة كبيرة منهم عندهم من الأمية الدينية والفكرية ما لا يخفى على لبيب. كذلك، فقد وجد ووجد أن غالبية هؤلاء لا يهمهم ما يجري في المجتمع من أحداث، فضلًا عن أن تكون لهم اهتمامات بما يجري في العالم. أما القليل النادر ممن كانوا يشاركون في الحديث عما يجري في مجتمعاتهم، فقد كانت ثقافتهم حول تلك الأحداث وتصورهم لكيفية التعامل معها تنبئ عن فكرٍ سطحي، وساذجٍ في أحيانٍ كثيرة.

لقد كان محمد، وهو وكان عندما يلتقي بأولئك الأشخاص، ويستمع إلى تلك الحوارات، كان في داخل نفسه يفكر في داخل نفسه فيما يمكن أن يفعله لمساعدة أولئك، وغيرهم من أفراد المجتمع. لقد أحسَّ محمد أن نطاق الدعوة إلى الله يجب أن لا ينحصر في المثقفين فقط، أو فيمن عندهم رغبة في التفاعل مع المجتمع فحسب وأيقن . لقد أيقن محمد أنه لا صلاح للمجتمع إلا بصلاح جميع أفراده.

لذا، رأى من الضروري أن يُغذِّي روحه وقلبه وعقله بما يعينه- بعد توفيق الله سبحانه وتعالى- على ممارسة الدعوة مع أمثال هؤلاء. وقد كان للتفاعل حفَّزه التفاعل الذي حدث بينه وبين من التقى

بهم في العاصمة حاولوا له لأن لينحوَ بجماعة العمل التطوعي وغيرها من المؤسسات لتسعى للتعمق في فهم المجتمع وخدمة أفراده فيما يُصلح أحوالهم في أحوال دنياهم وأخراهم.

أما فيما يخص العمل الوظيفي فقد ذهب محمد عدة مرات إلى وزارة الخدمة المدنية، وكان الموظف الذي التقى به أول مرة يستقبله بالبِشر ويطمئنه بأن الإجراءات سارية، وأن عليه الانتظار. وقد سأله محمد عن الجهات التي أرسلوا طلبه إليها، فردَّ عليه الموظف بأنهم عادة يرسلون الطلبات التي تصلهم إلى معظم الوزارات والجهات الحكومية، وأن الجهة التي ترغب في توظيف شخصٍ ما فإنها ترد على وزارة الخدمة المدنية لإكمال إجراءات توظيفه.

وذات يوم ذهب محمد إلى الخدمة المدنية، فقابله الموظف- كعادته- بالبِشر، وأخبره بأنهم قد وصلهم ردٌّ من وزارة البريد. تعجَّب محمد مما سمعه من الموظف، فقال باستغراب: وزارة البريد؟ وماذا عسى أن تكون وظيفتي في وزارة البريد؟ أخبره الموظف بأنه إن كان يريد أن يعرف تفاصيل الرد فعليه أن يذهب إلى وزارة البريد ويقابل مدير التوظيف عندهم. كذلك، فبإمكانه أن يقابل مدير التوظيف في وزارة الخدمة المدنية لمعرفة تفاصيل الرد. رغم أنه محمدًا لم يكن متشجِّعًا لما قاله الموظف، غير أنه لم ير بأسًا في التوجه إلى مدير التوظيف في الخدمة المدنية لاستيضاح الأمر.

توجه محمد إلى مكتب مدير التوظيف، وأخبره المنسق بأن عنده حاليًا بعض المراجعين، وأن عليه الانتظار. لم يدم انتظاره محمد طويلًا، فدخل على مدير التوظيف وسلَّم عليه وعرَّفه بنفسه. بعدها سأله عن الردِّ الذي وصلهم من وزارة البريد، فقال المدير: كما تعلم، فنحن نرسل الطلبات التي تصلنا إلى الوزارات المختلفة، وعندما يصلنا ردٌّ من أحدها فإننا نخاطب صاحب الطلب لكي يُكمِل إجراءات التوظيف في الوزارة المعنية.

ردَّ محمد قائلًا، ولكن، كما تعلم فإن تخصصي هو في علوم الفضاء، وماذا عساي أن أعمل في وزارة البريد؟ قال له المدير: كانت لدى وزارة البريد وظيفة شاغرة، وهي فرز الطرود البريدية التي تَرِد إليهم من الدول الغير ناطقة باللغة العربية. وعندما رأوا أنك من خريجي أمريكا، وأنك من المتفوقين دراسيًّا، وجدوا أنك قد تكون الشخص المناسب لتلك الوظيفة.

استغل سالم وجود صديقه معه ففتح معه موضوعًا لم يخطر على بال محمد من قبل. لم يلاحظ في الأسبوعين الماضيين أيام الثانوية والأخيرة الأسئلة التي تدل اهتمامًا ولو من طرف خفي بسالم وحميه. عندما سأله: ما رأيك في الزواج من حميه؟ لم يدر ما يقول: هل يوافق صاحبه بحكم صداقته السابقة وحالته معه الآن؟ أم يعارض عقابًا له على مواقفه مع شيماء؟ لم ينس أيضًا أنه يريد توطيد العلاقة مع سالم وأسرته بقي صامتًا لا يدري ما يقول، ثم بعد فترة قال: سأطرح الأمر على حميه ووالدتي. عندما جاء العشاء اختلى أولاد بأخته، فسألها عن شيماء، فأجابته بأنه معنويًا تحطم ما زالت متأثرة بعد رفض أهله موضوع الزواج. وأنتِ، ما رأيك؟ ظنت أنه يقصد زواجه من شيماء، فابتسمت، ثم قالت: تسألني عن رأيي الآن وأنت تعلم أني كنت وما زلت مع أمر الزواج؟

وأدنه على بركة الله فالعلم مبتسمًا. ما إن سمعت كلماته وأت ابتسامته شكت في أنه قد تشبث أمر زواجه بشيماء مع سالم، فعلقت: الحمد لله لقد استفدت من بقائك مع سالم. يبدو أنه يعزك كثيرًا؟ صدمت لسماع هذه الكلمات منه، وبدأت تخمن حول السؤال إذا كان يقصد زواجه بسالم فبدأ اضطرابها، ثم ردت: وما دخلي أنا؟ أنت للعلنية بهذا الموضوع، فردّ محمد، زاد اضطرابها وبدأ الحياء يطغى على نظراتها ونبراتها فعلقت تبتسم: ومن قال لك أني أريد الزواج الآن؟

عندما اجتمعت الأسرة للعشاء، بدأ محمد يفتح الموضوع مع والديه، وعرف الوالدان من سكوت حميه وتنكيس رأسها أنها لا تمانع. السكوت علامة الرضى، علّق أبوها عندما رآها لا تجيب على سؤاله عن رأيها في الموضوع، حاولت حديجة أن تعترض، وتأتي بحجج كتلك التي جاءت بها عفراء، ولكنه محمدًا أفضل بأن عليك أن تكون قدوة لغيرها، وأنه لا تحكم أهواءها بحساب

تعجَّب محمد من تصرُّف وزارة البريد، وبدت الدهشة واضحة على محياه، وقال بنبرة تنم عن تعجُّب وتهكُّم في الوقت نفسه: قضيتُ تلك السنين في دراسة علوم الفضاء، وفي النهاية أعمل في فرز طرودٍ بريدية؟!! ردَّ عليه المدير، ونبرة صوته تنم عن تعجُّبه من ردِّ محمد، وعن استنكافه عن تلك الوظيفة، فقال: يبدو عليك يا عزيزي أنك لا تعرف عن شُحِّ الوظائف عندنا، وخاصة بالنسبة للمواطنين. إن العاقل في هذا الوقت هو مَن يقتنص أية فرصة وظيفية تسنح له، وليس من الحكمة- فيما أرى- أن يشترط الشخص في نوعية العمل الذي يحصل عليه، ولا في الجهة التي يرغب في العمل فيها.

ازداد تعجُّبه محمد أكثر عندما سمع رد المدير، لكنه لم يشأ أن يدخل معه في محاورات، فقال: على كل حالٍ، لكم وجهة نظركم في هذا الأمر. وماذا عليَّ أن أفعل إذا لم أرغب في هذه الوظيفة؟ قال المدير: أخي العزيز: دعني أقدم لك نصيحة أخوية، وعساك أن تتقبلها مني كأخ وليس كمدير للتوظيف. ردَّ محمد عليه بابتسامة: تفضل.

كان المدير أثناء حديثه معه محمد قد انحنى باتجاه جهة محمد، وها هو يسند ظهره الآن على كرسيه، وكأنه يستعد لجولة كلامية معه محمد. تأوَّه المدير قليلًا، ثم قال: أخي العزيز: إن المملكة بشكل عام تعاني من أزمة في الوظائف، وخاصة بالنسبة للمواطنين. والجهات الحكومية- كما تعلم- تعاني من شُحٍّ في مواردها وميزانياتها. ولذا، فهي لا تستطيع أن تقوم بمشاريع كبيرة قادرة على استقطاب الشباب المتميِّزين من خريجي الجامعات والمؤهلات العلمية العالية. من أجل هذا، فإن الوظائف التي تطرحها هي في نظر الكثيرين متواضعة، وفي الوقت نفسه رواتبها متدنية، وخاصة إذا ما قيست بما تعرضه الشركات والمؤسسات الخاصة. من هنا فإنَّ توجه غالبية الشباب هو اقتناص أية فرصة وظيفية تسنح لهم، حتى وإن كانت دون مستوياتهم العلمية وطموحاتهم المستقبلية.

ابتسم محمد من كلام المدير، ثم قال: ولكن تعلم أن هذا التوجُّه لا يخدم البلد على المدى القريب، وهو قد يفضي إلى عواقب وخيمة- لا سمح الله- على المدى البعيد. قال المدير: هذا صحيح، ولكن- بحكم دراستك في أمريكا- تستطيع أن تستكنه أسباب المشكلة وأبعادها، ونحن- كمسؤولين- نقف في بعض الأحيان عاجزين عن التصرُّف حيالها. ويكون حالنا كالنعاج التي تنتظر حتفها على يد الجزار!! [لا أراها مناسبة والأولى حذفها]

(X1) طارت الأخبار بزواج شيماء وفرح الجميع ما عدا عفراء التي استقبلهم علي ومحمد بالبشر وافتتح حديث الموضوع ولم يجد منها إلا الترحيب.

إلا أن عفراء ترددت كثيراً في قبول الزواج بعد أن عارضته عفراء لزواج محمد بشيماء. ومن ناحية أخرى فإن لا ترى أنه حسنة ولا أخرته تليق بمقام ابنتها وهي تسعى لتزويج أولادها بأصحاب المناصب والثراء. لم يزل سام لا مجالاً للرفض فوافقت على مضض.

استقبلهم علي ومحمد بالبشر وافتتح حديث الموضوع ولم يجد منها إلا الترحيب. ثم عقد القران واتفق الجميع على أن يؤجل الزفاف إلى بعد تخرج محمد. مرت سام بقضي معظم أوقات إجازتها الأسبوعية في بيت حسنة وكانت فرصة محمد ليعاود خطبة شيماء ولكنه فضل تأجيل ذلك حتى استلام أول راتب له.

أحسَّ محمد بأن المدير عنده من صدق المشاعر والرغبة في الإصلاح، بصدق مشاعر المدير ورغبته في الإصلاح رغم أن نفسه- فيما يبدو- ما زالت مقيدة بأغلال الواقع. لذا، فقد تحدَّث محمد معه بنبرة تنمُّ عن حكمة وفهم للواقع، وقال: اعذرني يا أخي إذا قلتُ لك بأننا إذا تعاملنا مع واقعنا بهذه النظرة السلبية فإن أحوالنا ستزداد سوءًا. وأريد أن أذكر لك أمرًا، وأرجو أن لا تنظر إليه على أنه زهوٌ وتفاخر. إني كنتُ أرى ما آلت إليه أحوال المملكة وغيرها من دول العالم من تردٍّ في الأوضاع على جميع الأصعدة. لذا، فإني حاولتُ جاهدًا أن أبني لنفسي مكانة علمية تؤهلني لتغيير ما أستطيع عليه من أوضاع أمتي. وبحمد الله ومنته قد وُفِّقتُ لما كنتُ أصبو إليه وحصلتُ على أعلى الدرجات في تخصُّصي. وإنك تراني الآن مجتهدًا في الحصول على الوظيفة التي أستطيع من خلالها تغيير الواقع الذي وصفتَه لي.

أُعجِب المدير بما سمعه من كلام محمد، فردَّ عليه قائلًا: إنه لو كان عند كل فردٍ من أبناء هذا الوطن ما عندك من فكرٍ نيِّرٍ لتغيرت الأحوال بسرعة. لكن- كما قلتُ لك- لا نستطيع عمل شيءٍ خارجٍ عن الصلاحيات التي أنيطت بنا. هنا شعر محمد بأنه لن يقدر أن يُغيِّر فكر المدير في هذه الجلسة العابرة، ولذا فقد أراد أن يختصر اللقاء معه، فقال: وأنا أيضًا، كما أخبرتُك، لا أرغب في تلك الوظيفة، فماذا عليَّ القيام به الآن؟

قال المدير: من وجهة نظر نظام الخدمة المدنية الذي نتعامل معه فإنك الآن موظف في وزارة البريد، [هل يُعقَل أن يعتمد توظيفه بدون مقابلة ولا إجراءات... راجع] ولذا فإن كنتَ لا ترغب في تلك الوظيفة كما قلتَ، وأنا أتمنى أن تراجع نفسَك في قرارك هذا، ولكن إن أصررتَ على موقفك، فعليك أن تذهب إلى وزارة البريد وتأتي لنا منهم برسالة إخلاء طرف، ليتسنى لنا فتح ملفك من جديد، ومواصلة التخاطب مع الوزارات والجهات الأخرى التي أرسلنا إليها طلبك.

تعجَّب محمد مما سمعه من المدير، فقال مستغربًا: كيف تعتبروني موظفًا في جهة لم أذهب إليها، ولستُ راغبًا في العمل فيها؟ قال له المدير: إن تقديمك لأوراقك عندنا يعني أنك قد خولتنا للبحث لك عن أية وظيفة، وأيضًا فإن ذلك يخوِّل الجهة التي تصلها أوراقك لإكمال إجراءات التوظيف، سواءً كان بالتنسيق مع الشخص المتقدم للوظيفة أو بدون ذلك.

(X1)

منذ عودته من أمريكا بقي على تواصل مع أساتذته وإخوته في إحدى
الطلبة المسلمين والمركز الإسلامي وكان يطلعهم عما يستجد من موضوع
الوظيفة. وأتى إليه وبينهم حوارات وأطلعنا على ما دار بينهم
ونقاشات عن الأوضاع في المملكة وخاصة ما يتعلق بقطاع العمل.
شجعه العديد منهم إلى العودة والحصول على وظيفة
هناك وكان أساتذته في الجامعة وأغربته وكالة الناس وميكرو سوفت
لعروضه لم يحلم بأقل من مثل. أما أساتذته في الجامعة فشجعوه على مواصلة
دراسته وذكروه بالمنحة الملكية التي عرضت عليه الجامعة من قبل.
ناقش العروض والاقتراحات التي تقدم بها منه أمريكا مع
أهله وأساتذته فلم يشجعه أحد على العودة إلى أمريكا، ونصحوه
بالتحلي بالصبر والالتجاء إلى الله لتسهيل أموره.
مضى عدة أشهر منذ أن بدأت حميمية وشيماء سنتها الأخيرة وصار التقارب
عقد قران بسالم، وتحول لقاؤهما مع سالم والرفاق وأحيانا
بناقشان معاناة محمد في الحصول على وظيفة. هل سيسافر معه إلى
العودة إلى أمريكا؟ سألته حميمية عندما كانت تخبرها عن العروض التي حصل عليها
أخوها من أمريكا. لا أدري، ردت شيماء، ولكنه لو تم الزواج فلن
أتركه يعاني الغربة والبعد عني.
ثم تابعت:

ردَّ محمد وهو لا يصدق ما يسمعه من المدير: أوَلا توجد طريقة أخرى من خلالكم أستطيع بها رفض تلك الوظيفة دون الحاجة للرجوع إلى وزارة البريد؟ قال المدير: نحن غير مخوَّلين لتوظيف أشخاص في جهات أخرى أو إقالتهم منها، والشخص الوحيد في وزارتنا المخوَّل له بذلك هو معالي الوزير.

رأى محمد أنه من الأجدى له أن يقابل وزير الخدمة المدنية من أن يغوص في متاهات مع الوزارات الأخرى، فردَّ على المدير: قال محمد: إذًا، أظن أنه لا مناص لي من مقابلة معالي الوزير، ولكن، كيف يمكنني مقابلته؟ قال المدير: عليك التوجُّه إلى مكتب معاليه وتنسق مع مدير مكتبه في ذلك. قال محمد: إذًا سأفعل، وإني أشكرك على حديثك معي، وأعتذر على إضاعة الكثير من وقتك. قال المدير: هذا عملنا، ولو كان بمقدوري فعل شيء لمساعدتك لفعلت. شكر محمد المدير على ما قاله، ثم استأذنه للخروج.

توجَّه محمد إلى الطابق الرابع، والذي فيه مكتب الوزير، ووجد أن كل شيء في ذلك الطابق يختلف عن الطوابق الأخرى، فالأبواب ضخمة ومُذَهَّبة، والكراسي والكنبات من النوع الراقي، والجدران مزينة باللوحات الزيتية الضخمة، والأرضية مفروشة بالسجاد الفاخر.

عندما خرج محمد من المصعد، كان أول ما رآه هو مكتب منسق الوزير، وكان المنسق متكئًا على كرسيه، رافعًا الجريدة بكلتا يديه، ومستغرقًا في تصفحها. سلَّم عليه محمد، فحرك المنسق الجريدة قليلًا ليرى القادم الذي يسلم عليه، ويبدو عليه عدم الاكتراث به. ردَّ المنسق قائلًا: مرحبًا، تفضل. أيَّ خدمة؟ قال له محمد: أريد مقابلة معالي الوزير. قال المنسق: هل عندك موعد؟ قال محمد مندهشًا: لا، وهل أحتاج لموعد موعدًا لمقابلته؟ انبلجت شفتا المنسق قليلًا عن ابتسامة صغيرة تنمُّ عن تهكُّمٍ بمحمد وبما قاله: طبعًا، وهل كل من رغب في مقابلة معالي الوزير قابله معاليه؟ لماذا تريد مقابلته؟

تضايق محمد من الأسلوب الوقح الذي كان يخاطبه به المنسق، فلم يشأ أن يصارحه بما جاء به، فقال له: عندي موضوع خاص أريد أن أكلمه فيه. قال المنسق بتكبُّر: لا يمكن أن أحجز لك موعدًا دون أن أعرف موضوع المقابلة، وإذا كان الأمر شخصيًّا- كما تقول- فاذهب إلى بيته وقابله هناك!!

ازداد محمد شططًا مما يسمع، ولكنه تمالك أعصابه وقال: قدَّمتُ طلبًا لوظيفة فتم قبولي في وزارة البريد في وظيفة لا تناسبني، وأريد من معالي الوزير أن يخاطب وزارة البريد لإخلاء طرفي من تلك الوظيفة. قال المنسق بسرعة، وكأنه لم يقتنع بموضوع المقابلة: هذا الأمر من اختصاص مدير التوظيف، فاذهب إليه، وهو سيرتب الأمر لك.

أحسَّ محمد أن هذا المنسق لا يريده أن يقابل الوزير، ولذا فهو يريد أن يصرفه بأيِّ طريقة. ردَّ محمد عليه قائلًا: أنا ما جئتُ إلى هنا إلا بتوجيه من مدير التوظيف. قال المنسق: لم يصلنا من مدير التوظيف أيُّ إيضاح بخصوص موضوعك، وأنصحك بأن تذهب إليه وأخبره بمخاطبتنا أولًا، وإن رأينا ضرورة لمقابلة معاليه، فسيخبرك المدير بذلك.

كاد محمد أن ينفجر في وجه المنسق، فردَّ عليه بنبرة لا تخفي الغضب الذي بداخله، وقال: يا أخي: أنا لم آتِ إلى هنا لأتسوَّل ولا لأطلب منك أو من غيرك أمرًا خارجًا عن طبيعة عملكم. وإذا كنتَ تشكُّ في صدق ما حدثتك به فاتصل بمدير التوظيف واسأله عني. أحسَّ المنسق بأن أسلوبه مع محمد كان قاسيًا، فوضع الجريدة على الطاولة ثم قال لمحمد، وكأنه يعتذر له عن أسلوبه الوقح: كان من المفترض لمدير التوظيف أن ينسق معنا أولًا قبل أن يبعثك إلينا. لكن، سأتصل به، وأشار المنسق إلى محمد بالجلوس، وقال: تفضل، اجلس.

لم يرد محمد على المنسق، ولكنه جلس في الكرسي المجاور لطاولة المنسق. رفع المنسق السماعة، وبدأ يتكلم مع المدير بصوتٍ خافت لم يسمعه محمد. [جميل أن يفكر محمد في أثاث المكتب والمفارقات بينه وباقي مكاتبة الخدمة للناس أو بالمقارنة مع المكاتب في الدول الأخرى] لم يطل حديث المنسق مع المدير، فأغلق سماعة الهاتف، ثم قال لمحمد: ومتى تريد أن تقابل معاليه؟ ردَّ محمد بسرعة: إذا كان من الممكن أن أقابله الآن فيكون جيِّدًا، وإلا ففي أقرب وقت.

ابتسم المنسق وردَّ على محمد بتهكُّم: اليوم؟! يبدو أنك لا تعلم عن انشغالات معاليه. إن معاليه مشغول طيلة هذا الأسبوع. قاطعه محمد قائلًا بسرعة: إذًا، ففي الأسبوع القادم؟ قال المنسق والابتسامة ما زالت بادية وكأنه يحاول مرة ثانية أن يصرف محمدًا عن مقابلة الوزير: في الأسبوع القادم سيسافر معاليه إلى الخارج في مهمة رسمية، ثم يعود إلى مكتبه لقضية إنجاز بعض الأعمال،

(X1)

في تلك الأثناء كان يتجول بمعية المنسق وخادمة المكتب وما به من أثاث وستائر ولوحات، رجع بذاكرته إلى جامعة هارفارد يوم أن لبى دعوة منه وصلته عن طريق رئيس قسم علوم الفضاء، رغم أنه يُعَدُّ أحد عقاريينا بمرتبة وزير، ورغم مكانته العلمية والأكاديمية، إلا أنه ما إن قدم إلى مكتبه حتى استقبله مقعقعة بابتسامة، وطلبت منه الجلوس للحظات دخلت أثناءها لتستأذن له في الدخول. فوجئ هينكل برئيس الجامعة يخرج إليه من الباب ويعتذر له أيضا عن دخل مكتبه المتواضع الذي كزين إحدى جدرانه مكتبة ضخمة، وتوجد بعض اللوحات لشهيد وعلماء علم الفضاء. لم يفق إلا على صوت المنسق وهو يقول له:

وبعدها سيأخذ معاليه إجازة لمدة أسبوعين. هذا يعني أن أقرب موعد لمقابلته سيكون بعد حوالي شهرٍ من الآن.

رأى محمد أنه إن حاول أن يدخل مع المنسق في مجادلات فقد يفوّت عليه فرصة مقابلة الوزير. لذا، فقد ردَّ عليه بامتعاض: لا بأس. احجز لي موعدًا بعد رجوع معاليه. قال المنسق بأسلوب ينمُّ عن زهوٍ، وكأنه قد انتصر على خصمه: مواعيد المقابلات مع معاليه تبدأ في الحادية عشر صباحًا وتنتهي في الواحدة ظهرًا، فمتى ترغب أن أحجز لك؟ قال محمد: في الحادية عشر.

فتح المنسق دفترًا كان ملقيًا على طاولته وبدأ يُدوّن فيه الموعد، وبعد أن انتهى قال محمد: إذًا، موعدك في مثل هذا اليوم من الشهر القادم. ردَّ محمد: بإذن الله. أردف المنسق قائلًا: يجب أن لا تتأخر عن الموعد، وإلا فقد لا تتأتى لك فرصة أخرى لمقابلته. قال محمد: لن أتأخر بإذن الله. زاد المنسق وكأنه لا يريد أن يخرج من عنده إلا وهو مهموم مغموم: ولا تنسى أن تحضر معك أوراقك. فردَّ محمد بامتعاض: سأفعل بإذن الله.

شكر محمد المنسق بتثاقل، ثم توجَّه صوب المصعد، وخرج من الوزارة وحالته النفسية تنبئ عن معاناة داخلية مما جرى له في ذلك اليوم. [استغل صورة نزول المصعد مع نزول معنوياته للحظة] كان من عادة محمد أن يواصل تنقله بين الوزارات والمؤسسات الأخرى إلى أن يحين وقت صلاة الظهر. لكنه هذه المرة توجَّه مباشرة إلى شقة سالم، واستلقى على سريره، وبقي يسترجع في ذاكرته المواقف التي مرَّ بها في وزارة الخدمة المدنية، قال محمد وهو يخاطب نفسه، ونبرة صوته يخالطها الضحك: إذا كانت هذه هي البداية، فماذا عسى أن تكون النهاية؟ [لا يكفي.. أسهب في ذلك] لكن محمدًا كان واثقًا من أن الله معه ولن يضيعه، ولذا استرجع وقال: أستغفر الله. ستكونُ النهاية خيرًا بإذن الله.

أغمض محمد عينيه ولم ينتبه إلا على أذان الظهر من المسجد المجاور. قام محمد بسرعة وتوضأ ثم توجه للمسجد وصلى الظهر، ثم توجَّه بعد ذلك إلى مقر عمل سالم. انتظر محمد قليلًا لحين خروج سالم من عمله. عندما جاء سالم سلَّم عليه، ثم قال له بسرعة وقد رأى التغيُّر في وجه محمد: ماذا جرى يا محمد؟ يبدو عليك الإرهاق.

(XI) ~~لماذا لم أطلب منهم غير حقوقي كمواطن~~. أليس من المفترض
أن يعاملونا باحترام؟ نحن لا نطالبهم غير حقوقنا كمواطنين.
لماذا يحاولون امتهاننا؟ أليسوا هم في الشرع والقانون مجرد عمال
مستأجرين لخدمة الرعية؟

بقي ~~لي~~ أن أنصح نفسي بعدم الانشغال بهذه التساؤلات التي لم يجد لها جواباً. أو
بالتشاؤم مما عسى أن يصيبه أو يجنيه من هؤلاء.

لم يشأ محمد أن يزعج صديقه بما جرى له، فردَّ عليه قائلًا: نمتُ قليلًا قبل الصلاة، ويبدو أني لم أنم بما فيه الكفاية. قال سالم: ولكن ليس من عادتك أن تنام قبل الصلاة، لا بُدَّ أن يكون حدث لك شيءٌ ما أزعجك فلجأتَ إلى النوم. ما زال محمد يراعي مشاعر سالم فحاول أن يختصر الإجابة دون الدخول في تفاصيل، فقال: نعم، حدث لي موقف أزعجني قليلًا، ولكن لا تفكر في الموضوع فإنما هو أمرٌ بسيط، وكما تعلم، فلا بُدَّ أن نمر أحيانًا بمثل هذه المواقف المزعجة.

حاول محمد أن يصرف الحديث عما جرى له، فتابع حديثه بسرعة قائلًا: في أيِّ مطعم تريدنا اليوم أن نتناول غداءنا؟ لكن سالمًا ما زال يشعر أن هناك ثمة أمرٍ مهم قد حدث لصديقه محمد، وهو في نظره أهم من الغداء، فقال له: يمكننا الغداء في أيِّ مطعم ترغب فيه، ولكن ما زلتُ أنتظر منك لتخبرني بما جرى لك.

بدأ محمد يقود السيارة باتجاه أحد المطاعم، وفي الوقت نفسه حاول مرة أخرى أن يلتف على سؤال سالم، فقال: أخبرتُك بأن الأمر هيِّن ولا داعي لقلقك. والآن، ما رأيُك أن نذهب إلى مطعم المأكولات البحرية، [هل هناك من حكمة في تخصيص نوع المطعم] فأنا أشتهي أن أتناول طبق (المأكولات البحرية المشكَّلة)، فما رأيك؟

قال سالم: جيِّد، ولكن لماذا لا تريد أن تخبرني بما جرى لك؟ أحسَّ محمد بأن سالمًا لن يتركه حتى يخبره بالتفاصيل ما جرى، فبدأ يقص عليه ما جرى في وزارة الخدمة المدنية، وكان سالم يلتزم السكوت ولم يعلِّق على كلام محمد بشيء.

عندما وصل الاثنان إلى مطعم المأكولات البحرية، كان محمد قد أنهى سرد قصته، فجلس الاثنان على إحدى الطاولات، ثم بادر سالم الحديث قائلًا، وعلى شفتيه ابتسامة: إذًا، عرفتُ الآن سرَّ انزعاجك، ولكن يا عزيزي عليك أن تعلم أن ما حدث لك اليوم، رغم مرارته وأثره النفسي عليك، ليس بالأمر الغريب، وإنما يحدث لمعظم الناس، والناس قد تأقلموا عليه.

ردَّ محمد قائلًا: ولكن، ألا يمكن استخدام أسلوب آخر غير أسلوب المراوغة والتهكُّم والسخرية؟ قال محمد، وكأنه يحاول التخفيف من معاناة صديقه: أنت امرؤٌ نشأتَ على القيم والمبادئ، وتحاول جاهدًا أن لا تجرح مشاعر أحد. لكن هناك من الناس مَن يرى أن احتراف الأعمال لا يكون إلا

بتمريغ أنوف الناس، وجعلهم يركعون لهم، وهو أسلوبٌ- رغم خطئه- إلا أنه بالنسبة لهؤلاء فإنه يحقق لهم الاحتفاظ بوظائفهم ويبني لهم- كما يتصوَّرون- مكانة مرموقة في دوائرهم. [جميل بأسلوبك الجميل أن يكون هناك تلفاز في المطعم ويعرض المنجزات وغيرها مما تتباهى به الحكومات أو الاهتمام بالعمل والمواطن... فكر]

قال محمد، وقد جاء النادل ليأخذ طلباتهم للغداء: صدقتَ، أنا الضعيف المحتاج بينهم، فليس بمقدوري إلا التأقلم مع هذه الأساليب والانصياع لطلباتهم لحين أن يُفرِّج الله هذا الأمر ويوفقني للوظيفة التي أطمح فيها. ردَّ سالم، وكأنه يريد أن يقطع الحديث لحين تناول الغداء: بإذن الله.

انشغل الاثنان بتناول الغداء، وعندما عادا إلى السيارة، كان في نفس سالم رغبة في التعليق على بعض ما جرى لمحمد في وزراة الخدمة المدنية. بادر سالم بالحديث فقال: اسمح لي يا محمد في تعليقٍ بسيطٍ بخصوص الوظيفة التي حصلتَ عليها من وزارة البريد. ردَّ محمد بأدب: تفضل.

استطرد سالم في الحديث وهو يتكئ على كرسيه بينما كان محمد يقود السيارة صوب شقة سالم. قال سالم: إني أعلم أنك قد قضيتَ عدة سنوات في دراسة علوم الفضاء، وأنك تطمح للحصول على وظيفة في ذلك التخصُّص. قاطعه محمد قائلًا، وكأنه يؤكد له أنه ما زال على ذلك: فعلًا.

واصل سالم حديثه، فقال: لكن تعلم أيضًا أن أوضاع المملكة- كما أخبرك بذلك مدير التوظيف- لا تسرُّ، فالأحوال الاقتصادية مترديةٌ، والوزارات والهيئات تعاني من شحٍّ كبير في مواردها، ولذا قلَّت الفرص الوظيفية، ونتج عن ذلك سوق سوداء للحصول على الوظائف من خلال الرشاوى والمحسوبيات. وإني أريد أن أؤكد لك بأنك، لولا أنك تخرجتَ من أمريكا وأنك تفوَّقتَ في دراستك، لما حصلتَ على تلك الوظيفة من وزارة البريد.

ردَّ محمد قائلًا: إنك تعلم يا سالم بأني قد حصلتُ على عروضٍ كثيرة في أمريكا، وأني تركتُ تلك الإغراءات وفضَّلتُ المجيء إلى بلدي، فلا أقل من أن يكافؤوني بوظيفة تناسب تخصصي وتوجهاتي. ابتسم سالم ثم قال: ليس هنا مَن يُعير التخصُّص والتميُّز اهتمامًا حتى تجد مَن يكافؤك عليها. إني أقول لك، وهذه نصيحة مني كأخٍ وصديق، بأنك إن كنتَ حقًّا تريد البقاء هنا في المملكة، فعليك

لكن صوت التلفاز قد شدّ انتباه محمد. كان المذيع يتحدث عن الإنجازات التي تحققت في أرض المملكة، فقد ظن أنه كان مقابلاً للسعادة. صار يرفع اللقمة ولا فيها ثم يتقن معلقة في يده وهو يصغي. وما يقوله المذيع شدّ المنصور انتباه سالم، فقال: مالك؟ ألا تسمع؟ ردّ عليه، إنهم يتباهون بالمنجزات التي تحقق سعادة المواطن وتكفل له كرامته، أي سعادة أو أي كرامة هذه التي يتحدثون عنها؟ ابتسم سالم، ثم علّق: أخالك لم تشاهد التلفاز منذ سنوات؟ ردّ محمد: وما الغريب في ذلك؟ لأنك لو كنت تتابع التلفاز لتعوّدت على مشاهدة البرامج؛ فهي يعاد أنها تبث ليلة كل يوم. ولكن كيف يصدّق الناس هذه الأكاذيب؟ سأل محمد بحسرة، فأجابه سالم:

إنهم لا يصدقون، وفي الوقت نفسه لا يستطيعون فعل شيء حيالها!

أن تقبل أية فرصة تسنح لك، وإني أقترح عليك أن تذهب إلى وزراة البريد وتنهي إجراءات التوظيف عندهم.

اشطاط محمد غضبًا مما سمعه من سالم، فردَّ عليه: ماذا يا سالم؟ أتريدني أن أقضي حياتي في فرز طرودٍ بريدية؟ قال سالم: وماذا في ذلك؟ إن هناك مَن يكنسون الشوارع ويجمعون النفايات من المزابل. ازداد غضب محمد، فقال: إذًا، خيرٌ لي أن أقوم أنا أيضًا بذلك.

حاول سالم أن يهدئ محمدًا، فقال: يا عزيزي: عليك أن تفرّق بين أمرين: هناك وظيفة لكسب لقمة العيش، وهناك مبادئ وطموحات يمكنك أن تمارسها متى شئت وكيفما شئت. ردَّ محمد، ونبرة الغضب ما زالت بادية في صوته: وأنا أريد أن أمارس مبادئي وطموحاتي من خلال وظيفتي وليس خارجًا عنها.

قال سالم: إنك ترى يا محمد أن توجُّه المملكة هو ليس للارتقاء بمستويات الناس ومنافسة الأمم والشعوب بقدر ما هو توفير [الإشارة إلى التلفاز] ما يسدُّ رمق المواطنين ويكفل لهم العيش والبقاء، وإني أرى أن تبدأ العمل في تلك الوظيفة ثم بعد ذلك ترى ما يحين لك من فرص لتحقيق ما تحلم به. قال محمد: إني لو فعلتُ هذا فذاك يعني ارتكاسة مميتة قد لا أستطيع الفواق منها إلا وأنا على حافة القبر.

كان الاثنان قد قاربا الوصول إلى الشقة، فأراد سالم أن يقطع الحديث في هذا الموضوع، فقال: في نهاية الأمر القرار بيدك، وما قلتُه أنا وما قاله مدير التوظيف لا يعدو كونه محاولة تبصيرك بالواقع. قال محمد: أشكر لك هذا، وعليَّ أن أفكر في الأمر، وعندي الآن الخيار في قبول الوظيفة أو في رفضها. [أضف ما يتعلق بالواسطة والاستعانة بشخصية مهمة وأثر ذلك في التوظيف ورأيه في ذلك]

قال سالم: وماذا تنوي الآن؟ قال محمد: أرى أنه لا داعٍ من البقاء هنا في العاصمة؛ فقد تردَّدتُ على المؤسسات والهيئات بما فيه الكفاية، وإني سأعود إلى البلد غدًا بإذن الله، وأعود إلى العاصمة في وقتٍ لاحقٍ إما للوظيفة أو لمقابلة الوزير. قال سالم: أنا شقتي وسيارتي طوع أمرك، وقد آنستني ببقائك معي. قال محمد: أشكر لك ما قدَّمتَه لي، وأسأل الله أن يعينني على ردِّ الجميل لك. قال سالم: العفو يا عزيزي، فأنا لم أفعل شيئًا فوق ما يمليه الواجب عليَّ.

شغلت سالم فكرة جديدة فقال لمحمد: حاولت فكرة جميلة
بالاحظ ناجحة. ماهي؟ ردّ محمد. لماذا لا تتكلم أحيانا
لله مع مدير الوظيف أو حتى وزير الحزمة المدنية؟ مثلاً؟

هنالك الكثيرون ممن تكرههم أنت أو عدوهم والدك
أو الأستاذ أسامة. ردّ سالم ثم فجأة
استدرك قائلاً: صحيح، لماذا لا تتكلم من
الأستاذ أسامة أن يكلم الدكتور؟؟؟ - ربيكم
جامعة البيان؟ وهل ترى الدكتور؟؟ يرضى بذلك؟ وسأل تتغاى
يقدر على إقناع الوزير؟ حتى سالم رأسه قائلاً: فلنجرب.

رغم أنه لا تعجبه هذه الأساليب كالتي
يعتبرها قذرة، إلا أنه أراد أن
يستكشف ما يعجبه سالم)
فقال:

كان محمد يغلي بداخله وهو يسمع ما تملي أفكار سالم، ثم لم يطق
الحديث، فانفجر في وجهه: حسبتك عاقلاً يا سالم!! ردّ سالم باستغراب:
وما العيب في فكرتي؟ هذا أمر وسيفعله كل الناس، قاطعه محمد: لا تقل
كل الناس، فهناك من الشرفاء من لا تعجبهم هذه الأساليب القذرة، قاطعه
سالم: ولماذا تسميها قذرة؟ أليست الوظيفة حقه لله؟ إذن فلماذا
تعيق وسيلة الحصول عليه؟ علّق محمد بهدوء: يا أخي: إنه دنيا
يقول لنا: الغاية لا تبرر الوسيلة، واستجداء الناس أعتبره ذلة، ثم إنه
في هذه الطرق حرمان للمستحقين ومكافأة لغير المستحقين، وفي هذا
محبط لحقوق الناس، وفيه إشاعة للفساد.

قال محمد: على كل حال، في صباح غدٍ أرجو منك أن توصلني إلى مواقف سيارات الأجرة، وعندي نية في المرور حيث أنوي المرور على الجمعية الملكية لعلوم الفلك. قال سالم: إذًا، فلماذا لا تأخذ سيارتي، وأنا سأرتب أموري إلى نهاية الأسبوع؟ قال محمد: لا داعي لذلك، فسيارات الأجرة- كما تعلم- متوفرة. قال سالم: على كل حال، إن غيَّرتَ رأيك، فسيارتي جاهزة. قال سالم: أعلم ذلك.

في صباح الغد ذهب محمد إلى جمعية علوم الفلك، وعندما دخلها وجد في الاستقبال فتاة فسلَّم عليها وأخبرها بأنه قد قدَّم منذ حوالي شهرين طلبًا للحصول على وظيفة، ولكنه لم يصله أيُّ رد. أخبرته الفتاة بأنه يمكنه الحديث مع مدير الجمعية، وأرشدته إلى مكتبه.

عندما دخل محمد إلى مكتب المدير فوجئ بوجود أحد الوافدين من الدول العربية. سلَّم محمد عليه ثم أخبره بأنه جاء ليعرف أين وصل طلبه للحصول على وظيفة. ردَّ عليه المدير فورًا دون أن يسأله عمَّن يكون ولا عن طبيعة الطلب الذي قدَّمه، فقال المدير: للأسف، لا يوجد عندنا شاغرٌ، ولهذا فلم نردَّ عليك.

تعجَّب محمد من هذا الردَّ، حيث أنه فقد رأى أن الجمعية شبه فارغة من الموظفين، فسأله: وهل عندكم من الموظفين ما يكفي لتسيير أمور الجمعية؟ ابتسم المدير، ثم قال: نعم، أظن يوجد عندنا ما فيه الكفاية؛ فكما ترى أنا موجود، وعندنا منسقة، وكفى!! ابتسم محمد مندهشًا، ثم قال: أتعني أنه لا يوجد في الجمعية إلا أنت والمنسقة؟؟ ردَّ المدير وهو يحرك رأسه، وكأنه يسخر من وضع الجمعية: نعم، الأمر كما وصفت!!

ازدادت دهشة محمد، فقال: كل هذا المبنى الضخم، ولا يعمل فيه إلا اثنان؟ لا بُدَّ أنكما تعانيان من زحمة الأعمال؟؟ ابتسم المدير مرة أخرى، ثم قال: أية أعمال؟ الجمعية شبه ميتة، وليس عندنا أية أنشطة، ولا نقوم بأية أعمال سوى استقبال من يأتي لزيارة الجمعية، والإجابة على تساؤلاتهم، والتي غالبًا ما تكون مثل أسئلتك!!

ظن محمد أن الجمعية قد ينقصها الكادر الذي يستطيع تفعيلها، فقال للمدير وهو يبتسم وكأنه يمازحه: ولماذا لا توظفوني أنا، وبإذن الله سأجعل من الجمعية حديث المجالس ووسائل الإعلام؟

ابتسم المدير، ثم قال: إذا كنتَ تريد أن تتطوَّع للعمل لدينا فالمكاتب متوفرة، وأما كوظيفة فليس للجمعية ميزانية حتى تستطيع توظيف أشخاص!!

تعجَّب محمد من هذا الردّ، فقال: ماذا؟! ليس للجمعية ميزانية؟! قال المدير: نعم. كل ميزانية الجمعية هي لتسديد راتبي وراتب المنسقة وشراء بعض المواد المكتبية البسيطة. قال محمد ممازحًا: لا بُدَّ أن رواتبكم عالية جدًّا، بحيث لا يبقى من ميزانية الجمعية شيء. ابتسم المدير مرة أخرى، ثم قال: نعم، رواتبنا والحمد لله عالية جدًّا، فهي بالكاد تفي بمصاريف سكنانا ومعيشتنا السكن والإعاشة.

شعر محمد بإحباط شديد، فهو كان يتعشَّم العمل في هذه الجمعية، نظرًا لتوافق طبيعة عملها مع تخصُّصه. لكنه في الوقت نفسه لا يستطيع أن يعمل في الجمعية بدون راتب؛ فهو بحاجة لتغطية مصاريفه الخاصة ومصاريف أسرته.

قال محمد للمدير: أعذرني يا سيدي، ولكن لماذا لا تطالبون بميزانية أكبر تتيح لكم تفعيل الجمعية؟ قال المدير: أنت تعلم عن أزمة التقشُّف التي تمر بها المملكة. لذا فقد صدر مرسوم ملكي منذ عدة سنوات بتجميد أنشطة الجمعية. وبطبيعة الحال، فقد صاحب ذلك أيضًا تقليص ميزانيتها بحيث تبقى بين الحياة والموت!! قال محمد: كنتُ أتعشَّم العمل في هذه الجمعية، ولكن فيما يبدو لا أمل من ذلك.

قال المدير: كما أخبرتك، فنحن ننتظر الفرج مما تمرُّ به المملكة، ولو انفرجت الأزمة للزم علينا الحصول على كوادر من ذوي الخبرة العالية لنستطيع إعادة الحياة للجمعية. وأنا أحتفظ بالطلبات التي تصلني، ومتى سنحت الفرصة للتوظيف فستكون من أوائل مَن نتصل بهم. قال محمد: أشكرك يا سيدي على هذا، وأعتذر لك عن أخذ الكثير من وقتك. ابتسم المدير، ثم قال: على العكس، فأنت قد آنستني وسلَّيتَ عليَّ الكثير مما أجد من هموم. قال محمد بابتسامة: أشكرك يا سيدي.

[دعه يفكر في ما صرف لهذه المباني وتجهيزاتها لصالح شركات المقاولات والتأثيث والتوريد التي هي ملك لرجال الدولة]

(٢١) <NP> كانت هذه المعلومة صدمة لمحمد بما يشاع في التلفاز
والصحف عن ذلك. وإذا بدأنا نقرأ عن أحوال المملكة من بعض
التقارير التي تقدمها صحف دولية معروفة بما وما ذكرته من أزمة
مالية خانقة في المملكة. إذا كبيرة أن يبوح بما في خاطره
للمدير بهذه الخواطر، ولكنه تعلم أنه لا يثق بأي إنسان قبل أن يمضي
معها عشرة لفترة ليتأكد من صفاء سريرته.

خرج محمد من الجمعية وهو لا يكاد أن يصدق ما سمع وشاهد. توجّه محمد إلى الشارع القريب من الجمعية وأوقف سيارة أجرة، وعاد إلى بلدته. وعندما وصل إلى منزله بدأ يقصُّ على والديه ما جرى له من أحداث في ذلك الأسبوع. وقد كانت نصيحة والديه بأن لا يقبل وظيفة وزارة البريد إذا كان يشعر بعدم رغبته فيها. كذلك، فإنهما شجعاه على انتظار موعد مقابلة وزير الخدمة المدنية، فلعله من خلالها سيستطيع التحدُّث معه حول مؤهلاته العلمية ورغبته في خدمة بلده، وقد يستطيع الوزير تدبير وظيفة مناسبة له.

في اليوم التالي ذهب محمد لزيارة مدرس التربية الإسلامية، وأخبره كذلك بما جرى له في العاصمة من أحداث في ذلك الأسبوع. وقد كان ردُّ مدرس التربية الإسلامية شبيهًا برد والديه. لذا، فقد وطنت نفس محمد على رفض وظيفة وزارة البريد، وأيضًا على انتظار مقابلة وزير الخدمة المدنية.

في فترة انتظار مقابلة الوزير، والتي كانت تقارب الشهر، استغل محمد الفرصة لمتابعة سير جماعة العمل التطوُّعي، وقام بمناقشة بعض مدرسيه حول بعض الاستراتيجيات والأفكار الجديدة التي يريد إدخالها على نظام عمل الجماعة. كانت الكثير من تلك الأفكار والاستراتيجيات تدور حول توعية الناس لتجاوز الأزمات التي تمرُّ بها المملكة. كذلك، فقد رأى محمد ضرورة وضع خطة لتوسيع رقعة أنشطة الجماعة لتشمل العامة من الناس، والذين غالبًا لا يجدون مَن يهتم بهم.

من الأنشطة التي اقترح محمد إدخالها ضمن اهتمامات الجماعة هو دعوة سائقي سيارات الأجرة والعمال والمزارعين لحضور ندوات خاصة بهم. كذلك، فقد اقترح إصدار بعض النشرات التي تناسب ثقافة هذه الفئات ومستوياتهم العلمية، بحيث يتم توزيع تلك النشرات على المستهدَفين منها بطرق مباشرة أو غير مباشرة.

من الطرق المباشرة التي اقترحها محمد هي وضع طاولة يتناوب عليها بعض المتطوعين من أعضاء الجماعة، بحيث توضع الطاولة في أماكن تجمُّع سيارات الأجرة. ويقوم المتطوِّع المناوب بتوزيع النشرات والمواد الأخرى المناسبة، سواءً أكانت مقروءة أو سمعية، على سائقي سيارات الأجرة والركاب الذين يترددون على تلك الأماكن.

الأستاذ أسامة حول ما قاله مدير الجمعية الفلكية من التقشف في الميزانية التي عرضها على الملك. قال الأستاذ أسامة: يا محمد لقد صدرت الآية تاج العقل وقادرًا استيعاب ما سأقوله لك. اختلفت مشاعر محمد بين السعادة من ثقة أستاذه به وبين التأهب لما سيقوله له، فهو يعلم أنه مثل هذه المقدمات من الأستاذ أسامة لا تكون إلا لأمر ذي أهمية بالغة.

الملكة كغيرها من بلدان المسلمين بدأ الأستاذ حديثه وهي بداية إقطاعية صخمة يديرها الحاكم العالم ويشاركه في إدارتها بعض الأمراء والوزراء وأصحاب النفوذ الذين يثق بهم الحاكم. كان محمد يستمع إلى هذه الكلمات وهو في سعادة لا توصف؛ مختلف الدراية والعلم الذي يمتلكه الأستاذ أسامة عما يخالطه من علمه في تشخيص الوقائع والأحوال يجعل كل لحظة من هذه اللحظات كنزًا علميًا وفكريًا قلما يحصل عليه المرء من مصادر أخرى.

ما كان يثير العجب في نفس محمد هو وصف أستاذه للبلدان المسلمين بالإقطاعيات والتي - حسب فهمه - تباع وتشترى وتورث. عليه أن لا يستبق الأحداث. هز رأسه موافقًا لكلام أستاذه وكأنه يطالبه بمواصلة الحديث. والحاكم يرون لشعوبهم أية حق في هذه الإقطاعيات، وأصل الأستاذ حديثه، وإنما هم مجرد حشود من الخدم يشترون من قبل الحاكم كيفما شاء لتسيير أمور إقطاعيته، وتكفيهم من العيش ما يسد رمقهم.

كان محمد يتابع الحديث بتشوف كبير، ومع ذلك فقد جالت في داخله بعض الشكوك لمصداقية كلام أستاذه. لو كان الأمر كما يقول الأستاذ أسامة، خاطب نفسه، فلماذا إذن تقوم الحكومات بعملية واسعة للإعمار وتوفير الخدمات؟ جاءت الإجابة سريعة: والحاكم يدركون أنهم مغتصبون لحقوق شعوبهم، ويعلمون أن الشعوب تدرك ما يقومون به من سرقة لثروات بلدانهم، ولذلك فهم يتظاهرون أمامهم بالنزاهة والشفافية، ويلعب الإعلام دورًا كبيرًا في تلميع صورة الحاكم أمام شعوبهم.

فعلاً، هذا ما يحدث، هكذا همس محمد في نفسه. ولو قارنا حجم ما يقدمه الحاكم لشعبه، وأصل الأستاذ حديثه، بما يقوم به هو وطائفته من سرقات وانتكاب لثروات البلاد لعرفنا ضآلة ما يتبجح به الإعلام من الميزانية المرصودة للمقاومة على أرض كل بلد إسلامي.

يا ولدي: إنه بفضل الغرب والشرق تعج بالمباني والأرصدة التي تضخ من خلالها ما ينهبه هؤلاء من خيرات بلادنا، فانظر إلى ما يتمكنون به من امتيازات لا تقارن بحال مع ما يقدمونه لشعوبهم. وانظر كم من بلداننا تعاني من الإنفاق الذي يفرضونه على شعوبهم، وما ذلك إلا ليتمتعوا هم ومن حولهم بمقدار من حرية الحركة وحرية التنقل والتجارة.

أما الطرق غير المباشرة التي اقترحها محمد فهي عديدة، ومنها الاستفادة من طلاب المدارس في تثقيف أهلهم، وذلك من خلال وضع برامج خاصة للطلاب تشرح لهم بعض القضايا التي تهم أُسَرَهم، ثم يُطلَب من الطلاب نقل تلك الأفكار إلى بيوتهم إما عن طريق النشرات والمواد السمعية المعدة لذلك الغرض، وإما عن طريق دعوة أولياء أمورهم لحضور بعض الفعاليات المدرسية التي تناقش تلك القضايا.

بعد أن انقضى قضاء الشهر وحان موعد لقاء وزير الخدمة المدنية، ذهب محمد إلى العاصمة مع صديقه سالم، وبقي معه إلى يوم المقابلة. وفي فترة بقائه في شقة سالم قام محمد بترتيب أوراقه وشهاداته، وإعداد بعض الصور التي التُقِطت له أيام تخرُّجه، والمجلات الأمريكية التي نشرت قصة تفوُّقه، والعروض التي حصل عليها من ميكروسوفت وناسا.

وفي ليلة المقابلة، ناقش محمد مع سالم ما ينوي التحدُّث فيه مع الوزير، والذي كان يتلخص في تعريف الوزير بنفسه، ثم ينتقل للحديث عن دراسته في أمريكا، ويحكي للوزير قصص نجاحه ويدعم ذلك بالصور. بعد ذلك، يُقدِّم للوزير العروض التي حصل عليها من ميكروسوفت وناسا، ويوضح له كيف أنه مع كل ذلك فقد فضَّل المجيء إلى بلده لخدمته وردِّ الجميل له. بعدها ينتقل إلى المعاناة التي مرَّ بها للحصول على وظيفة، ثم يختم حديثه بموضوع المقابلة، والذي يتلخص في رفض وظيفة وزارة البريد، والطلب من الوزير أن يختار له وظيفة أخرى تتوافق مع تخصُّصه وطموحاته.

أُعجِب سالم بخطة محمد، ولكنه نصحه بأن يراعي بعض الأمور أثناء حديثه مع الوزير. من تلك الأمور هي مخاطبة الوزير بإجلال واحترام، وأن لا ينتقص من الحكومة ولا من وزراة الخدمة المدنية لا من قريب ولا من بعيد، وأن لا ينتقص من الأشخاص الذين قابلهم، وإنما عليه أن يُكثِر من مدح الحكومة والدور الذي تقوم به وزارة الخدمة المدنية والموظفون الذين التقى بهم. وأخيرًا، اقترح سالم على محمد أن يكون على درجة من الأناقة بحيث تُلفِت نظر الوزير إليه وتحظى بإعجابه.

شكر محمد سالم شكره على تلك الأفكار والاقتراحات، رغم أنه لم يوافقه على بعض الأمور، وخاصة تلك التي فيها تصنُّع وتزلُّف بالقول؛ فنفسه لا ترضى أن تَذَلَّ لمخلوق، سواءً أكان وزيرًا أو شخصًا عاديًا. اقترح سالم بأن يلبس محمد شماغ سالم الذي يلبسه عند ذهابه للعمل، لكن محمد رفض ذلك، وأخبره بأنه لا يريد تصنُّع شخصية غير شخصيته.

في اليوم التالي استعد محمد للمقابلة، وحمل معه حقيبته الدبلوماسية والتي بها ما قام بتجميعه من أوراق وشهادات وصور. أوصله سالم [redacted] إلى وزارة الخدمة المدنية، ثم توجَّه مباشرة إلى عمله، وطلب منه [redacted] أن يتصل به بعد انقضاء المقابلة.

كان محمد يشعر ببعض الارتباك، ليس من هيبة الموقف عند مقابلة الوزير، ولكن من خوفه من أن يرتكب أثناء المقابلة شيئًا لا يُرضي الله سبحانه وتعالى، والذي قد يكون في إعجابه بنفسه عند الحديث عن دراسته وتفوقه، وقد يكون في أسلوب حديثه مع الوزير وما قد يصاحب ذلك من تذلُّل وتملُّق. كذلك، فقد كان يتخوَّف من أن يرى في مكتب الوزير من أبَّهة وفخامة ما قد تضعف نفسه فتتوق للحصول على مثلها.

[دع محمد يمر بازدحام مروري يجعله يتضايق مما قد يتأخر على الموعد وهو يحب الالتزام بالمواعيد]

كان محمد يحثُّ الخطى للوصول إلى مكتب الوزير. وعندما وصل إلى مكتب المنسق الوزير سلَّم عليه، وأخبر المنسق بأنه جاء لمقابلة معالي الوزير. استدار المنسق كعادته قليلًا، ثم سأل محمدًا قائلًا: وهل عندك موعد؟ ردَّ محمد باستغراب: نعم، ألا تذكر أني جئتُك منذ حوالي شهر، وأنك حدَّدت لي هذا اليوم لمقابلة معاليه. قال المنسق: وفي أيِّ ساعة موعدك؟ قال محمد: أخبرتني بأن موعدي في الحادية عشرة، وطلبتَ مني أن آتي قبل الموعد، وها أنا قد جئتُك قبل الموعد بنصف ساعة. ردَّ المنسق قائلًا: معاليه مشغولٌ حاليًا، فاجلس في غرفة الانتظار، وسنناديك عندما يحين موعد المقابلة.

أخذ محمد حقيبته وتوجَّه صوب غرفة الانتظار القريبة من طاولة المنسق. وجد محمد أن هناك بعض الأشخاص الذين ينتظرون، فسلَّم عليهم ثم جلس. تصفَّح محمد وجوه الحاضرين فرأى أنهم تبدو عليهم الأناقة والابتذال في اللباس، مما يوحي أنهم قد يكونون من الشخصيات المعروفة. تناول محمد جريدة كانت موجودة على الطاولة، وبدأ يُقلِّب أوراقها بطريقة تدلُّ على ما يشعر به من ارتباك. بعدما أنهى تقليب الجريدة، [لو تشير هنا إلى مقالات مدح المسؤولين والتزلف إليهم حيث ستشير إلى ذلك لاحقًا] أخذ مجلة وأخذ يتصفحها، وفيما يبدو أنه أعجِب بشيء من مواضيعها فانهمك في قراءته. [دعه يعلق قليلًا على هذا المقال وعلى مركزية القرار]

X1 وتحصل ما توقعه من أنه قاربا الوصول إلى الوزارات
حتى توقف الشارع المنعطف وصار يتصاعد وعبر لطلبات الوجل
لسالم وسالم يطمئنه بأن هذه الأمور معهودة واضطرابه في شوارع المملكة
فقال عن سبب سوء التنظيم للشوارع وتكدس الوزارات والمكاتب
والمؤسسات الأخرى في منطقة واحدة تصبح الشوارع في فترات الدوام والخروج
منه مغلقة مما يجعل التأخر عن الدوام ساعة أو ساعتين شيئاً
متقبلاً. لكن لا أرض لنقص الموظفين في مثل هذا عبر محمد عما يجده في
نفسه من قلق وأرسل أنه ثبت عن مخارج أخرى توصلنا إلى الوزارة بدون
تأخير. ابتسم سالم وقال: يا عزيزي لا توجد مخارج أخرى ولو وجدت
لسلك الناس أيضاً مما يعني أن المشكلة ستكون قائمة أيضاً هناك. وصلا
إلى الوزارة في الثامنة إلا ربع أي بعد ربع ساعة من بدء الدوام.

X2 بنبرة تنم عن عدم ترحيب بوجوده. وضع حقيبته وبدأ يخرج منها أوراقاً
ويضعها في أدراج مكتبه وصار يتحرك هنا وهناك دون أن يبتسم بكلمة لمحمد
ومحمد يراقب حركاته وفي داخله ثورة هوجاء من الاحتقار لهذا التصرف الذي لا يليق
بموظف مثله. وبعد أن مرت دقائق ربع ساعة لماذا يعاملني وكأني شخص غير مرغوب
فيه؟ خاطب نفسه بأس. أنا ما جئت لأطلب منه شيئاً خاصاً عن طبيعة عمله.
ألا يفهم هذا أنه في موقع يخدم فيه الناس وأنه يتقاضى مقابل ذلك راتباً؟
مرت قرابة ربع ساعة أخرى وبعد أن جلس على كرسيه وتناول جريدة اليوم وأخذ
في تصفحها خاطبه بجفاء وعيناه على الجريدة: نعم هل من خدمة؟
وكأنه لم يره من قبل

X3 أراد محمد أن يعلق على عدم التقيد بالمواعيد ولكنه لاحظ فجأة المنصف وهو يرمي بالجريدة
ويهرول صوب المصعد وإذا بمعالي الوزير يخرج من المصعد ويتجه مدير مكتبه.
شعر بكآبة شديدة واحتقار لا يوصف لهذا المنصف وأمثاله الذين يتخذون
الكذب والمراوغة مركباً لصرف الناس عنهم وكأنهم حثالة لا قيمة لهم. أراد أن يلقن
المنصف درساً في أخلاقيات العمل ولكنه فضل تجنباً أي صدام معه.

انقضت فترة النصف ساعة، وفي تلك الفترة جاء إلى غرفة الانتظار عدة أشخاص آخرين، انشغل بعضهم بالأحاديث الجانبية، وانشغل بعضهم بتصفح الجرائد والمجلات، وبقي الباقون يتصفحون وجوه الحاضرين.

حان موعد المقابلة، لكن محمدًا لاحظ أن المنسق قام ينادي على مَن جاؤوا قبله. قال في نفسه: ربما كانت عندهم مواعيد قبل موعدي، ولكن الوزير تأخر في استقبالهم. مرَّت ساعة أخرى، وفي كل مرة ينادي المنسق على شخص ممن جاؤوا قبله. لكنه لاحظ أن المنسق بدأ ينادي على أشخاص جاؤوا بعده. صبر محمد على ما يشاهد لأكثر من نصف ساعة، وفي داخله كان يغلي، ويحاول أن يجد مبررات لذلك.

بعد أن تكرر الموقف، ورأى أن الساعة قد قاربت من الواحدة ظهرًا، نفذ صبر محمد، فحمل حقيبته، وخرج من غرفة الانتظار، ثم توجَّه صوب مكتب المنسق. شاهد المنسق مجيء محمد، لكنه لم يُعِرْهُ أيَّ اهتمام، فبادر محمد قائلًا: يا أخي: أخبرتني بأن موعدي في الحادية عشرة، وها هي الساعة تقترب من الواحدة ولم يحن دوري بعد. ردَّ المنسق دون أن يرفع حاجبه في وجه محمد، وكأنه يُخفي أمرًا قد بيَّته في نفسه: معاليه قد طلب خلفيات عن موضوعك، وعندما يطلب معاليه مقابلتك فسنناديك!!.

هنا اشتاط محمد غضبًا، وقال للمنسق: كان من المفترض أن يعرف خلفيات موضوعي قبل موعد المقابلة، ومع ذلك فأنا صاحب الشأن وبمقدوري أن أعطيه ما يحتاج إليه من معلومات عن موضوعي. ردَّ المنسق بتكبُّر: الأمور لا تسير عندنا كما تقول، وعليك الانتظار في القاعة إلى أن يطلب معاليه مقابلتك. [المنسق لا يمل من كلمة معاليه]

لم يستطع محمد أن يتمالك أعصابه، فردَّ على المنسق بصوت عالٍ سمعه مَن في غرفة الانتظار: إني لن أتحرك من مكاني هذا، فأنا ما جئتُ إلا بتنسيقٍ منك. قام المنسق من كرسيه، وبدأ يصرخ على محمد قائلًا: إنه لا يمكن أن يبقى هنا، وعليك الرجوع إلى غرفة الانتظار والبقاء هناك.

سمع مدير مكتب الوزير هذا الصراخ، فخرج من مكتبه، وجاء إلى المنسق وسأله: ماذا يجري؟ لماذا كل هذا الصراخ؟ قال المنسق: إني أطلب من هذا أن لا يجلس هنا، وإنما يبقى في غرفة الانتظار،

لكنه يرفض ذلك. توجه المدير بحديثه إلى محمد، وقال بصوت مهذب: يا أخي: هذا المكان ليس للجلوس، وهناك غرفة خاصة للانتظار، ومتى يحين موعد مقابلتك، فسيخبرك المنسق بذلك.

كان محمد ما زال مغضبًا، لكنه احترم شخصية المدير، فتحدث معه بأدب وقال: هل تعلم أني قد جئتُ إلى هنا في العاشرة والنصف، وأن موعد مقابلتي كان في الحادية عشر؟ لقد انتظرتُ في غرفة الانتظار لما يقارب ساعتين ونصف، وكان هذا- وأشار بأصبعه إلى المنسق- ينادي على مَن بالغرفة الواحد تلو الآخر. أما أنا فقد تجاهلني طيلة هذه المدة.

توجَّه مدير المكتب بوجهه صوب المنسق، وشاهد أن المنسق قد نكَّس رأسه، وكأن أمره قد انكشف. قال له المدير: ولماذا لم تنادِ عليه؟ قال المنسق: كنتُ أريد أن أجمع بعض المعلومات عن موضوعه لتقديمها لمعاليه. أحسَّ المدير بأن هناك ثمة أمر يجول في خاطر المنسق، فحاول تلافي الأمر دون إحراجه، فقال له: لا بأس، سيدخل معي، وأنا سأدخله على معاليه.

أحس محمد وكأنه قد انتصر في الجولة الأولى من هذه المعركة، فنظر إلى المنسق بابتسامة وكأنه يقول له: برغم أنفك سأدخل. كان المنسق يغلي في داخله، ولم يستطع إخفاء مشاعره، لكنه التزم الصمت.

مشى المدير إلى مكتبه وتبعه محمد، وعندما وصلا أشار إلى محمد بأن يجلس، ثم قال: سننتظر خروج الشخص الذي عند معاليه، ثم تدخل. ردَّ محمد: شكرًا، وأعتذر لك عن رفع صوتي. قال المدير: لا عليك.

انتظر محمد عدة دقائق، ثم خرج الشخص من مكتب الوزير، فقام مدير المكتب، وأشار إلى محمد بأن يتبعه. حمل محمد حقيبته، ومشى خلف مدير المكتب إلى أن دخلا إلى مكتب الوزير. دُهش محمد من اتساع مكتب الوزير وما به من كراسي فاخرة ودواليب ولوحات وسجاد، كادت تلك المناظر أن تلهي محمدًا عن متابعة خطاه نحو الأريكة التي كان يجلس الوزير عليها، لكنه حثَّ الخطى وتبع مدير المكتب.

عندما وصل محمد إلى مقربة من الوزير أشار إليه مدير المكتب بمصافحة الوزير. سلَّم محمد على الوزير، ثم مدَّ يده إليه وصافحه. بعدها أشار إليه مدير المكتب بالجلوس في الأريكة المجاورة للأريكة

التي يجلس عليها الوزير. تحرك محمد صوب تلك الأريكة، وبقي واقفًا إلى أن جلس الوزير، وانتظر إشارة الوزير له بالجلوس، وعندها جلس ووضع حقيبته بجانبه.

ابتسم الوزير، ثم بادر محمدًا بالسؤال عن أحواله. شكر محمد الله. بعدها، قال له الوزير: تفضل. قال محمد: شكرًا معالي الوزير، وبدأ يسرد قصة ذهابه إلى أمريكا وتخصصه في علوم الفضاء ونبوغه في تخصصه. بعدها، أخذ محمد حقيبته ووضعها على فخذيه، وبدأ يخبر الوزير بالتكريم الذي حصل عليه في يوم تخرجه، وأخرج من الحقيبة الصور التي أحضرها عن حفل التكريم الذي أقيم على شرفه.

ومدَّ محمد يده بالصور للوزير، واستلمها الوزير منه وبدأ يقلبها ثم وضعها جانبًا. كان محمد قد صمت قليلًا أثناء تقليب الوزير للصور، لكنه عندما شاهد الوزير يضع الصور تابع محمد حديثه فأخبره عن التغطيات الإعلامية التي نُشرت لتحكي قصة تفوقه، والعروض التي حصل عليها من ناسا وميكروسوفت. وهنا أيضًا أخرج من حقيبته نسخة من المجلات التي نشرت قصته، ونسخة من العروض التي حصل عليها، ثم ناولها للوزير. قلَّب الوزير صفحات المجلات بسرعة، ثم قلب صفحات العروض، ثم وضعها جانبًا.

وهنا توقف محمد، وكأنه يريد أن يعرف انطباع الوزير. بادره الوزير بالسؤال قائلًا: وماذا تريد مني؟ عندها بدأ محمد يسرد ما جرى له من تقديم طلباته وحصوله على عرض الوظيفة من وزراة البريد، ثم قال: وكما ترى يا معالي الوزير، فإني لستُ راغبًا في تلك الوظيفة نظرًا لبعدها عن تخصُّصي، ولعدم موافقتها لطموحاتي.

نظر إليه الوزير نظرة ازدراء، ثم قال: وما هو المطلوب؟ قال محمد: لقد طلب مني مدير التوظيف رسالة إخلاء طرف من وزارة البريد من أجل أن يفتحوا ملف توظيفي عندكم من جديد. قاطعه الوزير قائلًا: وماذا في ذلك؟ قال محمد: كما ترى يا معالي الوزير، فأنا لم أختر تلك الوظيفة ولستُ راغبًا فيها، وما أريده من معاليك هو أن تساعدني في الحصول على وظيفة تتناسب مع تخصُّصي.

ردَّ عليه الوزير قائلًا: لقد كنتَ محظوظًا في الحصول على تلك الوظيفة، وأنت تعلم أن غالبية الناس يبحثون عن وظائف ولا يجدونها.

(٢١) بدأت نفسه خلاله تكلمه وصار يشعر بشيء من الاعتزاز بنفسه لما أنجزه من مستوى علمي متميز. كما لا شك في أن الوزير ما إن يرى الصور وقد جمع ملحقه في دراسته من عمر حتى يسمعه كلمات الثناء ويقول له في الحال: سل ما شئت وتخير وظيفتك حيثما تريد. NP2

أحسَّ محمد بأن الوزير لا يريد مساعدته، فحاول أن يوضح له بأن طلبه لتلك الوظيفة هو لحبه لبلده، ورغبته في خدمتها، ولولا ذلك لبقي في أمريكا. قال محمد: كما أخبرتُك يا معالي الوزير، لقد عَرَضَتْ عليَّ وكالة ناسا وشركة ميكروسوفت الشهيرة العمل عندهما، لكني رفضتُ كل ذلك رغبةً في خدمة بلدي. ثم إني- كما أخبرتُك- قد قضيتُ سنين طويلة في دراسة علوم الفضاء، وحققتُ تفوقًا باهرًا في تخصُّصي، وبصراحة، فأنا لا أريد أن أخسر كل ذلك.

فيما يبدو أن الوزير لم يعجبه هذا الكلام، فقال محمد: الشباب هنا في المملكة يريدون أية وظيفة يحصلون عليها، ويعلمون أنه ليس من الحكمة تخيُّر الوظائف والاحتجاج بأسباب واهية كتدني الراتب أو عدم موافقة الوظيفة لتخصُّص الشخص وطموحاته!! شعر محمد بإحباط شديد، فنكسَّ رأسه، ثم تناول الصور والمجلات والعروض من الطاولة التي وضعها عليها الوزير، وكأنه يريد أن يُنهي المقابلة.

في هذه الأثناء دخل مدير المكتب، وتقدَّم نحو الوزير وأسرَّ إليه بكلام. عندها قام الوزير من مكانه، وذهب نحو الباب وخرج من مكتبه. قال مدير المكتب لمحمد: لو سمحت، من فضلك اجلس هنالك- وأشار إلى أريكة بعيدة قليلًا عن الأريكة التي يجلس عليها محمد- فمعالي الوزير عنده ضيف مهم!!

وضع محمد الصور والمجلات والعروض في حقيبته وأغلقها بسرعة، ثم حملها وانتقل إلى الأريكة التي أشار عليها مدير المكتب. وضع حقيبته على الأرض، وبقي واقفًا ينتظر دخول الوزير وضيفه.

كان محمد يسمع قهقهات الوزير وضيفه وهما خارج المكتب. وبعد قليل دخل الوزير وضيفه، ودخل معهم شابٌّ في نفس سنِّ محمد. تقدم الجميع حتى وقفوا بجانب الأريكة التي كان يجلس عليها محمد. أشار الوزير لضيفه وابنه بأن يجلسا. جلس الوزير، وبعدها جلس الضيف وابنه، وهنا جلس محمد.

بدأ الضيف حديثه فقال: يا معالي الوزير، هذا ابني خالد- وأشار إلى ابنه- وقد أنهى دراسته من إحدى الجامعات العربية، لكنه تخرج بمعدل ضعيف. وأنت تعلم يا معالي الوزير أن الوظائف شحيحة، وخاصة بالنسبة لخريجي تخصُّص اللغة العربية. ردَّ الوزير وهو يحرك رأسه تأكيدًا لما قاله ضيفه: صدقت.

الوزير لضيفه ليمدّ يده. فتناول شيئاً من الحلوى، وبإشارة من الوزير جاء الشاب وحمل الحلوى، ثم جاء وصبّ شيئاً من الماء، ثم ناولهما بعض الخدم ليغسلا يديهما، ثم تقدّم الثالث وطيّب لهم العروة. ثم وضع أمام الضيف

ثم بدأ الضيف يأكل، ووضع الشاب الحلوى منها منفردة محمد، كما يرى بعض تقاليد الضيافة التي تجري، وهو يزدري في نفسه، ورغم ذلك لم يقاوم نفسه عندما رأى الحلوى أمامه، فقد كان الجوع قد أخذ منه مأخذه، فأراد أن يسدّه ولو بقطعة صغيرة من تلك الحلوى.

بعد أن فرغ الثلاثة من الطعام، قال الوزير لضيفه: هل شبعت يا أبا راشد؟ فقال الضيف: أدام الله فضلك يا معالي الوزير، والآن

بدأ الضيف يتكلّم مع الوزير بصوت منخفض لم يسمع منه محمد شيئاً، غير أنه رأى الوزير كان يبتسم ويهز رأسه موافقاً لكلام ضيفه، ثم بدا حديث طال لعدة دقائق، رأى الوزير يبتسم ابتسامة فرح، ثم علت بصوته صوته: أحسنت يا أبا راشد، ولما دام رضي بالثلاثة ملايين فهذا جميل جداً، تساوي أكثر من خمسة. رأى الضيف الوزير رأسه موافقاً وهو يبتسم. فهم من محمد منذ ما دار بين الضيف وفي مساحة كبيرة، ولا سيما أن ملايين هو سعر في بيع وشراء الأراضي والعقارات، وأن الوزير طلب منه شراء أرض معينة، وجاءه هذا بالبشارة. كان محمد يظن أن الأمر انتهى هنا، ولكنه سمع

هنا أسند أبو خالد ظهره على الأريكة، ثم تابع حديثه قائلًا: لهذا، فقد جئنا إليك لتختار له وظيفة مناسبة. ابتسم الوزير، ثم قال: أبشر يا أبا خالد، فقد جئتَ في الوقت المناسب. ابتسم أبو خالد، ثم قال: بشرك الله بالخير. قال الوزير: وزارة الزراعة تبحث عن مدير لدائرة السدود، وأرى أن ابنك سيكون الشخص المناسب لذلك. قال أبو خالد، والبِشر بادٍ على محياه: جزاك الله خيرًا يا معالي الوزير، وبالتأكيد، سيكون خالد الشخص المناسب.

كان خالد يسمع الحوار بين الوزير وأبيه وهو ساكت. لكنه عندما سمع ما قاله الوزير، وسمع ردَّ أبيه عليه لم يستطع تمالك نفسه، فانفجر قائلًا: ماذا؟ مديرًا للسدود، وأنا تخصُّصي لغة عربية؟ قال الوزير، وكأنه لم يعجبه رد خالد: وما الفرق؟ تخصُّص اللغة العربية سيعطيك ميزة للتخاطب والتحاور مع الآخرين. ردَّ خالد بنبرة تنمُّ عن غضب: ولكني لا أعرف شيئًا عن الزراعة ولا عن السدود، وأهم من ذلك أني أريد وظيفة في مجال تخصُّصي.

قاطعه أبوه، وكأنه غضب من هذا الرد، فقال: يا خالد، لولا كرم معالي الوزير وتفضله علينا لما حصلتَ على هذه الوظيفة ولا على غيرها. وأنت تعلم أنك لستَ في مقام التخيُّر، فتخصُّصك لا يتيح لك الحصول على وظائف، وأيضًا مستواك الدراسي كان ضعيفًا.

أراد الوزير أن يُنهي المقابلة ويحسم الأمر، فقال: يا ولدي، أبوك صادق فيما قاله، ولولا معزة أبيك عندي لما عرضتُ عليك هذه الوظيفة. وإذا كنتَ لا ترغب فيها، فحاول أن تبحث بنفسك عن وظيفة. قال أبو خالد: لا يا معالي الوزير، خالد شابٌّ عاقل، وهو لن يُضيِّع هذه الفرصة من أجل تخصُّص. هيا- وأشار إلى خالد- اشكر معالي الوزير على هذه المكرمة. قال خالد على مضض: شكرًا معالي الوزير.

قام أبو خالد وولده، فقام الوزير، ومدَّ أبو خالد يده ليصافح الوزير، وهو يقول: شكرًا لمعاليك على هذه المساعدة، والله يعلم أني لن أنساها لك. قال الوزير مبتسمًا: العفو، هذا أقل ما أستطيع تقديمه لك. تحرك أبو خالد جانبًا ليتيح لابنه أن يصافح الوزير. مدَّ خالد يده، ثم قال: شكرًا معالي الوزير. قال الوزير: العفو.

سار الوزير أمام ضيفه ليشيِّعه إلى باب مكتبه، وسار أبو خالد بجانبه، بينما خالدٌ يسير خلفهما. أثناء مشيهما قال الوزير مخاطبًا خالدًا: سيتصل بك مدير التوظيف لإكمال الإجراءات. قال خالد: شكرًا معاليك. أوصل الوزير ضيفه إلى الباب، ثم عاد، وفي طريقه وقف أمام محمد، الذي وقف هو الآخر عندما رأى الوزير وضيفه ينهضون.

سكت الوزير برهة، وكأنه يريد أن يبحث عما يقوله لمحمد، ليبرر له ما جرى أمام ناظريه: يا ابني، كما رأيتَ، فليست عندنا وظائف، ولولا معزة الشيخ عندنا لما استطعتُ مساعدته، وأنت عندك فرصة كبيرة في تلك الوظيفة، فعليك أن لا تفرِّط فيها. ردَّ محمد، ونبرة صوته لا تخفي ما بداخله من إحباط وأسى، فقال: سأفكر في ذلك، وشكرًا لمعاليكم.

هنا توجه الوزير صوب طاولته، وعندها تحرك محمد صوب باب مكتب الوزير، وعندما خرج مرَّ على مدير مكتب الوزير، فأطلَّ عليه، ثم قال له: شكرًا، فردَّ المدير: العفو، وعساكَ وُفِّقتَ لما جئتَ لأجله، قال له محمد، وهو يخفي مشاعره الحزينة: الحمد لله على كل حال. خرج محمد بخطى متثاقلة، ومرَّ على مكتب منسق الوزير ولكنه لم يلتفت إليه.

خرج محمد من وزارة الخدمة المدنية [ويلف في عقله شريط الذكريات والآمال التي علَّقها على المقابلة]، واتجه صوب مواقف سيارات الأجرة، وعاد إلى شقة سالم، وعندما وصل ألقى حقيبته ونزع ملابسه، وبعدها اتصل بسالم ليخبره بأنه قد عاد إلى الشقة. تعجَّب سالم، فسأله عما جرى، فقال له محمد: سأخبرك عندما تصل. استلقى محمد على سريره ثم نام إلى وقت صلاة الظهر.

بعد انتهاء الدوام عاد سالم من عمله، وأحضر معه الغداء، وعندما وصل وجد محمدًا ما زال مستلقيًا على السرير. سلَّم عليه ثم سأله عما جرى له في المقابلة. بدأ محمد يشرح لسالم كل ما جرى له في وزارة الخدمة، واستمر الحديث أثناء فترة تناول الغداء وبعدها إلى أن حان وقت صلاة العصر. كانت كلمات محمد تفوح عفويًا مما جرى كان سالم يسمع حديث محمد، ولا يقاطعه إلا ببعض الكلمات التي حاول من خلالها تخفيف ما كان يعاني منه محمد من إحباط داخلي. عاد الاثنان من صلاة العصر، وجلسا ليتناقشا ما آل إليه أمر محمد. كان رأي سالم هو أن يبقى محمد في العاصمة، ويذهب إلى وزارة البريد ويحاول أن

(XI) كانت هذه المقابلة بالنسبة له الخيط الوحيد الذي أبقاه على أرض المملكة.
ماذا أعرض نفسي لكل هذه الإهانات والامتهانات؟ خاطب نفسه بمرارة
وعيناه تفيضان بالحزن والغضب. ماذا لا أعود إلى أمريكا وأعيش هناك
معززًا مكرمًا؟ ثم استدرك قائلًا: لا بُدَّ أنهم يحرِّضون الناس
أدلاء، أو يهاجروا فيخلو لهم الجو.

هكذا ليحيروهم وإما بالفيش

يتفاوض معهم لإخلاء طرفه، ثم يذهب إلى وزارة الخدمة المدنية ليعاودوا البحث له عن وظيفة جديدة.

أما محمد، فقد كان لا يزال يعاني من إحباط شديد، ولم يكن إحباطه لعدم مساعدة الوزير له للحصول على وظيفة مناسبة له، ولكن ما أثَّر فيه كثيرًا هو تردي سلوكيات الناس وأخلاقهم، بدءًا من العامل البسيط الذي لا يكاد يملك حولًا ولا قوة، وانتهاءً برؤوس الناس المتمثلة في الوزراء ومن على شاكلتهم. [أضف في نفس السياق]

لقد تحوَّل تفكير محمد من رغبة في الحصول على وظيفة تحقق له رغباته وطموحاته، إلى الحصول على مكانة علمية واجتماعية ووظيفية تؤهله لإصلاح المجتمع [حيث يبدو أن المشكلة ليست في الموظفين فقط وإنما في القيادات]. أما سالم، فقد كانت كل محاولاته هو إقناع سالم بمواصلة البحث عن وظيفة، ظنًّا منه بأن إحباط محمد هو بسبب طول مدة الانتظار. من هنا، حاول سالم أن يطرح خيارات جديدة لمحمد علَّه من خلالها أن يُوفَّق للحصول على وظيفة تفرِّج عنه ما ألَمَّت به من هموم.

بقي محمد صامتًا، وكأنه يراجع خططه السابقة ومدى ثباته على مبادئه وأهدافه التي أراد أن يبني حياته عليها. شعر سالم بأن صديقه مستغرقٌ في مراجعة داخلية فتركه برهة من الوقت، ثم سأله: هل وصلتَ إلى قرار؟ بقي محمد صامتًا برهة يسيرة، ثم قال: نعم. فرح سالم فعاود يسأله: أخبرني.

رفع محمد رأسه ثم أبرق ببصره في وجه سالم، ثم قال: سأعود إلى البلد. ابتسم سالم ثم ردَّ عليه، وكأنه يحاول أن يمازحه: أعلم بأنك ستعود إلى البلد، فلربما اشتقتَ لوالديك وإخوانك. ردَّ محمد: الأمر ليس ما ذهبتَ إليه، وإنما قصدتُ أن أُنهي اللهث وراء الوظيفة، وسأبقى- بإذن الله- في البلد برهة من الزمن ثم أعود إلى أمريكا لمواصلة الدراسة.

فوجئ سالم بهذا الرد فحاول إقناع محمد بأن المملكة ما زالت بخير، وأنه خيرٌ له أن يبقى في بلده من أن يذهب إلى بلدٍ أجنبية، ويعيش فيها كالمشرَّد. أما محمد فإن نظرته إلى الأمور تختلف تمامًا؛ فهو لا يرمي من العودة إلى أمريكا للحصول على راتب يباهي به أقرانه، ولا شهادة يتفاخر بها على ذوي الاختصاص من أهل بلده.

(X1) لقد عاش سنينه السابقة وهو يعيش نفسه بالإصلاح وتغيير الأوضاع، وها هو يصطدم وجهًا لوجه مع مواقف يرى عاجزًا أمامها، إذا كنت أنا بما حباني الله به من علم وعقل وما جبلت عليه من خلق متسلح بهذه القوى داخل ما ومع كل هذا لم أستطع أن أقول أو أفعل شيئًا مع أولئك الفتاة، فكيف بغالبية الناس الذين لا يملكون حولًا ولا قوة، ما يؤلمني كثيرًا هو كيف يُداس على حقوق الضعفاء والوظائف والمناصب من خلال صفقات تجارية يتزلف بها أصحاب الجاه والنفوذ لكسب وظائف ومناصب وربما امتيازات أخرى لا يستحقونها. أليس هذا ظلم؟ أين العدالة والمساواة التي يتشدقون بها في الإسلام؟ ثم أين تعاليم الشريعة وحقوق الإنسان التي تدعو إليها الدولة قاطبة؟ أسئلة

لم يجد سالم ما يواسي به مشاعر صديقه المحطمة إلا الصمت. وعندما رآه توقف عن الكلام قال له: ما قلته صحيح، ومع ذلك ينقبض عاجزًا عن أن أفعل شيئًا. قاطعه محمد قائلًا: كنت أقول لك من قبل بلزوم التسلح بالعلم، ولكنه فيما يبدو أن العلم بدون مكابدة ومجاهدة لا يغير شيئًا عند هؤلاء!

استأنف سالم مناقشة صديقه محمد أنه يعزم على أمر ما فعلق: لم أفهم مقصدك. قال محمد بنبرة توحي بانشراح نفسي: سأعود إلى أمريكا وأواصل دراستي ثم أحصل على وظيفة هؤلاء على احترامي والاعتراف بي، وعندها أكون قادرًا على تجديد التغيير. أمريكا مرة أخرى؟ سأل سالم متعجبًا. ألم تملّ من أمريكا ومن الدراسة؟ أنت تعلم أني صاحب رسالة، وما رد محمد ولا أستطيع أن أرد رسالتي إلا بالتزود بما يمكنني من محاربة هذا الفساد المستشري.

(X4) (X3) (X2) بمعنى آخر أنا أريد أن أكون في مركز القيادة لا مستوى التبعية.

(X5)

لقد أحسَّ محمد بأنه- حتى وإن كان يحمل شهادة في تخصص فريد من نوعه في بلده غير أنه- يحتاج إلى مقومات أخرى يستطيع من خلالها أن ينفَذ إلى أعماق مجتمعه، ويكون قادرًا على إحداث تغييرات جوهرية فيه. وفي نظر محمد أن أمريكا- بحكم تجربته السابقة- هي أنسب الأماكن لتأهيل نفسه وتزويدها بما تحتاج إليه من قدرات وإمكانيات.

لم يشأ سالم أن يدخل في معارك كلامية مع محمد، فهو يعرف إصرار محمد على مبادئه وصعوبة تحويله عن أهدافه. لذلك، كل ما فعله معه هو أن يبارك له ذلك هذا التوجُّه. قال سالم: يبدو عليك يا محمد أن طموحاتك لن تنتهي، وهذا أمرٌ يثير البهجة في نفسي، ولذا فأنت أحرص على نفسك مني. لكن أريد أن أخبرك بأننا ما زلنا صديقين، وأرجو أن لا تتلكأ في طلب أية مساعدة مني.

شكر محمد لصديقه سالم ما قاله، ثم أخبره بخطته فقال: بإذن الله سأعود إلى البلد صباح غد. ردَّ سالم: إن شئتَ أن تبقى هنا إلى نهاية الأسبوع، فذلك لك. قال محمد: أُفضِّل أن أذهب، فإني أريد أن أطمئن والديَّ على ما جرى، وأيضًا لأستأنس برأيهما فيما أنوي القيام به. قال سالم: أسأل الله أن يوفقك فيما تسعى إليه. قال محمد: شكرا.

[لماذا لا تحوِّل الحوار في بعض المواضع إلى هذا الشكل:

سالم:

محمد:

سالم:

محمد:

فهذا الأسلوب يستخدم في بعض الروايات]

في اليوم التالي أوصل سالم محمدًا إلى مواقف سيارات الأجرة، وبقي هناك إلى أن استقل سيارة وعاد إلى بلدته. [صف مشاعره وهو يغادر العاصمة] وعندما وصل إلى البلدة أخبر والديه بما جرى له،

(XI)

ملأ [illegible] الكرسي الخلفي مجاورًا للنافذة، وأسند رأسه إلى الوراء، وهو يتأمل [illegible] أعاد إلى ذاكرته الأجسام والمباني والأحياء التي [illegible] لزوجته ثم ستوارى. ثم ذكّرته تلك الأشياء بمحطات حياته منذ الثانوية وإلى يومه هذا، كأنه منذ الجميل ومنذ الجافّ والقبيح، والمتهدّم.

رأى أنه من حكمة الله ورحمته بعباده أن يتعرض الإنسان خلال هذه التغيّرات لتزيل ما في الحياة من رتابة وملل، وليتعلم منها الدروس والعبر. رغم ما واجهته خلال هذه الفترة من [illegible] تحديات، خاصة نفسية، إلا أنها أعتبرها فرصًا عظيمة ساقها المولى -سبحانه- لي لأعوض بها أعماق هذا المجتمع، لأكون أحد أحرار: إذا كانت هذه الحياة لم تدم لمن [illegible] فكر الله لهم أرجاء الأرض، وطغوا وبغوا فيها، وادّعوا من الألوهية والتحدّي لله، إذا كانت لم تدم لؤلئك فلا شك أنها لن تدوم لهؤلاء. إنه الظلم لن يبقى مهما امتد لليله واحلولك جوانبه، ولا بُدّ أن يأتي اليوم الذي ينتصر فيه الحق على الباطل. أغمض عينيه، وجعل يسبح الله ويحمده ويذكره، إلا أنه غطّ في نومة طويلة، لم يستيقظ منها إلا على صوت السائق وهو يخبره بالوصول إلى البلد.

وأيضًا بما ينوي القيام به. ~~كان ردُّ والديه هو أن~~ لا يتعجل في اتخاذ قراره، وإنما عليه أن يبقى في المملكة عدة أشهر إضافية فلعلَّ الأمور تنفرج، والأبواب تُفتح. ~~استأنس محمد برأي والديه؛ فهو يعلم أن السفر إلى أمريكا هذه المرة لن يكون كالمرة السابقة.~~

الفصل الرابع

مقابلة جلالة الملك

بقي محمد في بلده، وبدأ يعاود نشاطه في جماعة العمل التطوُّعي. كذلك، فقد أخبر أستاذَيْ التربية الإسلامية والتاريخ بما جرى له في العاصمة، وأيضًا بما يُزمِع الإقدام عليه من السفر إلى أمريكا. كان رأي أستاذيه شبيهًا برأي والديه؛ وهو أن يتريَّث في اتخاذ مثل هذا القرار، فهما يعلَمان أن محمدًا صاحب طموحات وهمم عالية، وقد تدفعه طموحاته للمغامرة في أمور قد تبعده كثيرًا عن بلده، ويعلمان كذلك مدى حاجة بلده إلى الإصلاح.

كذلك، كان الأستاذان يعلَمان رغبة محمد الشديدة في الحصول على وظيفة، ليس للراتب، وإنما لكسب الخبرة وممارسة تخصُّصه. لكنهما يعلَمان كذلك أن الوظائف- وخاصة في أمريكا- قد تكون فيها من الإغراءات المادية ما يمكن أن تؤثر على المبادئ والأهداف التي عاش محمد من أجلها. ونظرًا لأن محمد ليس من النوع الذي يمكن أن يقتنع لرأي فلان أو علان، لذا فقد استغلا اللقاءات التي كانت تجري بينهم في جماعة العمل التطوعي وخارجها في فتح حوارات حول موضوع هجرته وما ينوي القيام به في غربته. [لم توضح سابقًا أنه قرر الهجرة وإنما السفر لاستكمال الدراسة]

أما سالم فقد أحسَّ بأنه قد قصَّر كثيرًا في مساعدة صديقه محمد، ولذا فقد حاول أن يبتكر طرقًا جديدة لمساعدته لعلَّه يستطيع من خلالها أن يُخرِجَه من أزمته. كانت نظرة سالم بأن المملكة- رغم شُحِّ مواردها وقلة الفرص الوظيفية فيها غير أن- بها من الفرص التي لو استطاع المرء التعرُّف عليها لربما أوصلته للحصول على ما ينشده من وظيفة أو يحقق له من مكانة.

كان سالم يرى أن التزلُّف للحكومة بشكل عام والملك بشكل خاص قد يفتح له أبوابًا كثيرة قد لا تنفتح بطرق أخرى. لكن سالمًا كان يعلم أيضًا أن محمدًا قطعًا سيرفض القيام بذلك، ولذلك لما يتغنى به محمد دومًا من ضرورة التمسُّك بالمبادئ والقِيَم التي يقتنع الإنسان بنبلها، ويتربى ويعيش من أجلها. [دع سالم يروي ما استفاده من الواسطة رغم أنه ليس متعلمًا، ففي ذلك تبصير بالمفارقات]

(XI) كامه سالم يرى أنه الحياة لا تسير أحيانا بدون تسهيلات منه هذا أو دفع من ذلك. لقد رأى أثر الواسطات والمحسوبيات في نفسه وزملائه، فبالرغم من أنهم أنهوا الثانوية فقط عند أنهم استطاعوا بشيء من المديح والإطراء حتى ولو كامه نفاقا وأيضا بالتقاعس عما يقوم به المسؤولون من اختلاسات واستغلال للمناصب لمصالحهم الشخصية.

الحصول على العديد من الترقيات والعلاوات ولم يكن ذلك إلا

كامه سالم يعلم أنه هذه الأساليب لا يتقنها كل الناس، ولذلك كامه يشعر بالفخر والاعتداد بنفسه لقدرته على الحصول على مبتغاه، بينما يقف الآخرون مكتوفي الأيدي، ومكبلين - حسب رأيه - بالمبادئ والقيم التي ليس لها - كما يقول - وجود في عالم الوحوش المتصارعة الذي لا غنى عنه. لقد آلمه تحمله محمد بهذه الأمور، رغم أنه حاول تنبيه عقله وتبصيره بالواقع الذي يعيشه الناس. لكنه قرر أنه لا يترك صديقه يغرق في إحباطه دون مساعدة.

كانت خطة سالم في دفع محمد للتزلُّف للحكومة والملك هي محاولة إقناعه في أن يكتب مقالات علمية وأدبية في الصحف والجرائد المحلية، وخاصة الحكومية منها، ثم يقوم سالم تدريجيًّا بإدراج عباراتٍ في تلك المقالات تُمجِّد الحكومة والملك. وفي تصوُّر سالم، أن كثرة تلك المقالات قد تُلفِت نظر بعض مسؤولي الحكومة إلى ما عند محمد من قدرات وإمكانيات، فيحاولون كسبه إليهم.

عندما عاد سالم إلى البلد في نهاية الأسبوع، سارع لملاقاة محمد، وافتتح لقاءه بالسؤال عن أحواله، والقرارات التي توصَّل إليها. قال له محمد: لقد استشرتُ والديَّ وبعض المدرسين، وأشاروا عليَّ بالتريُّث في البلد لعدة أشهر أخرى، وأنا اطمأننتُ لرأيهم.

ابتسم سالم، وكأنه رأى بأن الفرصة قد باتت مواتية لتحقيق خطته هو، فردَّ عليه: وأنا أوافقهم أيضًا على ذلك الرأي. ولكن، ماذا تنوي القيام به في هذه المدة؟ ردَّ محمد: لا أدري بعد. ردَّ سالم بسرعة: أنا عندي لك فكرة. قال محمد: وما هي؟ قال سالم، وكأن خطته قد قاربت أن تتحقق: أن تشغل وقتك بالكتابة في الصحف والجرائد.

نظر محمد إليه سالم نظرة فيها من علامات الاستغراب والريبة، ثم قال: وماذا أكتب؟ قال سالم، وكأنه شعر بما يدور في خاطر محمد: يمكنك الكتابة في أيِّ شيء، فأنت صاحب أفقٍ واسع، وفكرٍ نيِّر. قال محمد: أنت تعلم أن تلك الصحف لا تنشر إلا الغثَّ والهزيل من الكلام، وأنا لا أريد أن أنزل بكتاباتي إلى ذلك المستوى.

قال سالم، وكأنه يحاول أن يضرب على الأوتار الحساسة عند محمد: ألستَ تقول بأن علينا إصلاح المجتمع؟ ردَّ محمد بسرعة: بلى. قال سالم: إذًا، فلماذا لا تستغل هذه الصحف في ذلك؟ ابتسم محمد، ثم قال: وهل تراهم على درجة من السذاجة بحيث لا يفهمون ما سأكتبه في صحفهم؟ قال سالم: يمكنك البدء بالحديث في أمورٍ عامة، ثم تدريجيًّا تتطرق إلى المواضيع التي ترغب في طرحها.

سكت محمد برهة، فهو من ناحية يرى أن فكرة سالم قد تنجح، ولكنه في الوقت نفسه يُشكِّك من نيات سالم؛ فهو يعلم أنه لا يهتم بأمور الدعوة والإصلاح، فلماذا يدفعه إلى الكتابة في تلك الصحف ويبرر الأمر بأنه نوع من الإصلاح ونشر الخير؟ رفع محمد رأسه، ثم قال: أظن أنه من الأفضل لي أن لا أقوم بذلك، على الأقل في الوقت الحاضر.

لكن سالمًا لم يكن بالشخص الذي يستسلم عن تحقيق خططه بتلك السهولة. لقد جلس مع محمد عدة جلسات، وفي كل مرة كان يفتح الموضوع مع محمد، ومحمد يغلقه. وبعد إصرار ومحاولات من سالم، وافق محمد أن يكتب مقالًا في الجريدة الرسمية يتحدَّث فيه عن دراسته ومعاناته وتفوقه.

كان العرض الذي قدمه سالم هو أن يكتب محمد المقال، ويقوم سالم- بحكم بقائه في العاصمة ومعرفته بمقر الجريدة الرسمية- بإيصال المقال إلى الجريدة. طلب محمد أسبوعًا كاملًا ليتسنى له صياغة المقال بأسلوب أدبي، وليُضمنه بعض الأفكار التي قد تُحفِّز القراء على أن يحذو حذوه في طلب العلم، وفي التفوُّق والتميُّز.

في نهاية الأسبوع التالي التقى سالم بمحمد، وأخذ منه المقال، ووعده بأن يأتيه بالمقال عندما يُنشَر. بعد ذلك اللقاء انشغل محمد بأعماله الأخرى، وانقطع سالم عن ملاقاة محمد لعدة أسابيع. وخلال تلك الأسابيع، حاول محمد أن يلتقي بسالم ليفتح معه موضوع المقال، لكن سالمًا كان يعتذر عن ملاقاته، ويتعلَّل بأعذار بدت لمحمد واهية، لكنه احترم خصوصياته، فلم يشكك في صدق تلك الأعذار.

وبعد مرور ما يقارب من شهر من تسليم المقال لسالم، فوجئ محمد بشخصٍ يتصل به ويهنئه على المقال الذي نشره في الجريدة الرسمية. تذكر محمد المقال، لكن سالمًا وعده بأن يخبره عندما ينشر المقال. وازدادت دهشة محمد عندما أخبره المتصل بأن الديوان الملكي أعجب أيضًا بالمقال، وأنه -أي الديوان الملكي- يريد أن يقدم له مكافأة، وأنه يمكنه الحضور لاستلامها في أيِّ وقت.

شكَّ محمد في سبب اهتمام الديوان الملكي بمقاله، فاتصل بسالم، وأخبره باتصال الديوان الملكي، وقال له: لا بُدَّ أن في الأمر سرًّا لا أعرفه. ردَّ عليه سالم، وكأنه يحاول أن يصرفه عن تحرِّي ما جرى: لا أظنُّ ذلك، فإن المقال الذي كتبتَه كان متميِّزًا، ولا بُدَّ أنهم أيضًا قد أعجبوا بتفوُّقك الدراسي، وخاصة في ذلك التخصُّص الفريد.

لم يقتنع محمد بردِّ سالم فطلب منه أن يأتيه بنسخة من المقال. حاول سالم أن يأتي بأعذار، ومنها أنه في هذه الآونة مشغولٌ جدًّا، وأنه قد لا يحضر للبلد لعدة أسابيع. كذلك، فقد أخبره بأنه لم

يشترِ تلك الجريدة في ذلك اليوم. ردَّ محمد، وقد أحسَّ بريبته مما جرى، فقال: لا بأس، سأحاول الحصول على المقال بطرقي الخاصة.

اتصل محمد ببعض مدرسيه وسألهم عما إذا كانوا قد اشتروا جريدة ذلك اليوم. لم يحصل على الجريدة من أحد، فتذكر المكتبة العامة، فذهب إليها، وبحث عن المقال فوجده. لم يصدق محمد نفسه وهو يقرأ المقال؛ فقد وجد أن سالمًا قد أدخل فيه من عبارت المديح والثناء للمملكة والملك ما غطى عن موضوع المقال.

غضب محمد غضبًا شديدًا من تصرُّف سالم، واتصل به على الفور، وقال له بنبرة تفوح غضبًا: أشكرك يا عزيزي على المقال الذي كتبتَه باسمي. والله لولا معزتك عندي لعرفتُ كيف أتعامل مع تصرُّفك هذا. اعتلَّ سالم بأنه يريد مساعدته، وشرح له أن المجتمع ما زال غير مهيأ لقراءة المقالات العلمية البحتة، وأنه أدخل عليه بعض العبارات لتلطيف أجواء المقال.

لم يقتنع محمد بما قام به سالم، وخاصة بأن العبارات التي أدخلها كان فيها من التزلُّف الممجوج للحكومة والملك ما لا يرضاه الذوق السليم، فضلًا عن صاحب الإيمان والعقيدة والفكر المستقيم. أخبر محمد سالمًا بأنه ما أقدم على كتابة ذلك المقال ليتباهى بما امتنَّ به عليه سبحانه من علمٍ وتفوُّق، فكيف بأن يكون وسيلة للتملُّق والتزلُّف؟

حاول سالم من خلال حوار طويل أن يقنع محمدًا بأن التزيُّن بالأخلاق والمبادئ لا يُجدي في هذا الزمان شيئًا، وأن عنده من الفرص الكبيرة التي يمكن أن تحقق طموحاته وأحلامه، وبعد أن يحصل على مبتغاه يمكن أن يواصل حياته كما يشاء. هدأ محمد قليلًا، لكنه بقي ساخطًا على سالم وتخليه عن القِيَم والمبادئ التي ظلا أيام دراستهما وهما يتغنيان بها.

حاول سالم أن يقنع محمدًا بأن يأتي إلى العاصمة ويذهبا سويًّا إلى الديوان الملكي لاستلام المكافئة، لكن محمد رفض. عندها حاول إقناعه بأن يذهب هو - أي سالم - بنفسه إلى الديوان الملكي ويستلم المكافئة، لكن محمدًا أخبره بأنه لو فعل ذلك فستكون نهاية العلاقة بينهما. لم يرَ سالم بُدًّا من الانصياع لمطلب صديقه محمد، وإلا خسره مدى الحياة.

فيما يبدو أن نشر ذلك المقال كان له تأثير على طلب الوظيفة الذي تقدم به محمد لبعض الجهات والمؤسسات منذ عدة أشهر؛ ففي الأسابيع التي تلت نشر المقال استلم محمد عدة مكالمات من جهات حكومية وخاصة. كان غالبية المتصلين يهنؤون محمدًا على المقال الذي كتبه، وفي الوقت نفسه يعرضون عليه العمل معهم.

[لو تتطرق إلى الإعلام وتأثيره السلبي والإيجابي]

لم يقبل محمد أيًّا من تلك العروض، حيث أن غالبيتها كانت تعرض عليه العمل في مجالات أخرى بعيدة عن تخصُّصه. كذلك، فقد كانت جميع العروض قاصرة عن الوفاء بطموحاته ورغباته من ناحية الراتب ومكان العمل وغيره. ورغم كل ما حدث، إلا أن محمدًا كان طيلة تلك الفترة يلتقي بسالم في نهاية كل أسبوع ويُطلِعه على المستجدات، وكان سالم لا يقابله إلا بالنصائح، ويطلب منه أن يلين قليلًا ويتنازل عن مبادئه وطموحاته، ومحمد يرفض كل ذلك.

طالت المدة لعدة أشهر أخرى، وأحسَّ محمد بأن الأبواب بدأت تنغلق في وجهه، فاستغلَّ سالم تلك الظروف لتشجيع محمد على الكتابة إلى الجريدة مرة أخرى، وكان محمد يرفض ذلك بحجة أن سالمًا سيقوم بتحوير مقالاته بطريقة لا تناسبه. أحسَّ سالم بأن محمدًا لن يكتب شيئًا للجريدة، ولذا فقد بدأ يتعامل معه بمكر.

استطاع سالم أن يقنع محمدًا بأن تدخُّله في مقال محمد كان خطئًا منه، وأنه قد ندم عليه. وحاول أن يقنعه أيضًا بحاجة المملكة إلى الأقلام المخلصة التي تستطيع توجيه المجتمع إلى الخير والبذل والعطاء. قال سالم: تعلم يا محمد بأن الساحة تعجُّ بالأقلام المستأجرة التي تحاول توجيه الناس إلى مشارب شتى، وإن تخلَّيْتَ أنت والمصلحين من أمثالك عن المشاركة في الكتابة في هذه الصحف، فمن سيستطيع توجيه الناس إلى الخير والصلاح؟

كان هذا الأسلوب مقنعًا، لكن محمدًا ما زال متوجِّسًا من تدخل سالم فيما يكتب. حاول سالم أن يقنع محمدًا بأنه لن يتدخل في المقالات التي يكتبها، وأنه إن تبيَّن له غير ذلك فبإمكانه أن يفعل معه ما يشاء. اطمئن محمد لهذا، وبدأ يكتب مقالاته ويسلِّمها لسالم، وكان سالمٌ يأتيه بالمقالات المنشورة، ويجدها محمد كما هي دون تحريف أو تعديل.

(٢١) لقد تعجب لبيرة كيف لمقال واحد أن ينشر ذلك الانتشار من شخص مغمور

ويقرر هنري عام مجريات التوظيف. عندها يفهم كيف أن عائشة وصحابها يطوعون الأمة أنماطاً لا رقيمة لهم ولا وزن في المجتمع يصيرون - بيد عائشة وصحابها - حديث الإعلام، ويتحولون من الألقاب والمناصب ما لا يستطيع الوصول إليه صاحب العلم والمروءة والشرف. أحس هنري بالدور المهم الذي يلعبه الإعلام، وجعل من أولوياته أن يوجه أصحاب الأقلام الحرة والنزيهة والمخلصة لكي تصل إلى مناصب نفوذ وقيادة في وسائل الإعلام لكي يستطيعوا برمجة عقول الناس إيجابياً نحو خدمة دين الله كما يبرمجهم أعداؤه اليوم سلبياً.

سائل نفسه: ماذا لو كتبت مقالاً فيه انتقاد صريح للحكومة، هل يمكنه أن ينشر؟ هذا الوقت الفرصة لأنه يظهر إعلام اليوم يقوم بتعبيد الناس للحاكم دون أن تكون هناك حاجة لبعضهم في أسواق العبيد. إنه يريد الناس ليكونوا من ذوي الولاء المطلق للحاكم، حتى يصبح في أعينهم وكأنه ملك أو نبي مرسل، وربما نظر إليه البعض - والعياذ بالله - وكأنه إله.

ارتاح محمد لنشر مقالاته، ولمساندة صديقه سالم له. ورغم أنه لم يتلقَّ أية مكالمات أو رسائل شكر، حتى من الجريدة نفسها، إلا أن محمدًا واصل الكتابة. لقد كان لمحمد أسلوبٌ رائعٌ في مخاطبة فئة الشباب للثبات على المبادئ، والجِدِّية في التعامل مع الأحداث، والاهتمام والإخلاص في العمل والدراسة. وكانت غالبية مقالات محمد تنصبُّ في طرح بعض القضايا الاجتماعية والتربوية، ومحاولة تحليلها وبيان أسباب نشوئها وانتشارها، والأساليب التي يراها محمد ناجحة لمعالجتها. كذلك، فقد قام محمد بنشر مقالات حول علوم الفضاء، ودور الغرب في الارتقاء بها، والدور الذي يفترض أن تلعبه الأمة في هذا الجانب.

وبعد أن كثرت تلك المقالات، بدأ محمد يتلقى دعوات من بعض الأفراد والنوادي الثقافية لإلقاء محاضرات حول علوم الفضاء وبعض القضايا التي كان يطرحها في مقالاته. سُرَّ محمد بهذه الدعوات كثيرًا، فقد وجد فيها سبيلًا مناسبًا للوصول إلى شرائح أخرى من المجتمع لا يستطيع مخاطبتها من خلال مقالاته.

كان سالم يتابع تلك التطورات، وفي نفسه شفقة على صديقه محمد الذي بدأ يشكو من حاجته للحصول على عمل لتوفير نفقاته ومصاريفه، ولمساعدة أسرته، رغم أن أسرته كانت طيلة تلك الفترة تقف بجانبه وتشجعه. وبعد مرور عدة أشهر على اعتراض محمد على المقال الذي أدخل عليه سالم بعض التعديلات، رأى سالم أن محمدًا ربما يكون قد اطمئن إليه، وأنه لو طلب منه طلبًا مشابهًا لطلبه الأول فلربما لن يرفضه.

أراد سالم في هذه المرة أن يغيِّر خطته، فحاول أن يقنع محمدًا بأنه قد صارت له شريحة لا بأس بها من القراء، وأنه قد حان الوقت لنقل هذه الشريحة إلى مستوى أرقى من الفكر والفهم. كان محمد ما زال يتوجَّس ريبة من أية مقترحات جديدة من سالم، ولذا قال له: هذا صحيح، ولكن كيف؟ قال سالم: إن هذه الشريحة قد تعوَّدت على مقالاتك وأسلوبك في طرح القضايا ومعالجتها. لكنك تعلم أن هناك من القضايا من لا تتسع لها أوراق الجرائد لطرحها، فضلًا عن معالجتها.

لم يكن فيما قاله سالم شيءٌ يثير الريبة، ولذا ردَّ عليه محمد: صدقتَ، فكم من القضايا لا أستطيع أن أتطرق إليها إلا بعبارات مبتورة، مما قد يضرُّ القارئ أكثر من أن ينفعه. شعر سالم بأنه قد حان

الوقت لطرح فكرته الجديدة، فقال محمد: إذًا، فلماذا لا تبدأ في التأليف؟ قال محمد بدهشة: ماذا تقصد؟ قال سالم: أقصد أن تقوم بتأليف بعض الكتب.

تأليف الكتب؟ إنها فكرة جميلة، لكن محمدًا يعرف أبعادها، ولذا فقد ردَّ على سالم بقوله: ولكنك تعلم أن تأليف الكتب هو أمانة كبرى، فهي رسالة المرء لجيله الحالي ولأجيال تأتي من بعده، والكتب تُستَخدم كمستند يُحكَم من خلالها على معتقد الشخص وفكره وعلمه، وأنَّى لي بالعلم والفهم الذي يمكنني من مخاطبة الناس بأسلوب فيه من الحكمة والدراية ما يستطيع أن يوجههم لصلاح الدارين؟

قال سالم: لكنك تعلم أن الشروع في التأليف قد يكون حافزًا لك ولغيرك على التعمُّق في العلوم المختلفة، وفي الوقت نفسه هو وسيلة للارتقاء بأسلوب الشخص وثقافته. قال محمد: قد يكون الأمر كما ذكرتَ، ولكن في أيِّ موضوع أكتب؟ قال سالم: أقترح بأن تبدأ بشيء بسيط، وبما عندك فهم راسخٌ فيه. قال محمد: ماذا تقصد؟ قال سالم: أقصد أن تبدأ بكتابة بحثٍ متميِّزٍ عن تاريخ علم الفضاء والتطورات التي طرأت عليه.

سُرَّ محمد [redacted] بهذا الطلب، وراقت له الفكرة، ووعد سالمًا بأن يجتهد في ذلك. بعد حوالي أسبوعين فرغ محمد من إعداد البحث، وكان في أكثر من ٨٠ صفحة، بأسلوبٍ علميٍّ رصين، يتخلَّله الكثير من الجداول والصور والاقتباسات.

وفي نهاية الأسبوع التقى بسالم، وعرض عليه البحث، فسُرَّ سالم [redacted] رأى. سأله محمد: وماذا تقترح أن نفعل بهذا البحث الآن؟ لم يشأ سالم أن يثير ريبة محمد من جديد، فقال له: لماذا لا تقوم بعرض البحث على بعض دور النشر، وترى رأيهم فيه؟

قال محمد: فكرة جيدة، ولكن معظم دور النشر موجودة في العاصمة، فهل يمكنك أن تقوم أنت بعرضه عليهم؟ سُعِد سالم بهذا الطلب كثيرًا، فقال: سأفعل ذلك بإذن الله، وسأحاول التفاوض معهم حول حصتك من مبيعاته. قال محمد: لا يهمني كثيرًا إن كنتُ سأحصل على عائدٍ مالي منه أم لا. كل ما يهمني هو أن أستطيع أن أساهم في خدمة بلدي وأمتي من خلاله.

أخذ سالم البحث معه، وانقضت عدة أسابيع، وكان كلما سأله محمد أين وصلت إجراءات النشر، كان سالم يطمئنه بأن الأمور تسير بشكل جيِّد. عندما طالت المدة، بدأ محمد يشكُّ في الأمر، وخاصة أن سالمًا كان يراوغ حتى في لقائه به.

وذات يوم التقى محمد بسالم وسأله- كعادته- عن بحثه، فردَّ سالم بقوله: لا تقلق يا عزيزي، فبحثك سيوصلك بإذن الله إلى مراتب لم تطمح إليها من قبل. توجَّس محمد من هذا الردِّ، فقال لسالم: ماذا تقصد؟ ارتبك سالم قليلًا، ثم قال: أقصد أن البحث قد يصل إلى أناس وشرائح لم تظن أن يصل إليها بحثك. حاول سالم أن يهدئ من روع محمد ويصرفه عن تساؤلاته، لكن محمدًا بقيت عنده شكوك بأن سالمًا قد يكون يحاول استغلال بحثه لأمر ما.

ولقد كان ما توقعه محمد في محله؛ فبعد حوالي شهرين من تسليم البحث لسالم، تلقى محمد اتصالًا جديدًا من الديوان الملكي، وفوجئ بالمتصل يخبره بأن جلالة الملك اطَّلع على كتابه وأنه أُعجِب به كثيرًا، وأنه يرغب في مقابلته يوم غد.

كان هذا الخبر بمثابة اللغز لمحمد؛ فسالم لم يخبره بأنه قد تم الانتهاء من طباعة البحث، فكيف وصل إلى الديوان الملكي؟ وكيف استطاع بحثه أن يحظى باهتمام الملك؟ ولقطع تلك الشكوك، ولدرء الظنون اتصل فورًا بسالم، وبادره بسؤاله: ماذا فعلتَ ببحثي يا سالم؟

ارتبك سالم من هذا السؤال، وحاول- كعادته- أن يراوغ في الإجابة، فقال: أخبرتك بأن لا داعي للقلق، فسيظهر البحث قريبًا بإذن الله. لكن محمدًا أردف قائلًا: إما أنك لم تفهم سؤالي، أو أنك تراوغ في الإجابة!! ردَّ سالم بأسلوب خبيث: وماذا كنت تقصد؟

أخبره محمد باتصال الديوان الملكي، وأنهم أخبروه بأن الملك قد اطلع على بحثه، وأنه يرغب في مقابلته. صمت محمد قليلًا ليعرف ردة فعل سالم، لكن سالمًا لم ينطق بكلمة. عندها تابع محمد حديثه، فقال: وأنت تعلم أن الديوان الملكي لن يهتم ببحث عن علم الفضاء من شخصٍ مغمور في المجتمع، فكيف استطاع هذا البحث أن يحظى باهتمام الملك؟

حاول سالم أن يراوغ في الإجابة مرة أخرى، فقال: بل على العكس من ذلك، فإن الديوان الملكي يتابع بحرص ما يُنشَر في الصحف والمجلات، وما يُطبَع في المطابع المختلفة، وعندما يروا مقالًا أو

بحثًا أو كتابًا جديرًا بالاهتمام فإنهم يتواصلون مع الشخص. بدى وكأن محمدًا قد اقتنع بكلام سالم، لكن ما تزال بداخله بعض الشكوك، فقال لسالم: لو كان الأمر كما ذكرتَ، لكان هذا خيرًا بالناس والمملكة، ولكن هل يُعقَل أن يقوم جلالة الملك بمقابلة كل من نشر مقالًا أو بحثًا أو كتابًا؟

قال سالم: قطعًا لا، ولكن عندما يشعرون بجودة ما تم نشره، فإنهم يعرضونه على جلالة الملك، وهو قد يختار مقابلة الشخص، أو ربما يكتفي بمكافأته. قال محمد، وكأنه قد بدأ يرتاح لكلام سالم ويصدقه: ولماذا تظن أن الملك يريد مقابلتي؟

هنا وجد سالم الفرصة سانحة لإقناع محمد بالذهاب للمقابلة: أظن أن الأمر لا يعدو أن يكون نوعًا من التكريم، وفي الوقت نفسه التحفيز على مواصلة البذل والعطاء. وأنا في رأيي أن هذه فرصة ذهبية قد لا تتكرر في العمر كله.

حاول محمد مرة أخرى أن يثير بعض الشكوك حول الهدف من المقابلة، والسِّر في اهتمام الديوان الملكي الزائد به وبما ينشره. لكن سالمًا حاول أن يطمئنه، وقال له، وكأنه يمزح معه: مقابلة جلالة الملك قد تكون فرصة ساقها الله لك لطرح موضوع الوظيفة من جديد، وأنت تعلم أن بمقدور الملك فعل ما لا يستطيع الوزير فعله. كذلك، يمكنك أن تطلب منه أيَّة أمورٍ أخرى تأمل في الحصول عليها.

[خلال المكالمة لا يُقبل مثل هذه العبارات، فالحذر مطلوب]

لم تعجب العبارة الأخيرة محمدًا؛ فهو قد نظر إليها على أنها نوع من التزلُّف للملك، فقال لسالم: أتعني أن أتزلَّف للملك وأُقبِّل يده من أجل وظيفة؟! عندها، اشتاط سالمٌ غضبًا من مواقف محمد المتشددة، فردَّ عليه قائلًا: أولًا، أنا لم أقصد ما ذكرتَ، وإنما كل ما أخبرتك به هو أن تستغل أية فرصة تسنح لك للحديث عن الوظيفة التي تطمح إليها. وثانيًا، وماذا لو تملَّقتَ للملك وتزلَّفتَ إليه؟ أليس ذلك خيرًا من أن تبقى تستجدي الوزراء والمدراء؟

[لقد جعلت المكالمة طويلة وأرى أن تؤخر بعض ما ورد فيها إلى أن يلتقيا، مثل: الاعتذار]

أحسَّ محمد بانفعال سالم، فحاول الاعتذار إليه، ولكن بأسلوب محمد المعتاد، فقال له: أنا أشكر لك حرصك على مساعدتي للحصول على وظيفة، ولكنك تعلم أني لا أريد أن أتنازل عن قِيَمي ومبادئي، حتى وإن كان الأمر يتعلق بالملك. قال سالم: أنا لم أطلب منك التنازل عن قِيَمك ومبادئك، ولكن عليك أن تستغل الفرص التي تسنح لك، ومقابلة جلالة الملك- كما أخبرتك- فرصة لا تُعوَّض.

هدأ محمد، فقال لسالم: على كل حال، هم يريدوني أن أذهب إليهم غدًا، فما رأيك؟ قال سالم: ليس عندي رأيٌ آخر لك سوى أن تذهب، وأريد أن أخبرك بأني- من أجلك- سآخذ غدًا إجازة لنذهب سويًّا إلى الديوان الملكي. قال محمد: أنا لا أريد أن أعطل عليك أعمالك، ويمكنني أن أدبر أموري بنفسي. قال سالم: أعلم أنك قادرٌ على تدبير أمورك بنفسك، ولكن عندما نكون سويًّا فقد نستطيع مسامرة بعضنا البعض، وخاصة في فترات الانتظار.

اتفق الاثنان على أن يأتي محمد إلى العاصمة بعد فجر الغد، وأن سالمًا سيكون في انتظاره عند محطة سيارات الأجرة، وبعدها يذهبان للديوان الملكي بسيارة سالم. اقترح سالم بأن لا يخبر محمد والديه بموضوع المقابلة [لا] كي لا [بسّط التركيب] ينتشر أمره. وافق محمد على هذا الاقتراح وأخبر والديه بأنه ينوي الذهاب إلى العاصمة صباح الغد لمراجعة بعض الجهات.

بعد فجر الغد تجهز محمد للسفر، وأوصله والده إلى محطة سيارات الأجرة. وعندما وصل إلى العاصمة كان محمد في انتظاره. فوجئ محمد بأن سالمًا قد أحضر سيارة لكسيس جديدة، استعارها من زميل له. [دع سالم يخبر محمد أنه استعار السيارة والشماغ من صديقه أو زميله] كذلك، فقد أحضر له شماغًا من النوع الفاخر، استعاره أيضًا من أحد أصدقائه. حاول محمد أن يعتب على سالم هذا الفعل، لكن سالمًا أخبره بأنه- أي محمد- يجب أن يظهر للديوان الملكي ولجلالة الملك بمظهر يليق بمقامه.

عندما اقتربت سيارتهما من بوابة الديوان الملكي، أوقف الشرطي السيارة، وسأل سالمًا عن وجهتهما، فأخبره سالم بأنهم جاءوا لتلبية دعوة جلالة الملك. سأل الشرطي سالمًا عن اسمه، فأخبره باسم محمد. قام الشرطي ببعض الاتصالات، وبعدها طلب منهما أن يقودا السيارة إلى قاعة كبار الشخصيات، وسيجدان هناك من يستقبلهما.

(X1) قال محمد: على الحال، أريد أن أرى نسخة من الكتاب لأتفحص قبل ذهابي إلى هناك. لكنه سالما أخبره بأنه لم يستلم أية نسخة من الناشر حتى وأنه لم يعرف عن طباعة الكتاب إلا عندما أخبره هو. زادت شكوك محمد ولكنه فضل عدم الدخول في نقاشات مع سالم إلى أن تتبين حقيقة هذا الكتاب.

عندما وصلا إلى قاعة كبار الشخصيات، وجدا اثنين من الحرس الملكي واقفَيْن، وكأنهما ينتظرانهما، وأشار الرجلان إليهما ليقفا. أوقفا سيارتهما، فجاء الرجلان وفتحا لهما الباب. وبعد خروجهما من السيارة، إذا بشخصٍ يتقدم إليهما ويصافحهما، وكان الشخص عليه من الأناقة ما يدل على أنه من كبار المسؤولين في الديوان الملكي.

تنحى الرجل جانبًا، ثم سأل محمدًا: مَن منكما محمد عبدالله؟ قال محمد: أنا، وهذا صديقي سالم. قال الرجل: سُعِدتُ بلقائكما. أنا رئيس المراسم في الديوان الملكي، وسأكون بصحبتكما. ردَّ الاثنان: تشرفنا.

أشار رئيس المراسم لمحمد وسالم بأن يدخلا إلى مبنى الديوان الملكي، ومشى هو بجانب محمد. سألهما عن أحوالهما، واعتذر إليهما عن انتظارهما عند البوابة- رغم أنه كان لفترة وجيزة. قال محمد: نشكر لكم هذا الاستقبال، ونعتذر نحن عن تأخرنا عليكم. قال رئيس المراسم: لا بأس، فما زال في الوقت متّسع.

دخل الجميع إلى مبنى الديوان الملكي، ثم أخذهما رئيس المراسم إلى صالة استقبال فخمة، وأشار إليهما بالجلوس على إحدى الأرائك الفخمة، والتي كانت أمامها طاولة أنيقة بها أنواع الفواكه والحلويات والمشروبات والعصائر والمكسرات. أخبرهما رئيس المراسم بأن يرتاحا قليلًا، وطلب منهما بأن يتناولا شيئًا من الفواكه والحلويات والعصائر، وأخبرهما بأنه سيعود إليهما بعد قليل.

تعجب محمد وسالم من حفاوة الاستقبال والاهتمام الزائد بهما. وبالرغم من أن حديث الاثنين أثناء الانتظار كان يدور معظمه حول ما شاهداه من طيب الاستقبال وحفاوة التكريم، غير أن محمدًا كان لا يخفي قلقه، وكانت الشكوك حول المغزى من المقابلة ما زالت تراوده بين الحين والآخر.

تناول الاثنان كوبًا من العصير وبعض الحلويات، وأثناء ذلك كانا يجولان بناظريْهما في تلك الصالة الفخمة. مرت حوالي عشر دقائق، وبعدها جاء رئيس المراسم إليهما، وبادرهما قائلًا: أتمنى أن تكونا قد استمتعتما بهذا الوقت القصير. ردَّ محمد: بكل تأكيد. نشكركم على حسن الضيافة. ردَّ المدير بأدب: العفو.

بعدها قال رئيس المراسم: جلالة الملك ينتظرنا للدخول عليه، وسندخل أنا ومحمد، ويمكنك يا سالم أن تبقى هنا. قال سالم: لا بأس. كان محمد قد اصطحب معه حقيبته الدبلوماسية التي تعوَّد على حملها، والتي جمع فيها الصور التي أحضرها من أمريكا والعروض التي حصل عليها من ميكروسوفت وناسا، بالإضافة إلى شهاداته الدراسية وشهادات التقدير التي حصل عليها من الجامعة.

أومأ رئيس المراسم إلى محمد بأنه قد حان الوقت، فنهض محمد وحمل معه حقيبته، لكن رئيس المراسم أخبره بأنه لا يمكن حمل حقيبته معه، فأصرَّ محمد على حملها، وأخبر رئيس المراسم بأنه يرغب أن يُري جلالة الملك بعض الأوراق الخاصة، لكن رئيس المراسم رفض ذلك، ودخل محمد بدون الحقيبة.

أخذ رئيس المراسم محمدًا أولًا إلى مكتبه، وعندما وصلا أشار إليه بالجلوس. جلس محمد على أريكة، ثم بدأ رئيس المراسم يشرح لمحمد البروتوكول الخاصّ للسلام على الملك، ويتلخص البروتوكول في أن يمشي رئيس المراسم في المقدمة ويتبعه محمد، وعندما يصلان إلى مقربة من الملك يتنحى رئيس المراسم إلى جانب، ويقف محمد مكانه، بينما يقوم رئيس المراسم بتعريف الملك بمحمد. عندها على محمد أن يتقدم إلى الملك ويمد يده اليمنى ليصافحه، بينما يضع يده اليسرى على رأس الملك، ويرفع جسده قليلًا ليُقبِّل الملك في رأسه، ثم يُنزِل محمد يده من رأس الملك، بينما يُبقي يده اليمنى مصافحة للملك إلى أن يحسَّ بأن الملك يريد أن ينزع يده، وعندها يرجع محمد إلى الخلف، وينتظر إشارة من الملك له بالجلوس، وعلى محمد أن يجلس حينئذٍ في الموضع الذي أشار إليه الملك.

دخل الاثنان على الملك، وسارت الأمور بنفس التفاصيل التي شرحها رئيس المراسم لمحمد. وعندما جلس الملك على أريكته، وجلس محمد حيث أشار إليه الملك، فوجئ محمد بالملك وهو يأخذ من المنضدة التي كانت أمامه كتابًا جميلًا ذا ألوان زاهية، ورفع الملك الكتاب قليلًا، ثم قال لمحمد: كتاب جميل ينم عن إبداع وإخلاص في حب الوطن.

[حين وصل إلى العاصمة لماذا لم يطلب محمد من سالم نسخة من الكتاب أم طلبه فراوغ في ذلك!!!]

(XI) أثناء دخوله على الملك ~~كانت عيناه~~ قاعة متسعة الأرجاء مائلة
~~صفوف~~ الثريا الضخمة
صفوف الشاهق
اختلس محمد بعض النظرات الخاطفة ، فرأى
حيثما النقوش على الزخارف التي لا تكاد توصف جمالا وتناسقا ، والنوافذ
ورأى كتابات فخمة تتناثر بينها كلمات مثيرة . حاول ~~ما~~ أن يقاوم نفسه
فما ~~لبث~~ أن غض بصره ، وبقي محدقا في الملك ~~ENPZ~~
من الإنبهار
كان الملك قصير القامة ، نحيل الجسم ، عليه ثوب ~~أبيض~~ البياض وضاء
من النوم المتناهي ~~وقد بدت عليه دلائل~~ فبدت كأنها ~~مألوفة~~ ولم يكن في هيئته
شيء غير مألوف .

عرف محمد أن الكتاب الذي رفعه الملك هو كتابه، وإن كان يراه لأول مرة، لكنه لم يفهم عبارة الملك: وإخلاص في حب الوطن، فهو لم يُضمِّن بحثه الذي سلَّمه لسالم أيَّ شيء عن الوطن وحب الوطن، وإنما كان بحثًا علميًّا مجرَّدًا عن علم الفضاء. هل يقصد الملك بالإخلاص في حب الوطن أن تأليفه لهذا الكتاب يعتبر من الإخلاص في حب الوطن، لأنه سيكون للكتاب شأنٌ عظيم، مما سيرفع من سمعة الوطن عند الآخرين؟ هذا مقصد، ومقصد آخر، وهو أن سالمًا ربما يكون قد رجع إلى حِيَله السابقة في حشو البحث بعبارات فيها تمجيد للملك والوطن.

على كل حال، لم يَرَ محمد بُدًّا من أن يردَّ على الملك، فقال له: أشكر لكم يا جلالة الملك اهتمامكم بالكتاب، وإن كان لا يستحق هذا الثناء. عاود الملك الكلام فقال: كتابٌ قيِّمٌ جدًّا، ولذا رأينا أن يقوم الديوان الملكي بطباعته على نفقتنا الخاصة، وأن يتم تعميمه على جميع المدارس والجامعات لتدريسه كمادة أساسية.

ما إن سمع محمد تلك العبارة حتى سقطت الشكوك في أن يكون في الأمر شيء لا يعرفه، فردَّ على الملك: أشكر لكم يا جلالة الملك هذه العناية الفائقة بالكتاب. عاود الملك حديثه بقوله: إني عندما قرأتُ الكتاب أعجبتُ بشخصيتك كثيرًا، وبأسلوبك الرائع في الكتاب، ولذا قررنا أن يتم توظيفك في الديوان الملكي كمرافق خاصٍّ لنا، بحيث تقوم بتغطية أخبارنا بأسلوبك الشيق.

نزلت هذه الكلمات على قلب محمد كالصاعقة، وفهم أن الأمر ليس إلا نتيجة لحِيَل سالم، وها هو يُراد منه أن يُسخِّر مواهبه لينقل للجماهير السائمة ما يقوم به الملك وحاشيته. كذلك، فهذا يعني أن على محمد أن ينسى أحلامه وطموحاته وآماله. [جميل أن يكون هناك صراع نفسي لدى محمد بين الرغبة والمنصب]

لم يدرِ محمد كيف يرد على الملك، فبقي لبرهة صامتًا، فقاطع الملك ذلك الصمت بقوله: أشكرك على المجيء، وسيقوم رئيس المراسم بالترتيب لتجهيز مكتبك، وسنراك كثيرًا هنا. هزَّ محمد رأسه، وكأنه وافق على ما قاله الملك، وأبدى ابتسامة مصطنعة تخفي ما بداخله من الاضطرابات النفسية، ثم ردَّ على الملك بقوله: شكرًا .

(X1) حاول الشيطان أن يوسوس له أن ما سيحصل عليه من هذا المنصب سيستطيع
تسخيره في خدمة دينه والدعوة إلى الله، وأنه من خلال هذه المنصب سيستطيع أن
يوسع من أنشطة الدعوية، فالموارد المادية ستكون تحت تصرفه، ولن يخشى من
الأجهزة الأمنية أن تلاحقه فيما يفعل.

عرف أن تلك هي وسوسات شيطانية، فبدأ يستغفر الله، ويستعيذ من الشيطان،
حتى أن الملك لاحظ صمته وتمتمات شفتيه، فظن أن المنصب قد
وجاهة
عقدت لسانه. فقال مبتسمًا: أعرف أنك أعرف أن هذا منصب جليل يأمثالك، وستحظى بمزايا ومكرمات كثيرة.
وأراد أن يعتذر للملك عن هذا المنصب،
وأن يطلب منه وظيفة متواضعة في صلب تخصصه، ولكن الملك سبقه
بالحديث فقال:

عندها قام الملك، وقام محمد ورئيس المراسم، ومدَّ الملك يده للمصافحة، فمدَّ محمد يده، ثم نزع الملك يده، فنزع محمد هو الآخر يده. بعدها، أشار رئيس المراسم إلى محمد بالانصراف، فتحرَّك محمد ومشى رئيس المراسم بجانبه.

عندما خرجا من عند الملك، قال رئيس المراسم لمحمد: مبارك عليك هذا المنصب المرموق، وإني سأفعل كل ما في وسعي يا سيدي لتجهيز مكتبك ولإسعادك. ضحك محمد في داخله بسخرية وتهكَّم عندما سمع رئيس المراسم يناديه بيا سيدي. وقبل أن يأخذ رئيس المراسم محمدًا إلى صالة الاستقبال ليلتقي بسالم، توجه به إلى مكتبه الخاص وطلب منه الجلوس.

جلس محمد، فأحضر رئيس المراسم ظرفًا أنيقًا وناوله محمد، وقال له: هذه هدية من جلالة الملك. استلم محمد الظرف، ولم ينظر إليه بعينيه، وكأنه يزدري ذلك الظرف وكل ما رأى وسمع. لقد كان في مخيلة محمد أمرٌ واحدٌ يفكر فيه منذ أن جلس أمام الملك. لقد كان يتمنى الحصول على نسخة من ذلك الكتاب الذي كان الملك يشيد به كثيرًا، ليعرف السِّر وراء كل هذا الاهتمام.

قال محمد لرئيس المراسم: هل يمكنني الحصول على نسخة من كتابي؟ قال رئيس المراسم: طبعًا يا سيدي، وتوجه إلى درج مكتبه فأخرج نسختين، وقال له: هذه نسخة لك وهذه نسخة لزميلك. قلَّب محمد الكتاب بسرعة فلاحظ أن صفحاته تزيد بكثير عن البحث الذي أعطاه لسالم وأن به صورًا لم تكن في البحث، وأن هناك جداولًا ومعادلات كانت في البحث لكنها غير موجودة في الكتاب.

عرف محمد أن هذا الكتاب ليس هو البحث الذي قدمه لسالم، وإنما هو من صنع سالم وحِيَله. قام محمد فورًا، وشكر رئيس المراسم على ما قدمه له، وقال: هل يمكن أن نذهب إلى صالة الاستقبال، فأظن أننا قد أطلنا عليكم؟ ردَّ رئيس المراسم بابتسامة: نحن في خدمتكم، ولكن إذا كانت هذه رغبتك، فهيا بنا.

انطلق الاثنان إلى صالة الاستقبال، ووجدا سالمًا جالسًا على إحدى الأرائك الفاخرة، وهو يستمتع بما لذَّ وطاب من المشروبات والحلويات. عندما رأى سالم رئيس المراسم ومحمد قادمَيْن قام من

مكانه، وابتسم لمحمد، وكأنه يعبر عن إعجابه بما أمامه من مشروبات ومأكولات، لكنه سحب ابتسامته بسرعة عندما شاهد نوعًا من الامتعاض في وجه محمد.

بادر محمد حديثه مع سالم بقوله: هل يمكننا الذهاب فقد أطلنا على رئيس المراسم؟ ردَّ رئيس المراسم بابتسامة: أنتم ضيوف عندنا، وأنت يا محمد لم تتناول شيئًا، فهيا اجلس وتناول بعض الشراب والحلويات. فردَّ محمد بسرعة وبلهجة فيها انزعاج: شكرًا لكم، ولكني أفضل الانصراف.

قال رئيس المراسم: إذا كانت هذه رغبتك، فكما تحب.

مشى رئيس المراسم في الأمام وتبعه محمد ثم سالم وراءه، ولمس سالم كتف محمد، وعندما أدار محمد برأسه إليه، أشار سالم بيده إلى محمد وكأنه يسأله عما جرى. لم يجب محمد سالمًا بشيء، ويبدو من تصرفه ذلك أنه كان يغلي في داخله من الغضب، ويحاول أن يملك نفسه [redacted] كي لا ينفجر في وجهه. تابع رئيس المراسم سيره إلى خارج المبنى، وفور وصولهما إلى السيارة، توجه اثنان من الحرس الملكي وفتحا أبواب السيارة لمحمد وسالم.

وقف رئيس المراسم قريبًا من السيارة، ومدَّ يده ليسلِّم على محمد، وبادره بقوله: في حفظ الله، نراك غدًا. ردَّ محمد: بإذن الله. مد سالم يده ليصافح رئيس المراسم فمدَّ رئيس المراسم يده وصافحه، ثم قال له بابتسامة: انتبه في قيادتك، فأنت تحمل معك واحدًا من الشخصيات المهمة في البلد. ركب محمد وسالم السيارة، وأغلق رَجُلا الحرس الملكي أبواب السيارة، أدار سالم محرك السيارة ببطء، ثم انطلق بالسيارة، بينما يشير محمد بيده لتوديع رئيس المراسم.

ما إن انطلقت السيارة وهي تخرج من مبنى الديوان الملكي حتى أخذ محمد الظرف الذي كان في يده ورمى به في الكرسي الخلفي، بينما أبقى الكتاب في يده، ثم قال بغضب: نفاق وأيُّ نفاق!! هل يظنون أنهم قادرون على شراء ذمم الناس وعقولهم؟ قاطعه سالم، وكأنه يريد أن يعرف ما جرى، فقال: ماذا حصل؟

انفجر محمد في وجه سالم، ورد عليه بغضب، وقال له: أنت لا تتدخل في الأمر، وقُدْ السيارة بحذر، فإننا نريد أن نصل إلى البيت بأمان، ثم تابع حديثه بعد صمت قليل بقوله: واعتبر أن الروابط التي تربطنا قد انتهت، وبعد أن توصلني إلى البيت لا أريد أن أراك مرة أخرى. حاول سالم أن يمتص

غضب محمد، فقال مداعبًا له: هذا جزاء الإحسان!! لا عليك؛ فإنك قد أصبحتَ من الشخصيات المهمة في البلد، وبالطبع لا يهمك حال الفقير المسكين (يقصد نفسه).

انفجر محمد مرة أخرى في وجه سالم، وقال له بغضب: أرجوك، الزم الصمت إلى أن نصل. سكت سالم، وانشغل بقيادة السيارة، وكان بين الفينة والأخرى يرمق محمدًا بنظرات خاطفة وهو يشاهده يتصفح الكتاب، ويراه في كثير من الأحيان يقرأ بعض العبارات.

لم يدم الصمت طويلًا، حيث تكلم محمد مخاطبًا سالمًا بصوت ملؤه الأسى والحزن: لم أكن لأتوقع منك القيام بهذا العمل النذل!! صمت سالم ولم يجب، وبعد فترة عاود محمد الكلام بقوله: لو كنتُ أريد تأليف كتابٍ في تمجيد الملك وحاشيته، فهل يا ترى ستفوتني هذه العبارات؟ بعد قليل واصل محمد الحديث: إذًا، لماذا تُلبِسني ما لستُ منه؟ هل طلبتُ ذلك منك يومًا؟ إني على العكس، فأنا أرفض هذه التصرُّفات القذرة، وأنت تعلم مواقفي السابقة من المقالات التي نشرتها لي.

صمت محمد، وكأنه يحاول الحصول على إجابة من سالم. قاطع سالم الصمت بصوتٍ فيه شيء من الحشرجة، وقال: كنتُ أريد أن أفعل لك معروفًا. انفجر محمد مرة أخرى في وجه سالم، وقال له: لكني لا أريد منك معروفًا كهذا. وبعد برهة تابع: ولا أيَّ صنيع آخر تقدمه لي، فقد صرتُ أكره وأتخوَّف من صناعة المعروف الذي تدَّعي أنك تريد أن تقدمه لي.

صمت الاثنان لفترة طويلة، وكأن كل واحد يحاول أن يراجع علاقته بالآخر. بعد فترة طويلة من الصمت بادر محمد بالكلام قائلًا، وهو يرمي بإحدى نسخ الكتاب إلى سالم: هذه نسختك من كتابك، فأنا لم أؤلف هذا الكتاب، وإن أصبح- زورًا وبهتانًا- يُنسَب إليَّ. صمت قليلًا، وبعدها عاود الكلام قائلًا: والداهية الكبرى أنهم سيُعمِّمون الكتاب على جميع المدارس والجامعات، وسيكون اسمي مقرونًا بالكتاب في كل محفل، وهذا يعني أني واسمي قد ارتبطنا بالذل والخزي والعار مدى الحياة دون أن يكون لي دخلٌ في ذلك، إلا ثقتي العمياء بك.

سكت الاثنان مرة أخرى، ثم نطق سالم بصوت فيه حشرجة، وقال: أحسنتَ على وصفك لي بما وصفتني به. صمت سالم قليلًا، لكن صمته لم يدم، فانفجر في وجه محمد، وقال مخاطبًا له بصوت غاضب: لقد كنتُ أسعى لأن تصل أنت إلى أعلى المناصب في الدولة لكي تحقق جميع أحلامك

وطموحاتك التي كنتَ تتغنى بها، وما كان تصرفي ذلك إلا حبًّا لك. وعندما فعلتُ كل ذلك لك، وبعد أن تحقَّقتْ لك كل تلك الأمور، رغم أني لم أحصل من وراء ذلك على شيء لنفسي، أصبحتُ أنا في نظرك مجرمًا. لقد صدق الشاعر عندما قال:

ومَنْ يَفعَلِ المعروفَ في غيرِ أهلِهِ يَكُنْ حَمْدُهُ ذمًّا عليهِ ويَنْدَمِ

لكن، ليس الذنب ذنبك، ولكنه ذنبي أنا عندما ابتليتُ بمحبتك والتعلُّق بك.

أحسَّ محمد بأنه كان قاسيًا على صديقه سالم، وأن سالمًا ما فعل كل ذلك إلا من حُبه له، ورغبة في مساعدته، وأنه - أي محمد - رغم أنه لا يُقِرُّ لسالم بما حصل، إلا أن عليه أن لا ينكر له محاولاته المستمرة لمساعدته في تحقيق آماله وطموحاته. عندها، لم يجد محمد بُدًّا من أن يعتذر لسالم، فقال له بنبرة خافتة: أنا آسف، لقد كنتُ قاسيًا معك بكلامي.

صمت سالم قليلًا، ثم قال وكأنه يحاول أن يُخرج محمدًا من مشاعره المتوترة: لا عليك، ولكن قد قاربنا نصف الطريق فهل سنقف وتتناول الغداء في المحطة القادمة؟ عرف محمد مقصد سالم، فرمى بالكتاب إلى الكرسي الخلفي، ثم قال: كما تشاء. صمت الاثنان إلى أن وصلا إلى المحطة، ثم دخلا المسجد وصليا الظهر، وبعدها خرجا إلى المطعم المجاور وتناولا وجبة الغداء، وفي كل تلك الأثناء كان الصمت يخيم عليهما ولم ينطق أحدهما للآخر ببنت شفة.

عندما ركبا في السيارة، وبدءا في السير بقيا لفترة في صمت. لكن سالمًا لم يصبر على ذلك، فقال لمحمد: هل سنبقى على هذا الصمت إلى أن نصل؟ ردَّ محمد: تكلم أنت، وأنا أسمع. أحسَّ سالم بأن أعصاب محمد قد بدأت تهدأ، فاستغل ذلك لمعرفة ما جرى، فقال: لم تخبرني ماذا بالظرف؟ يبدو أنه ثقيل كبير [متين أو كبير فهو لم يلمسه وإنما شاهده].

صمت محمد قليلًا، ثم قال: لا أدري، هو لك. ردَّ سالم بسرعة، وكأنه يمازح صديقه محمد: هل حقًّا الظرف لي؟ ردَّ محمد بامتعاض: قلتُ هو لك، ولا أريد منه شيئًا. ردَّ سالم بسرعة: هيا افتحه لنعرف ما بداخله. يبدو أن محمدًا لا يريد أن يتذكر ما جرى في الديوان الملكي، فقال لسالم: هو هناك في الكرسي الخلفي، وعندما نصل خذه وافتحه.

أحسَّ سالم أن محمدًا ما زال في ضيق، فأراد أن يُنفِّس عنه، فقال له: أرجوك يا محمد، انس ما حصل، وأنا أعتذر لك إن كنتُ سبَّبتُ لك شيئًا من المشاكل، ولكني لا أستطيع أن أصبر إلى أن نصل لأعرف ما بداخل الظرف، فهيا أرجوك افتحه. استدار محمد بظهره للوراء، ومدَّ يده وأخذ الظرف ثم رمى به لسالم، وقال له: ها هو، خذه وافتحه.

أخذ سالم الظرف بيده اليمنى، وأمسك مِقْوَد السيارة بيده اليسار، ثم فتح الظرف، وأدخل يده في الظرف، وأخرج منها ورقة مكتوب عليها إلى نصفها، فدفعها إلى محمد، وقال له: أنا لا أستطيع أن أقرأ وأنا أقود السيارة، فاقرأها. تناول محمد الورقة، وأطلَّ عليها بنظرات خاطفة، ثم بدأ يقرأ بصوت منخفض، فردَّ عليه سالم: أنا لم أسمع شيئًا، فبدأ محمد القراءة مرة أخرى بصوت عالٍ:

يتشرف جلالة الملك ممثلًا في الديوان الملكي بأن يزف أحر التهاني وأجمل التبريكات للسيد محمد عبدالله على ما خطه يراعه وتألق به ذهنه الصافي في كتابه الرائع (دور النهضة المباركة في إثراء البحث العلمي).

كان محمد يقرأ هذه الكلمات بصوت متقطع، أما سالم، فإنه عندما سمع عنوان الكتاب نكَّس رأسه، وكأنه أحس بالخجل من تحوير بحث صديقه إلى كتاب دعاية وتمجيد للملك وحكومته. بعد توقف قليل تابع محمد القراءة:

وإنه ليطيب لجلالة الملك أن يقوم بطباعة الكتاب على نفقته الخاصة، وتعميمه على جميع المدارس والجامعات. كذلك، فيطيب لجلالة الملك تعيين السيد محمد عبدالله بمنصب المرافق الخاص للملك.

هنا توقف محمد عن القراءة، حيث عرف أن ما في الكتاب ما هو إلا تلخيص للمحاورة التي جرت مع الملك. أما سالم فإنه ردَّ بتأوه: يا لكِ من دنيا غدارة!! أنتَ تخاطَب بالسيد، ويُعرض عليك منصب المرافق الخاص للملك، وأنا أتردد بين المكاتب، وتوصد في وجهي الأبواب، ومع كل ذلك تصبُّ عليَّ جام غضبك.

قاطعه محمد بسرعة قائلًا: هل أنت شامتٌ بي أم حاقد عليَّ؟؟ رد سالم بنبرة ملؤها الأسى: أنا لستُ بشامتٍ ولا حاقدٍ، وهنيئًا لك ما حصلتَ عليه، وأتمنى لك المزيد من كل قلبي. لكني أتأوه على موقفك مني، وكأني أجرمتُ في حقك. ردَّ عليه محمد بسرعة: ألا تعتبر ما جرى جريمة؟ نعم،

إنها جريمة، وأيُّ جريمة؟ ألم تدبر لي مؤامرة لجعلي أتنازل عن المبادئ والقِيَم التي عشتُ من أجلها، والتي أدعو الله ليل نهار أن يُثبِّتني عليها إلى أن ألقاه وأنا على ذلك؟

ردَّ سالم بعد صمتٍ قليل بنبرة فيها سخرية: أيُّ مبادئ وأيُّ قيم؟؟ هل عرضوا عليك لتكون رئيس عصابة قتل أو نهب، أم أنهم عرضوا عليك منصب مرافق الملك؟؟ ردَّ محمد بغضب: إن كنتَ نسيتَ المبادئ والقِيَم التي تربينا عليها، وعشنا سويًّا نحلم بأن نراها تتجسد في حياتنا، فإني أُذكِّرك ببعض منها:

أولًا: أن تعيش لدينك وأمتك، وليس لذاتك ومصالحك الخاصة.

ثانيًا: أن تجتهد في دراستك وعملك إلى أن تصير من المتميزين على مستوى العالم.

ثالثًا: أن تسعى جاهدًا لنقل ذلك التميُّز إلى أفراد أمتك، لتصبح أمتنا أمة القيادة والريادة والتميُّز.

هل نسيتَ هذه المبادئ وغيرها، أم أن بريق المادة وظروف الواقع قد أنستك كل ذلك؟

ردَّ سالم: أنا لم أنسَ ذلك، ولكني أريد أن أكون واقعيًّا وليس مثاليًّا؛ فالمثالية لن توصلَك إلى شيء.
ردَّ محمد: بحمد الله، قد أوصلتني المثالية لتحقيق ولو شيءٍ من تلك المبادئ، بينما كبَّلتك واقعيتُك من تحقيق أيِّ شيء.

بعد صمت قليل تابع محمد خطابه لسالم، فقال: ثم أيَّ واقعية تتحدث عنها؟ أن ترتمي في أحضان أولئك الذين لا همَّ لهم إلا جمع حطام الدنيا، والتسلُّط على رقاب الناس، وامتصاص خيرات البلاد؟؟ إن عَيْشي على المبادئ والقيم التي تعلمتُها خيرٌ لي من أن أصبح مرافقًا للملك، والذي قد يكون سببًا لتنازلي عن مبادئي ثم ديني.

أحسَّ سالم أن الحوار لن يفضي إلى توافق، فأراد أن يقطع ذلك، فأدخل يده في الظرف ليعرف ما إذا كان بداخله شيء آخر، وهو يقول: ذاك رأيُك، ولك الحق في أن تعتقد ما تشاء. أحسَّ سالم بأن هناك قصاصة صغيرة في الظرف فأخرجها بسرعة ونظر إليها، فإذا هي شيك، فقال معلقًا: وهذا شيك لك، ثم نظر إلى الشيك، وقال بصوت متقطع: مائة ألف دينار؟؟ لو عشتُ طيلة حياتي أكدُّ وأتعب لما جمعتُ هذا المبلغ!!.

ردَّ محمد متهكمًا به: هنيئًا لك، فهو لك. ردَّ سالم بسرعة: لا يا صاحبي، لا أريد شيئًا، كفاني ما سمعتُه منك، فردَّ محمد: إذًا، مزِّقه!!، فردَّ سالم بسرعة: تمزقه؟؟ هل أنت مجنون؟؟ فردَّ محمد: قلتُ لك: خذه، فلم تَرْضَ، وقلتُ لك: مزِّقهُ، فلم تَرْضَ. حسنًا، ناولنيه وأنا أمزقه. ردَّ سالم بسرعة: لا يا محمد، لا تفعل، هذا لا يجوز، ثم إنهم لو عرفوا أنك فعلتَ هذا لأوقعوك في مشاكل.

ردَّ محمد: إذا كنتَ لا تريد تمزيقه، إذًا تصرَّف به كيفما تشاء، فأنا لا أريد أن أُدخِل جيبي شيئًا من تلك النقود. ردَّ سالم بتهكم: عُدْنا إلى المثالية مرة أخرى؟، فردَّ محمد: فسِّرها كما تشاء. أما أنا فلن آخذ من تلك النقود شيئًا. ردَّ سالم: حسنًا، سأحتفظ بالشيك عندي، فربما تغير رأيك بشأنه.

صمت الاثنان قليلًا، ثم بادر سالم قائلًا: هذا بخصوص الشيك، وماذا بخصوص المنصب؟ بعد صمتٍ قليل ردَّ محمد قائلًا: أيَّ منصب؟ ردَّ سالم بسرعة: منصب المرافق الخاص لجلالة الملك. صمت محمد قليلًا، ثم قال بنبرة فيها تهكُّم وسخرية: منصب المرافق الخاص لجلالة الملك؟؟ يا له من منصب براق!! هل تعرف ماذا يريدوني أن أفعل في ذلك المنصب؟؟

لم يجب سالم بشيء، فتابع محمد بعد صمتٍ قليل: إنهم يريدوني أن أكتب عن كل ما يقوم به الملك من لقاءات وزيارات وحفلات وغيرها. صمت محمد مرة أخرى، ثم تابع: بالطبع عليَّ أن أكتب عن تلك الوقائع بصيغة التمجيد والتعظيم، وعندما أُخلِص في وظيفتي سأرفع الملك إلى مقام الإله، وأصوِّر للناس أن الحلال ما أحلَّ والحرام ما حرَّم، وهذا هو الشرك بعينه.

توقف محمد عن الكلام، وبقي سالم صامتًا، ثم ردَّ بتهكُّم: أظن أن عندك خيالًا واسعًا، فتستطيع تصوير الأمور على غير مرادها، فردَّ محمد بنبرة غاضبة: إن وصفي لما يريدوني أن أفعله هو عين الحقيقة وليس خيالًا، وإذا كان عندك تفسير آخر فأخبرني به. قال سالم: الأمر في غاية الوضوح، ولا يحتاج إلى تفسير: جلالة الملك معجب بذكائك، ويريد أن يجعلك من خاصته، ليستعين بك على تسيير الأمور. ردَّ محمد: نعم، هذا تفسير صحيح، ولكن الأعمال التي سأكلَّف بها لن تخرج عما وصفتُ قبل قليل.

أحسَّ سالم أن محمدًا متمسك برأيه، فلم يشأ أن يتابع الحديث في الموضوع، فسأل محمدًا: على كل حال، وماذا أنت فاعل بشأن الوظيفة؟ ردَّ محمد بسرعة: لن أذهب!! فردَّ سالم بسرعة: ماذا؟؟! هل جننت؟؟! هل تعرف ماذا يعني أن ترفض المنصب الذي عرضه عليك الملك؟؟

بعد صمتٍ قليل قال محمد: وماذا عساهم أن يفعلوا بي؟ هل سيخيروني بين الوظيفة أو القتل؟؟ إذا سأختار القتل!! ردَّ سالم متهكمًا: لا بأس، وعندها ستتحقق كل أحلامك وطموحاتك!! ردَّ عليه محمد: لا تهتم بشأني، فأنا سأتحمل عاقبة قراراتي.

صمت الاثنان برهة، ثم تابع محمد قائلًا: وعلى كل حال، لن يدوم مكثي هنا طويلًا. ردَّ سالم بتهكُّم: وإلى أين ستذهب؟؟ هل ستهاجر أم تختفي؟؟ بعد برهة ردَّ محمد: إني سأعود إلى البلد التي فتحت لي ذراعيها. سأعود إلى أمريكا. ردَّ سالم بتهكُّم: تُفضِّل أمريكا على بلدك المسلم؟؟ أيُّ تناقض هذا بين المبادئ التي تتغنى بها!!

ردَّ محمد: إني لا أعود إلى أمريكا حبًّا فيها، وتفضيلًا لها على بلاد الإسلام كما تزعم، ولكن رغبة في أن أتمكن من ممارسة مبادئي وتحقيق طموحاتي، بعد أن رفَضَتْ بلدي الإسلامي أن أعيش على أرضها حُرًّا طليقًا، لي كامل الحرية في تطبيق مبادئي وتحقيق أحلامي وطموحاتي. ردَّ سالم قائلًا: وهل ستبقى طيلة حياتك هناك؟؟ ردَّ محمد: سأترك ذلك للظروف، فعسى أن تتغير أحوال بلادي، وعندها لن أتردَّد في العودة لخدمة بلدي وأمتي.

رأى سالم أنهم قد قاربوا الوصول إلى بيت محمد، فأراد أن يقطع الحديث، فقال: أتمنى لك كل خير، ولكن نصيحتي لك بأن تُعجِّل المغادرة قبل أن تصلهم أخبار قرارك، ويتخذوا بشأنك إجراءات تعرقلك عن سفرك. أحسَّ محمد أن مقال سالم ينم عن حب له وخوف على مستقبله، فردَّ قائلًا: سأفعل بإذن الله. وعلى كل حال، أشكرك على ما قدَّمتَه لي، وسامحني إن أغلظتُ القول عليك، وأخطأتُ في حقك.

لاحظ سالم أن محمدًا قد بدأ يلين، فقال له: لا عليك، فنحن مهما يحصل بيننا، سنظل بإذن الله صديقين، حتى وإن باعدت بيننا المسافات. ردَّ محمد: بإذن الله.

أوقف سالم السيارة قريبًا من باب بيت محمد، وخرج محمد من السيارة وأخرج معه نسخة الكتاب والخطاب الموجه إليه من الديوان الملكي، بينما ترك الظرف وبه الشيك في السيارة سالم. عندما خرج محمد من السيارة، توجَّه إلى سالم وقال له: ألا توقف السيارة فتتفضَّل معنا؟ فردَّ سالم: أشكرك، ولكن لا أظن أن الوقت مناسب، وسآتيك في وقتٍ لاحق. شكره محمد سالمًا ثم أغلق الباب وتحرَّكت السيارة، وعندها دخل محمد البيت.

[جميل أن تضيف ما يؤيد وجهة نظر محمد وينسجم مع طموحه وخيبة أمله في مقابلة الملك، رغم أنها كانت كفيلة بحل مشكلته ولكنه لم تُتَح له الفرصة]

الفصل الخامس

الإعلان عن الرحيل

ما إن دخل محمد منزله، حتى استقبلته أمه بابتسامتها المعتادة وبشاشتها المألوفة. بادر محمد أمه قائلًا: السلام عليكم يا أمي ورحمة الله وبركاته، فردَّت الأم بابتسامة: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. اقترب محمد من أمه وصافحها وقبَّل يدها، ثم قالت أمه: بشِّر يا محمد، كيف كانت رحلتكم؟!! قال محمد: الحمد لله، لقد استفدْتُ من هذه الرحلة كثيرًا.

ما إن سمع أبو محمد صوت ابنه حتى خرج من غرفته، وما إن شاهده محمد حتى أسرع نحوه وبادره بالتحية قائلًا: السلام عليكم يا أبي ورحمة الله وبركاته. صافح محمد أباه وقبَّل يده، فردَّ الأب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. تبدو عليك ملامح السرور، فعسى أن تكونوا قد وُفِّقتم في رحلتكم؟ قال محمد: الحمد لله، كانت رحلة مليئة بالدروس!، فقال الأب مبتسمًا: يبدو أنَا بحاجة إلى جلسة لتقُصَّ علينا ما جرى، وتابعت الأم قائلة: اسبقاني إلى الصالة وسآتيكما ببعض المشروبات.

توجَّه محمد وأبوه نحو الصالة، بينما توجَّهت الأم إلى المطبخ، وبعد قليل جاءت بصينية فيها بعض العصائر والبسكويت، ووضعتها في المنضدة، ثم قالت: والآن أعطنا يا محمد أخبارك، فإني في شوقٍ لمعرفة ما جرى. قال الأب: ألا تمهليه قليلًا حتى يستردَّ أنفاسه ويشرب كوبًا من العصير؟

ابتسم محمد، وقال: أشكر لكما اهتمامكما، والواقع أنه قد حدثت لي في هذه الرحلة الكثير من المفاجئات. تناول محمد كوبًا من العصير، وشرب منه قليلًا ثم وضعه على المنضدة، وبدأ يقصُّ على والديه ما جرى له في هذه الرحلة، ووالداه يُصغيان إليه باهتمام بالغ.

ما إن فرغ محمد من رواية الأحداث التي مرَّت عليه في رحلته، بالإضافة إلى انطباعاته هو عما جرى، حتى ساد المجلس صمتٌ لبرهة من الزمن، إلى أن بادر الأب قائلا: يا ولدي، أنت صاحب الشأن، وليس لأحد- مهما كان- أن يُجبِرَك على أمرٍ لا ترغب فيه. أحسَّ محمد بشيءٍ من الاطمئنان، فقد

كان قلقًا من أن يكون موقف والديه كموقف صديقه سالم، فردَّ محمد بقوله: ليس المهم عندي رضى هذا أو ذاك. ما يهمني هو إرضاء الله- سبحانه وتعالى- ثم رضاؤكما عني.

تابع محمد الحديث، وكأنه يريد أن يسمع رأي أمه: وما رأيُكِ أنتِ يا أمي؟ انحدرت من عينَيْ أمِّ محمد دمعة مسحتها بيدها، ثم قالت بتنهُّد: يا حبيبي، لقد عشتُ حياتي وأنا أتابع التطورات التي تطرأ لك، والتغيُّرات التي تحدث لحياتك، وكنتُ أتوقع أن يأتي يوم يحدث لك فيه ما جرى لك في هذا اليوم، لكني كنتُ خائفة من أنك لن تستطيع الصُّمود في وجه الإغراءات والمخاطر، ولكنك أثبتَّ لنا اليوم أنك بحقٍّ رجلٌ وأيُّ رجل، وإن كنتَ تريد رأيي فيما جرى لك، فإني أقول لك: توكل على الله وافعل ما أنتَ مقتنع بصوابه ما دام ليس فيه معصية لله ورسوله، واعلم يا حبيبي بأن الله لن يضيِّعك أبدًا، وسنبقى أنا وأبوك دومًا ندعو الله لك بالسَّداد والتوفيق والحفظ.

أثَّرت هذه الكلمات في نفس محمد فلم يتمالك نفسه، فقام وانحنى على أمه وقبَّل رأسها، ثم قال: أشكر لكما حسن ظنِّكما بي، وإني أسأل الله- سبحانه- أن يعينني على البِرِّ بكما والإحسان إليكما كما أحسنتما إليَّ وأوليتماني من الثقة وعزة النفس ما تطيب به نفسي. ردَّ الأب: الحمد لله، هذا فضلُ الله يؤتيه مَن يشاء من عباده، ولكنك لم تخبرنا ماذا تنوي أن تفعل.

صمتَ محمدٌ قليلًا- وكأنه يحاول انتقاء الكلمات التي ستكون لها الأثر في تطييب قَلْبَي والدَيْه، وفي الوقت نفسه تجعلهما لا يعارضان ما ينوي الإقدام عليه. بعد صمتٍ قال محمد: إنكما تعلَمان مدى رغبتي في خدمة بلدي وحرصي على الارتقاء بأمتي، وإني أرى من خلال الفترة التي قضيتُها هنا بعد عودتي من الدراسة أن الظروف ما زالت غير مواتية لي لأن أخدم بلدي وأمتي بالصورة التي أطمح إليها. صمتَ قليلًا، ثم تابع: لذا، فقد قرَّرتُ العودة إلى أمريكا. ما إن قال محمد تلك الكلمات حتى انفجرت أمه تبكي، بينما تحدَّرت بضع دمعات من عيني والده.

أحسَّ محمد بأنه قد أثار في نفسَيْ والدَيْه مشاعر محزنة، فهما يعلمان أن ذهابه إلى أمريكا قد يعني هجرة لا عودة بعدها إلى أرض الوطن. لذا، أراد محمد أن يطمئن والديه ويُدخِل شيئًا من السرور على قلبيهما، فقال: بإذن الله لن يطول بقائي هناك، فما إن أرى أن ظروف بلدي قد تحسَّنت، فإني سأعود بإذن الله مسرعًا لأكون أول من يبادر إلى خدمة وطني.

لكن هذه الكلمات لم تزد والدَيْه إلا مزيدًا من الحزن والأسى، فهما يعلَمان أن تغيير الظروف مرهون إلى الله- سبحانه وتعالى-، وأن الأمر قد يطول إلى سنوات عديدة، وربما قد لا تتغيَّر في حياتيهما، وهذا يعني أن مغادرته أرض الوطن ربما ستكون بمثابة اللقاء الأخير بينهما. هنا، عاود محمد الحديث وهو يحاول أن يُخرِج والدَيْه من الحزن الذي أَلَمَّ بهما، فقال: بإذن الله، ما إن تستقرَّ أموري هناك حتى أرتب لكما لزيارتي، ومن الآن إلى ذلك الوقت سنكون على اتصال دائم، فكما تعلَمان أن الإنترنت قد قرَّبت البعيد، وأصبحت المكالمات بالصوت والصورة في متناول اليد. [الغريب أنك لم تشر ولم تستخدم التقنيات الحديثة في ما سبق. أتمنى توظيفها]

أحسَّ والد محمد أن ابنه جادٌّ في الهجرة عن أرض الوطن، وحيث أنه لم يقف حجر عثرة أمام طموحات ابنه في السنوات الماضية، لذا فما ينبغي له أن يكون كذلك الآن. هنا تكلَّم والد محمد بحشرجة، وقال: أسأل الله أن يوفقك فيما تطمح لتحقيقه، وكما تعوَّدتَ منا فإننا سنقف بجانبك حتى وإن فرَّقت بيننا المسافات.

أحسَّ محمد بنوعٍ من الانشراح لمقولة والده، لكنه كان يرى والدته غارقة في صمتها، وهي تكفكف الدموع المنهمرة على خدَّيها. تابع الأب كلامه لابنه، فقال: هل تنوي الرحيل قريبًا؟ صمتَ محمدٌ قليلًا، ثم قال: سأحاول المغادرة خلال هذا الأسبوع، قبل أن تصل أخبار سفري إلى الديوان الملكي فيعرقلون عليَّ هذا السفر. ردَّ الوالد بنبرة حزينة: إذًا، علينا أن نعجل في إنهاء الترتيبات لسفرك، وخاصة فيما يتعلق بشراء تذكرة السفر والأغراض التي قد تحتاج إليها في رحلتك.

هنا لم تتمالك الأم نفسها فانفجرت باكية، وهي تصرخ في وجه زوجها: أتشجِّعه على السفر وأنت تعلم أن هذا يعني هجرة لا لُقيا بعدها؟!! أدرك الأب أن الأسرة تمرُّ بأزمة، وأن عليه أن يتصرَّف لحلِّها، فقال: أظن أن ما قاله محمد من الترتيب لزيارته، وأيضًا الاتصالات المتواصلة كافية لأن تُبقينا على تواصلٍ به. صمت الأب قليلًا ثم تابع: وإذا كنا نريد لمحمد أن يحقق طموحاته وأحلامه- كما كنا ننشد له ذلك- فإن علينا أن نتقبل مثل هذه الظروف بشيءٍ من الرضا والتسليم لله سبحانه وتعالى. واعلمي يا أمَّ محمد أن الله الذي امتنَّ علينا بمحمد وبما وصل إليه من تفوُّقٍ، فإنه- بلا شك- لن يضيِّعه ولن يضيِّعنا.

كانت أمُّ محمد إذا ذُكِّرت بالله- سبحانه- فإنها تتنازل عن مطالبها في سبيل إرضاء الله- سبحانه وتعالى. هنا تكلَّمت أمُّ محمد بلهجة حزينة، ولكنها تَنُمُّ عن إيمان وثقة بالله، فقالت: ونعم بالله. بعد صمتٍ قليل تابعت أم محمد، فقالت: أتمنى لك يا حبيبي كل خير، وإن الله عليمٌ لَكَم أنتَ غالٍ على قلوبنا، ولذا فلا أظنُّ أن الله سيجعل فراقك عنا سببًا لشقائنا أو شقائك. لذا أقول لك: توكل على بركة الله، والله سيُوصلك إلى ما تصبو إليه.

نزلت هذه الكلمات على قلب محمد كالماء البارد، ولم يتمالك نفسه فقام من مكانه واعتنق أمه واحتضنها كأنه طفلٌ رضيعٌ متعطشٌ إلى حنانها ودفئها. وبعد فترة طالت، توجَّه محمد إلى والده فاعتنقه هو الآخر، وأحسَّ محمد! قطرات الدموع وهي تتحدَّر من عيني والده فتلامس يديه وكأنها رذاذ مطر بارد.

استمرَّ عناق محمد لأبيه برهة، وبعدها عاد محمد إلى مجلسه ثم تناول كوب العصير وشرب منه قليلًا، وكأنه يريد أن يُنهي تلك اللحظات الحزينة التي مرَّت به. بعدها، بادر والديه قائلًا بابتسامة: أظن أنها لحظات من أجمل لحظات حياتي، وإني لأسأل الله أن يُديم علينا هذه اللحظات الجميلة ما بقينا بإذن الله.

رفعت الأم رأسها وأدارته نحو محمد وابتسمت، ثم مدَّت يدها إليه حتى لامست يده. رأى أبو محمد المشهد، فمدَّ هو الآخر يده نحو محمد، ووضع كلتا يديه على يدَيْ محمد وأمه، وابتسم الوالدان وكأنهما يُنهون اجتماعًا لتحديد مصير ولدهما.

[أرجو أن تزيد من مشاعر الأم وحوارها، ولا حرج من التطرق على لسانها إلى موضوع زواجه ورغبتها في رؤية الأحفاد، فهذا أمرٌ فطري لدى كل أم]

مسحت خديجة دموعها بطرف كمّها، ثم قالت: كانت لي أمنيتان في الحياة:
أما أن تصل إليّ ما وصلت إليه، وقد تحققت. صمتت طويلاً وهي
تغالب دموعها، ثم قالت: وكنت أتمنى أن أفرح بيوم عرسك، ثم توقفت
وأخذت تبكي بنشيج مسموع، فقام محمد واحتضنها، وبعد قليل قالت بصوت
يخالطه البكاء: ولا أدري هل سأرى ذلك اليوم بعيني، أم سيسبقني
أمنيتي تلك مع جنتي. هنا ابتسم محمد ذلك حتى انفجر باكيًا وهو يقول:
أطال الله في عمرك يا أمي، لا تقولي ذلك، فإنك - بإذن الله - ستفرحين بعرسي
وستربين أولادي على ما ربيتني عليه. كما علّي

كان عليٌّ يراقب مشهد خديجة ومحمد وهو ينتحب العبرات. وساد صمتٌ لفترة،
فاستغلّ عليٌّ فتح موضوع الزواج بشيماء، فقال: ألا يمكنك أن تنتظر شهرًا
آخر لتعاود خطبة شيماء لك؟ ما إن ذكر أبوه كلمة شيماء حتى أحسّ وكأنه طعنه
برمح. خاطب نفسه قبل أن يجيب والده: يا وحي، لقد نسيت شيماء. ماذا سيكون حالها
فيما لو عرفت عن سفري؟ وماذا سيكون ردّ فعلها لو عرفت ما جرى لي مع الملاك؟
هل ستسامحني وتقف بجانبي، أم ستسقط عليّ لتعويض تلك الفرصة الذهبية، كما يقول أخوها؟
بقي غارقًا في صمت طويل، وهو يصطرع بين مشاعر الرغبة في التعجيل في السفر، وبين الانتظار
للزواج من شيماء. رأى أبوه أنه قد أثار مواجع ابنه بفتح موضوع الزواج، فعلّق قائلًا:
كنتُ فقط أتمنى أن تجد لي غربتك من يسليك، وإذا كنت ترى صعوبة تحقيق
هذا الأمر، فلك أن تؤجله إلى أن تتهيأ الظروف لذلك. كان يدرك صواب كلام والده،
ولكنه هو أيضًا يعلم أن القرار ليس بيده، ردّ بعد فترة من الصمت: الانتظار
فيه مشاطرة بعرقلة سفري - كما ذكرتُ لكم - وأيضًا قد يتخذون ضدي إجراءات
شديدة قد تؤدي إلى حبسي.

سمعت خديجة هذه الكلمات فعاودها البكاء، بينما ونكّس عليٌّ رأسه، ثم تابع محمد: ولو كان
الأمر بيدي، لتمنيتُ الزواج حتى من يومي هذا. هنا نظمت خديجة بسرعة، فقالت: إذن،
على بركة الله، اذهبا الليلة إلى بيت رعيتكما وعاودا خطبة شيماء، فعسى الله أن
ييسّر الأمور. ابتسم محمد بحزن، ثم علّق: لا أظن أن الأمر بتلك السهولة. فاطمئنه أمه
بحماس: وما الصعوبة في ذلك؟ أنتم تعلمان أن أمها اشترطت لعقد قراني على شرطان
وها أنا ذا قد أنهيت دراستي، والثاني أن أكون قد حصلت على وظيفة مرموقة، وقد
تحقق شيء من ذلك بعد.

تأوهت خديجة، ثم قالت: لقد نضختك من قبل بأنه يبحث عن فتاة أخرى، ولكني لا أدري ما ذا أنت
متعلق به؟ تغيّرت مشاعر محمد عندما سمع هذه الكلمات، فقال: أرجوك يا أمي، لا
تفتحي هذا الموضوع من جديد، فارتباطي بشيماء مصيري، ولن تفكه إلا الموت. تدخل عليٌّ
محاولًا تدارك الأمر، فقال: لا أرى في محاولة الخطبة أيّ ضير، فعسى أن تكون فاطمة محمد
حائلًا. أظن أن الأمر سيزيد تفاقمًا بعد أن تصل الأخبار ما جرى لي اليوم إلى سعيد وعفراء.
علّقت أبوه بسرعة: إذن، نذهب في هذه الليلة لنتدارك الأمر. ما أشرح صدر محمد لرأي أبيه،
فقال: على بركة الله.

(N1) تابعت حميدة، فقالت: وقد عزم هو وأبي أن يأتيا الليلة ليعاود الخطبة. ملّ تعالى شيماء تقلّ حتى قامت من كرسيها واحتضنت حميدة. عندما كتكت شيماء، قالت: ولكن، وهنا تذكّرت تلك المشاعر لما خوف، فعلّقت شيماء: ولكن ماذا؟ لا تخبري والدك وأمك، أخبرك شيماء، فلو وصلتهما الأخبار، فقد يشمّا بمحمد بدل أن يقفا بجانبه، وقد يكون ذلك سببا لرفضهما. شاهدت حميدة شيماء قد نكست رأسها، وهي تقول بحزن: قد سبق السيف العذل، لقد أخبرت أمي، ولا شأن لها أن تستخير أبي.

(N2) بعد صلاة العشاء، توجه محمد وأبوه إلى بيت سعيد، وما إن رآهما حتى عرف أن موضوع الخطبة. فمن خلال محمد أن عفراء لم تعلم سعيدا بما جرى لمحمد، فسارع أمور الخطبة طبيعية، ووافق سعيد من جانبه، ولكنه أخبرهما بعرض الأمر على أهله وسلم. حميدة قد اتصلت بالعالم فأخبرته بنية والدها وأخيه للمجيء لخطبة شيماء، فردّ عليها باستبشار: إذن، بهذا تكتمل الفرحة. كانت العقبة الكؤود هي إقناع عفراء، فما إن فاتحها سعيد بهذا الأمر حتى استاءت، وردّت عليه: محمد لا يصلح زوجا لشيماء. ذهل سعيد من هذا الحكم القاسي، فسألها بتكبّر: ولم؟ فقالت له: يا امرأة، اعتراضنا له هذه لا تليق بنا، وخاصة أننا صرنا أصهارا، وأنت تذكرين أننا عندما خطبنا حميدة وافقوا الحال، ردّت بنبرة متعالية: العيب ليس فينا، وإنما فيه هو. فقال سعيد متلقّيا بحنة وبشرة، ثم خاطب عفراء: لا تخضعي يا امرأة، فقالت: يسعني ما لم أتحنّ عليه بعيني، وهو علمت ما حصل له لقلت مثل كلامي. هنا أدرك سعيد أن ثمة معلومات غائبة عنه جعلت عفراء تقرّع موقفه هذا، فأخذ يتلطف: وما حصل له.

بدأت تقصّ على زوجها ما جرى لمحمد، ثم علّقت: هل هناك شخص به ذرة من عقل يرفض ذلك المنصب؟ أراد سعيد أن لا يتعجّل في الحكم، فقال: ربما عنده أسباب في ذلك، فعلّقت: أيّ أسباب تجعل الإنسان السوي يرفض كرمة ابن الملك؟ فقال لها مستفزا: وما تعليقك أنتِ على ذلك؟ قالت، وفي الكبد العالم ما لا يخفى: لا تفسير له إلا أنه مختل عقليا!! صدمته هذه الكلمات، فأراد أن يدافع عنه، فقال: لو كان الأمر كما تقولين، فكيف تفسّر له الدراسة في أمريكا وآخر جامعات العالم، وكيف تفسّر له مقابلة الوزير ولا تدري أنه كان درس في أمريكا أو أوروبا؟ فردّت بسرعة: أما مقابلة الوزير وجلالة الملك فكانت بترتيب من صالح

الفصل السادس

الاستعداد للمغادرة

قضت الأسرة الأسبوع التالي في توفير بعض احتياجات السفر لمحمد، واشترى والده تذكرة سفر ذهاب فقط، وكأنه يريد أن يُشعِر محمدًا بأن قرار العودة أو البقاء بيده، وليس للأسرة تأثير فيه. أما محمد فإنه زار بعض أقربائه لوداعهم، وكان محمد يلقى حرجًا كبيرًا في هذه الزيارات، حيث كان الجميع يطرحون عليه العديد من الأسئلة، وخاصة فيما يتعلق بالسبب في تفضيله الذهاب إلى أمريكا عن بقائه في بلده.

أيضًا كان البعض يتساءل عن المدة التي سيبقاها هناك، وعن نوع العمل أو الدراسة التي ينوي التوجُّه إليها في أمريكا. كان محمد يجيب على تلك الأسئلة بأدب جم، ويستخدم أحيانًا مندوحات الكلام ليتخلص من بعض الأسئلة الحرجة التي كانت تُطرَح عليه.

لم تكتفِ والدة محمد بتجهيز الملابس والأمتعة لابنها، وإنما حاولت أن تُعِدَّ له بعض المأكولات الشعبية والحلويات التي يمكنه حملها معه في السفر، وكان زوجها يُذكِّرها دومًا بأنه لا يُسمَح له بحمل أكثر من ٣٠ كجم في الطائرة، وأن بعض المأكولات غير مسموح بحملها.

أما الأب، فلم يترك ولده يجهز أمور سفره بنفسه، وإنما أخذ الأسبوع بأكمله إجازة من العمل، وقام بشراء التذكرة [مكرر] والملابس والحقائب الأنيقة، وصاحَبَه إلى السفارة الأمريكية للحصول على تأشيرة [لاحظ أنك جعلته يأخذ التأشيرة خلال أقل من أسبوع. ربما هي خدمة خاصة وتوصية من رئيس أمريكا] الدخول إلى أمريكا. وفي كل تلك الرحلات كان محمد ووالده يتبادلان الحديث، وفي كثير من الأحيان كان الوالد يُقدِّم لابنه بعض النصائح؛ إما بصريح العبارة أو عن طريق ذكر القصص والأحداث التاريخية وسيرة بعض الشخصيات.

كان محمد قد طلب من والده أن يجعل سفره مساء يوم الجمعة، ليتسنى له أداء صلاة الجمعة ولقاء زملائه وأصحابه والتسليم عليهم. بعد صلاة العصر من يوم الجمعة كانت اللحظات الحرجة بالنسبة

X1 بعد فشل [illegible] في الحصول على الجنسية الأمريكية، عزم العودة إلى أمريكا
مقابلته [illegible] جينك بالتقديم إلى الشاعة الأمريكية، وقد شاهد
كامه محمد وذهب

لتأشيرة دراسية، وخاطب قسم علوم الفضاء آنذاك [illegible] ليرسلوا
إلى الشاعة الأوراق التي تثبت قبوله عندهم، كانت الإجراءات المعتادة
بعد [illegible] ١١ سبتمبر ٢٠٠١م قد عقّدت إجراءات الحصول على تأشيرة
تفجيرات نيويورك، ورغم [illegible] نشاطه الدعوي في أمريكا، إلا
أنه عيّنه المدارس والأوراق التي زودتها جامعة هارفارد للشاعة كان لها أثر
كبير في الموافقة على منحه تأشيرة دراسية، وحصل عليها في فترة قياسية.

X2 مرّ اليوم الأول سريعًا بعد محاولة [illegible] ولا يدري ما حدث له بعد ذلك.
اتصل بأخته، فأخبرته بأنه في العاصمة مع سالم، وشرحت له ما جرى بينه وبين أمه
ثم بينه وبين شيماء. تأسف [illegible] كثيرًا أن تتأزم الأمور إلى تلك الدرجة.
[illegible] كامه شديد التلهف للزواج من شيماء، [illegible] لا يكتفي [illegible] أنه يفضل أجعل
كل حياتي مع وهم الزواج مني. [illegible] أخته أنه [illegible] يحاصرها
وأنه لو كامه هناك سبيل ما تخلى عنه، [illegible] فتأكد أنه تقطع
راضي أنه يتبعها بأي شخص آخر مراعاة لمشاعرها
[illegible] بالزواج مني
ومشاعرك.

لم يكنه من السهل أن يتفوه بتلك الكلمات، ويعني أنه لو مات قبل أن
يصل إلى هذا القرار، لمات وهذه الكلمات في نفسه، صمت وبدأت بالبكاء.

لذا، وصل إلى قرارهم، فقال لأخته: أنتِ تعلمين أني
ولن تتغير
ولكني مع ذلك
صمت قليلًا، ثم واصل
حديثه:
أرجوك
تخبريه بأنه
أرجوك أنه تتصلي به، وتحاولي
للزواج مني
وأخبريه بأني
تقوله له،

ازداد نشيج أخته، ولم تدرِ ما [illegible] فآثرت الصمت. تابع: أخبريه بأني
سأسافر غدًا، وترجيه أنه تسامحني على ما كدّرت به صفو حياته. وأرجوه أنه
تتفقي بجانبه، ولا تتخلوا عنه. احثوا له عن شابة صالحة مستقيمة، فلعله تنسى
أنت وسالم ما كامه بيننا. فأرجوك أيضًا أنه تطيبي نفسه، وتحسني إليه، فهو
صديق عزيز يستحق كل حب واحترام، وتلطفي معه ليصلح ما [illegible] بينه وبين أمه.

N5

لما أتى محمد في موعدهم من محمد. لذلك كما قررت الانسحاب فدخلت غرفتي وأغلقت عليّ الباب

(N5) واصلت حميد البكاء ولزمت الصمت فلم [illegible] أخاها يريد أن يضيف شيئًا. وفجأة انفجر محمد ببكاء وهو يقول له: وأرجوك ثم أرجوك أن لا تتركني [illegible] أبي وأمي وإخوتك؛ فكفاهم العذاب الذي أصابهم بسببي. ازداد بكاء حميد فتابع: حاولي أن تواسيهم [illegible] وأرجوك يا سلوى يا البارع أن تلتمس لي منهم الصفح والغفران مما جنيته في حقهم من إساءات وتقصير وعدم مراعاة لمشاعرهم.

بقي محمد يعدد وصاياه لأخته وكأنه راحل عن هذه الحياة. وفي الختام قال لها: سأبقى متواصلاً معك ومع خالد وسأنقل لكم أخباري [illegible] فاوصيك يا أبي وأمي بأسلوب [illegible] لا يؤثر على مشاعرهما وكأنه لا يستقبل شيئًا من ذلك. أما أن أردها أن تنساني تدريجيًا. صمت برهة وأخرى، ثم تابع: بين كل فترة وأخرى سأقوم بتحويل [illegible] يتجمع لديّ من نقود وأرجوك أن [illegible] إلى أبي ليستعين بها على [illegible] وإخوتي. [illegible]

تأخذي منها ما تشائين [illegible] أوصلي ما تبقى منها [illegible] والحاجة لبكي

بقي صامتًا لفترة وهو يحاول أن يستذكر كأنه نسي شيئًا مما يريد [illegible] وصية أخته به. تابع: هذا ما أستذكره الآن وقد فضلت أن أقوله لك بعيدًا عن مسمع أبي وأمي وإخوتي لكي لا [illegible] أزيد جراحهم. صمت قليلاً ثم قال لها: إذا كنت تريدين قول شيء فتفضلي وإلا فسنلتقي بإذن الله مساء الغد وأنتي بخير وسالم. كان بكاؤها قد خفت ولكنها لم تستطع أن تقول شيئًا أو لم تجد ما تقوله فردت عليه: بإذن الله، ثم أغلقت الهاتف.

أحس بشيء من الراحة النفسية وهدوء البال. تذكر أن عليه أن يودع أساتذته فاتصل بالأستاذ أسامة فأخبره برغبته بزيارته. عندما وصل إلى منزله وجد الأستاذ عماد والأستاذ عارف عنده. شكرهم فور [illegible] على ما قدموه له واعتذر عما بدر منه من إساءات تجاههم. بقي عندهم لفترة [illegible] خلال النصائح ودعوا له بالتوفيق ومواصلة النجاح وطلبوا منه البقاء على تواصل معهم.

(N1) تابعت حميدة، فقالت: وقد عزم هو وأبي أن يأتيا الليلة ليعاود الخطبة. ملّ تعالى شيماء تقلّ حتى قامت من كرسيها واحتضنت حميدة. عندما كتكت شيماء، قالت: ولكن، وهنا تذكّرت تلك المشاعر لما خوف، فعلّقت شيماء: ولكن ماذا؟ لا تخبري والدك وأمك، أخبرك شيماء، فلو وصلتهما الأخبار، فقد يشمّا بمحمد بدل أن يقفا بجانبه، وقد يكون ذلك سببا لرفضهما. شاهدت حميدة شيماء قد نكست رأسها، وهي تقول بحزن: قد سبق السيف العذل، لقد أخبرت أمي، ولا شأن لها أن تستخير أبي.

(N2) بعد صلاة العشاء، توجه محمد وأبوه إلى بيت سعيد، وما إن رآهما حتى عرف أن موضوع الخطبة. فمن خلال محمد أن عفراء لم تعلم سعيدا بما جرى لمحمد، فسارع أمور الخطبة طبيعية، ووافق سعيد من جانبه، ولكنه أخبرهما بعرض الأمر على أهله وسلم. حميدة قد اتصلت بالعالم فأخبرته بنية والدها وأخيه للمجيء لخطبة شيماء، فردّ عليها باستبشار: إذن، بهذا تكتمل الفرحة. كانت العقبة الكؤود هي إقناع عفراء، فما إن فاتحها سعيد بهذا الأمر حتى استاءت، وردّت عليه: محمد لا يصلح زوجا لشيماء. ذهل سعيد من هذا الحكم القاسي، فسألها بتكبّر: ولم؟ فقالت له: يا امرأة، اعتراضنا له هذه لا تليق بنا، وخاصة أننا صرنا أصهارا، وأنت تذكرين أننا عندما خطبنا حميدة وافقوا الحال، ردّت بنبرة متعالية: العيب ليس فينا، وإنما فيه هو. فقال سعيد متلقّيا بحنة وبشرة، ثم خاطب عفراء: لا تخضعي يا امرأة، فقالت: يسعني ما لم أتحنّ عليه بعيني، وهو علمت ما حصل له لقلت مثل كلامي. هنا أدرك سعيد أن ثمة معلومات غائبة عنه جعلت عفراء تقرّع موقفه هذا، فأخذ يتلطف: وما حصل له.

بدأت تقصّ على زوجها ما جرى لمحمد، ثم علّقت: هل هناك شخص به ذرة من عقل يرفض ذلك المنصب؟ أراد سعيد أن لا يتعجّل في الحكم، فقال: ربما عنده أسباب في ذلك، فعلّقت: أيّ أسباب تجعل الإنسان السوي يرفض كرمة ابن الملك؟ فقال لها مستفزا: وما تعليقك أنتِ على ذلك؟ قالت، وفي الكبد العالم ما لا يخفى: لا تفسير له إلا أنه مختل عقليا!! صدمته هذه الكلمات، فأراد أن يدافع عنه، فقال: لو كان الأمر كما تقولين، فكيف تفسّر له الدراسة في أمريكا وآخر جامعات العالم، وكيف تفسّر له مقابلة الوزير ولا تدري أنه كان درس في أمريكا أو أوروبا؟ فردّت بسرعة: أما مقابلة الوزير وجلالة الملك فكانت بترتيب من صالح

بدأ ~~الحوار~~ يخلو بدأ وظام يعيدا ~~ظ~~ أن شيئا من الصواب في كلام زوجته
ومع ذلك فظام لا يجد ما يبرر به رفض زواج شيماء به. قال لها: ~~ولا~~ ~~تأخير~~
كل ذلك مجرد شكوك ~~ظ~~ تأتي
~~لزوج شيماء به~~ أرى ضيرا في زواج شيماء به. هنا أرادت عفراء أن تقنع
لزوجها ~~بعدم~~ ~~خيرات~~ ~~فتاجعه~~ فقالت له بعد أن صمتت لبرهة وكأنها تبحث عن
مبررات تجعله يرفض الزواج بنفسه عواها: هل توافق أن يأخذ محمد ابنك
إلى أمريكا ثم لا يعود إليها هنا مدى الحياة؟ ردّ بسرعة: قطعا لا.
عندها، ابتسمت وقالت: وهذا ما ينوي أن يفعله! فقال بسرعة: ~~ومن~~ أين عرفت
ذلك؟ قالت بابتسامة: من شيماء نفسها. قاطعها بسرعة: ولكن كيف؟ لقد
علمت من حماة أن محمدا سيعود إلى أمريكا فورا ~~بعد~~ ~~أن~~ ~~ينهي~~ قبل أن ~~يغادر~~
حالة الملل من السفر، ثم قالت بكلمات متقطعة وكأنها وصلت إلى النتيجة
الحاسمة: ولذلك جاء اليوم لخطبة شيماء ليعقد عليها، ثم يغادر بها.
رغم أن هذا السيناريو لا يبدو مكتملا كما أن كلام عفراء في الجانب الآخر
يبدو منطقيا، ردّ عليها وكأنه يشجعها بما قالته: سأستشير سالم وأرى
ما يقول. ردّ بسرعة: سالم لن يعارض، محمد صديقه وهو في الوقت نفسه لا يريد
شيئا يكدر صفو زوجته. علق سعيد وكأنه وقع في حيرة لا يدري كيف يتصرف فيها:
وما الحل؟ قالت بجزم: لكن معلوما لديكم جميعا أنني ~~أرفض~~ رافضة لزواجه
بشيماء سواء اليوم أو بعد مدة سنة حتى ولو كنتم جميعا تريدون
ذلك. لم يدر سعيد ما يقول وقام من مكانه ثم خرج من البيت ~~ظ~~ ~~ظ~~ ~~ظ~~

(N3) سؤالا: وإلى أين تذهب؟!! قال لها: باختصار لاحقًا.
رأته يضع ملابسه في حقيبته فخاطبته قائلة: إلى أين؟ فقلت مثله وبعد لحظات خرجا من المنزل. <NP>

شاهدت شيماء أخاها وصديقه يخرجان حاملان حقائبهما فشكت أمرها لصديقتها وقصت عليها ما حدث بينها وبين والديها ولم يدر بخلدها أن سبب موضوع الزواج، توجهت إلى غرفة أمها فوجدتها تبكي وروت لها ما جرى بينها وبين والدها، جالسة على كرسي ويبدو عليه الضيق، بادرت قائلة: خيرًا ما ذا يجري؟ لم يتمالك سعيد نفسه حتى خرج من الغرفة ثم خرج من البيت.

بعد ما ولات عرفت شيماء أن ما يجري هو حوله زواجها من محمد، قالت عفراء: يا ابنتي وإنهم يحاولون أن يحرموني منك؟ ردّت شيماء باستغراب: الزواج يا أمي سنة الله ورسوله ولا بدّ أن يأتي يوم وأتزوج وأعيش مع زوجي كما تفعلين الآن. كانت عفراء ما زالت منفعلة بسبب ما جرى بينها وبين سالم فقالت وهي تبكي: تذهبين مع أي شخص إلا هذا المعتوه!! تعجبت شيماء من كلام أمها فعلمت ما تعرفه أن محمدًا وأباه قد جاءا لخطبتها فقالت: هل يأتي شخص آخر لخطبتي غير محمد؟ فأجابت عفراء: إن سالم جاء لهذا الأمر من أجلك. لا بدّ أنهم يدبّرون أمرًا ما دون علمي. بدأت الظنون ووساوس الشيطان تعتري قلبها ضد أخيها. <NP>

خرجت من عند أمها مغضبة فاتصلت بأخيها عن الحال وما آل إليه الأمر حتى هجمت عليه بكلماتها اللاذعة فقالت له: ظننت أن حالك يا أخي وحال محمد قد تغيرا بعد زواجه من حميدة ولكنه يبدو أنه مثله قال الشاعر:

مثل اليهودي أمرته بطلبه ... فلما فقد لاصل ولا صابا

كان سالم يسمع تلك الكلمات وهو لا يكاد يصدق نفسه وكأنه في حالة من الاستياء ولكنه رأى لزامًا عليه أن يوضح لها موقفه فقال لها بهدوء: يبدو أنك لم تفهمي ما يجري. فقاطعته بنبرة تظهر شيئًا من الأمر لا يحتاج إلى فهم فعلمت شيئًا بات مكشوفًا وأقول له إنه منذ ذلك الحين لن تصلني إلا ما تريد وكما قلت له من قبل فإنه عيدها لله مرة أخرى: ثم تركته منه رغم أنفه ثم أغلقت الهاتف. <NP>

كانت حسنة تسمع كلام شيماء وهي تضرخ في الهاتف. خاطبها سالم بحرقة:
كيف التبس عليك الأمر؟ ردّت حسنة مستفهمة: أي أمر؟ قال: أمر
زواجك بمحمد. ثم تابع: لقد بذلت كل ما في وسعي لإقناع أمي ولكنها
أصرت على رفضك. هنا فوجئت حسنة بما جرى في بيت زوجها وما دعى بسالم
لأن يترك المنزل. قالت له وهي تحاول معرفة سبب غضب شيماء:
ربما أمك لم تخبرها بالحقيقة وصورت الأمر. ردّ عليها: لا أستبعد أن
تكون أمي عليها في قولي تحاول أن تحول بينه وزواجه من أي طريقة.
وهل ستتركك هكذا؟! سألت حسنة بفزع مستفهمة: من تقصدين؟
أقصد شيماء، لا بدّ أن توضح لها ما جرى.

حاول الاتصال بها عدة مرات فلم يجد بدًّا من العودة إلى المنزل.
بقيت حسنة في السيارة بينما توجه هو إلى غرفة شيماء. طرق عليها
الباب فلم ترد. عاود الطرق عدة مرات ولكن بدون جدوى فخاف
أن يكون قد أصابها مكروه. ففتح الباب وقرأها مستلقية
في السرير وهي تبكي.

حسنة عندما رأته دموعه رقيق فلم تجب. عرف أنها ما زالت غاضبة. تابع: أظن أنك
فهمت الأمور على غير حقيقتها. بقيت في بكائها ولم تتكلم بشيء. تابع: أنا لم أعارض زواجك
من محمد. بدأ يخبرها بخفة وتابع: عندما اتصل بي والدة محمد وأخبرني أن أمي تعارض الزواج
اتصلت بك عدة مرات وحاولت إقناعها ولكنها أصرت على موقفها. عندها أتيت اليوم بعد
الدوام وبقيت أحاول إقناعها وهي ترفض كل مبرراتي حتى أنها أخبرتني بأمور
هجران البيت وأن بعض أهلها البر منه.
كانت شيماء قد توقفت عن البكاء عندما سمعت أن أمها هي التي كانت تعارض الزواج.
جلست على سريرها ومسحت دموعها وما زالت غرق سالم من كلامه حتى علقت بأن:
إذن ما كل تلك الأوصاف التي سمعتها منك كانت تقصدين محمد؟ نعم، أجاب سالم وهي
ترفض تزويجه بشدة وتعتبره - بسبب ما جرى له من جلالة الملك - مختل عقليًا. بدأت
شيماء تبكي ثم قالت: كنت أعلم أنها ترفض تزويجي منه من أول خطبة،
عندما أتت تلك الاعتراضات التي لا مبرر لها. كل أخواتي تزوجن وأنا سأتخرج
ومعظم زميلاتي في الثانوية تزوجن فلماذا تريد أمي أن تحرمني ممن أحب؟
أثناء دخول سالم البيت، اتصلت حسنة بأختها وأخبرتها بما قالته شيماء عن سالم. تكدر قلب
حسنة وعلمت أن الله لا يريد أن يكتب الزواج من شيماء،
جلس مع أمه وأبيه ووصفوا لهما ما يجري في بيت حميد ثم قال: أظن أن
الزواج هنا ممنوع.

ولا أعتقد أنه سيتم حل خلال هذا الأسبوع. لذلك فقد حزمت الأمر على الذهاب إلى أمريكا وتأجيل موضوع الزواج إلى أن يشاء الله. [illegible] مع مشاعر ولده، وخديجة في البكاء، ثم قالت بصوت يخالطه النشيج: لقد قلت للأب [illegible] أمنية راجلي في عيني. أرجوك يا أمي لا تفتحي هذا الموضوع من جديد، خاطبها محمد بتأثر، فأنا أريد أن أعادكم وفعلكما منشرحة.

رأى سالم أنه لا جدوى من معاودة الحديث مع والدته، فقرر العودة إلى شقته في العاصمة مع حسنة. قبل مغادرته البيت أخذ شيماء بوجهته، عندما غادر أخواه دخلت مع أمها. [illegible] بقيت أمام واقفة، وهي تكفكف الدموع، وعرفت عفراء ما أتت من أجله فبقيت صامتة تنتظر ما سيقوله شيماء. عندما سمعت لسوء حظ تلك الأوصاف البشعة، خاطبت أمها وهي تبكي، حسبك تقصيري وكفى آخر شرعة

فهمت عفراء سبب زيارة شيماء من قبل، وفهمت أنها سالما قد شرح لها ما جرى، فلم ترد بشيء. تابعت شيماء بعد صمتٍ: ألهذه الدرجة تنظرين إليه؟ لقد ألف كتاباً حظي باهتمام جلالة الملك [illegible] مما جعله يعينه مراقباً خاصاً له، فلو رأى عيناك عيناي شخصيته لما أولاه تلك العناية. هنا لم تتمالك عفراء نفسها من الاستياء فقالت بازدراء: أنت لازلت طفلة صغيرة!! [illegible] شيماء [illegible] بصوت يخالطه البكاء: أنا لم أعد بنتاً صغيرة، وعما قريب سأتخرج من الكلية، [illegible] أعلم السبب في رفضك له.

صمتت شيماء لحظة ردت أمها، ولكنه عفراء لزمت الصمت. تابعت شيماء وهي ما زالت تبكي: منذ أن حصل [illegible] على المركز الأول في الثانوية العامة وأنا لاحظت أنك صرت تحقرين عائلتي، فمن يومها قلت زياراتك لنا، ولم تعودي تقضين الأوقات مع أمك في زيارة الجارات والصاحبات، أرادت عفراء أن تظهر خطأ تفسير ابنتها فقالت بهدوء: لو كنت حاقدة عليهم لما سمحت لسالم أن يتزوج [illegible] فاختلت شيماء وقد خف نشيجها: [illegible] ذات شخصية قوية، ولم تستطيعي منعه من ذلك. ومنذ أن دخلت أختي بيتنا وأنت تزدرينها. وزادت عفراء أن الحج التي تتوقع شيماء قد كشفت مؤامراتك والحاحاتك يا البكاء، فردت شيماء وهي تبكي: كذبت!! أنا لم أمنع أحداً، ولم أحتقر أحداً، ولكنكم عندما كبرتم رددتم الجميل والحب الذي كنت أحيطكم به بالتجني والاغتراب عليّ. أخوك تزوج وباعني، وأنت تريدين أن تبعديني بالحج لكي لم يبق عليكم إلا أن تأتوا بكينا وتخرجوها في صدري، فكفوا وتحلوا الكم الطفو. عندما سمعت شيماء تلك الكلمات تأثرت كثيراً، وأدركت أنها قد أخطأت في ما قالته لأمها، [illegible] ولكنها في الوقت نفسه لا تريد الاعتراف

عندما سمعت عفراء ذلك

وبدأت تبكي بحرقة

لما أتى محمد في موعدهم من محمد. لذلك كما قررت الانسحاب فدخلت غرفتي وأغلقت عليّ الباب

(N5) واصلت حميد البكاء ولزمت الصمت فلم [illegible] أخاها يريد أن يضيف شيئًا. وفجأة انفجر محمد ببكاء وهو يقول له: وأرجوك ثم أرجوك أن لا تتركني [illegible] أبي وأمي وإخوتك؛ فكفاهم العذاب الذي أصابهم بسببي. ازداد بكاء حميد فتابع: حاولي أن تواسيهم [illegible] وأرجوك يا سلوى يا البارع أن تلتمس لي منهم الصفح والغفران مما جنيته في حقهم من إساءات وتقصير وعدم مراعاة لمشاعرهم.

بقي محمد يعدد وصاياه لأخته وكأنه راحل عن هذه الحياة. وفي الختام قال لها: سأبقى متواصلاً معك ومع خالد وسأنقل لكم أخباري [illegible] فاوصيك يا أبي وأمي بأسلوب [illegible] لا يؤثر على مشاعرهما وكأنه لا يستقبل شيئًا من ذلك. أما أن أردها أن تنساني تدريجيًا. صمت برهة وأخرى، ثم تابع: بين كل فترة وأخرى سأقوم بتحويل [illegible] يتجمع لديّ من نقود وأرجوك أن [illegible] إلى أبي ليستعين بها على [illegible] وإخوتي. [illegible]

تأخذي منها ما تشائين [illegible] أوصلي ما تبقى منها [illegible] والحاجة لبكي

بقي صامتًا لفترة وهو يحاول أن يستذكر كأنه نسي شيئًا مما يريد [illegible] وصية أخته به. تابع: هذا ما أستذكره الآن وقد فضلت أن أقوله لك بعيدًا عن مسمع أبي وأمي وإخوتي لكي لا [illegible] أزيد جراحهم. صمت قليلاً ثم قال لها: إذا كنت تريدين قول شيء فتفضلي وإلا فسنلتقي بإذن الله مساء الغد وأنتي بخير وسالم. كان بكاؤها قد خفت ولكنها لم تستطع أن تقول شيئًا أو لم تجد ما تقوله فردت عليه: بإذن الله، ثم أغلقت الهاتف.

أحس بشيء من الراحة النفسية وهدوء البال. تذكر أن عليه أن يودع أساتذته فاتصل بالأستاذ أسامة فأخبره برغبته بزيارته. عندما وصل إلى منزله وجد الأستاذ عماد والأستاذ عارف عنده. شكرهم فور [illegible] على ما قدموه له واعتذر عما بدر منه من إساءات تجاههم. بقي عندهم لفترة [illegible] خلال النصائح ودعوا له بالتوفيق ومواصلة النجاح وطلبوا منه البقاء على تواصل معهم.

لمحمد؛ فهو سيُودِّع بعض أقربائه وأهله ويرحل من بلده ومسقط رأسه، وهو لا يدري أيعود إليها مرة أخرى.

بعد رجوع محمد وأبيه من صلاة العصر، توجَّه الأب مباشرة إلى داخل المنزل، وبدأ بإخراج حقائب محمد. أحسَّت الأم بقرب الرحيل، فبدأت الدموع تتساقط من عينيها. هنا دخل محمد ورأى أمه وهي تكفكف دموعها، فلم يتمالك هو الآخر نفسه، فتدحرجت قطرات من عينيه، ثم نظر إلى أمه وابتسم ابتسامة حزينة.

توجَّه محمد إلى غرفته، وبدأ يجول ببصره في أرجائها وكأنه يودع كل ذرة فيها، ويعتذر إليها عن رحيله عنها. أخذ يتحرك في أرجاء الغرفة، وكأنه لا يدري ما يريد أن يأخذه منها. بقي محمد على تلك الحالة وهو في ذهولٍ وصمتٍ حتى أطلَّ عليه والده من الباب، وقال له: هيا يا محمد فقد تأخرنا. أخذ محمد بعض الأغراض البسيطة وحقيبة يد، ثم خرج من غرفته. وجد أمه تنتظره عند باب البيت، وقد لبست جلبابها وحملت معها كيسًا صغيرًا به بعض الحلويات والمكسرات، ليتَسَلَّوا بها في الطريق.

عندما خرج محمد من المنزل وجد بعض الأقارب والأصدقاء قد جاءوا لتوديعه. كانت مفاجئة محمد عندما شاهد صديقه سالم وهو واقف بجانب السيارة التي ستقلهم للمطار. سلَّم محمد بسرعة على أقاربه الذين حضروا لتوديعه، ثم توجه بسرعة إلى صديقه سالم. كانت تبدوا على سالم علامات الحزن والحرج في الوقت نفسه؛ الحزن لفراق أعزِّ أصدقائه، والحرج من أن يكون هو السبب في جعل محمد يرحل عن بلده، ويهاجر إلى بلدٍ، ما كان يومًا ليحلم أن يعيش فيه.

عندما وقف محمد بجانب سالم، سلَّم عليه وقال له: لم يكن من داعٍ لحضورك !! تدحرجت من عينَيْ سالم بعض الدمعات وتنهَّد، ثم قال: ألهذا الحد أنت غاضبٌ عليَّ ولا تطيق رؤيتي حتى قبل سفرك؟؟ ردَّ محمد بسرعة، وكأنه يريد أن يصحح ما قاله سالم: على العكس يا سالم، فقد كنتُ في شوقٍ لرؤيتك، وكنتُ سأحزن كثيرًا لو لم أرك. لكني ما كنتُ أريدك أن تتأخر عن ذهابك للعاصمة، فأنا أعلم أنك تغادر كل أسبوع بعد عصر الجمعة مباشرة. ردَّ سالم: الحمد لله أنك لست غاضبًا عليَّ، رغم أني أعلم أني السبب في جعلك تترك وطنك وترحل إلى بلد لا تألفه. ردّ محمد: أرجوك، لا تقل ذلك، وأنا على ثقة من أن الله يدبر لي أمورًا يريد لي بها الخير إن شاء الله.

رأى سالم رضى محمد عنه، فأحبَّ أن يُدخِل السرور على قلبه، فقال له وهو يمدُّ إليه بكيس يحمله: تفضل يا محمد. هذه هدية بسيطة مني، وبعض النقود التي ربما ستحتاج إليها حال وصولك إلى أمريكا. ردَّ محمد: جزاك الله خيرًا يا سالم. أما الهدية فسآخذها، وأما النقود فقد أعطاني والدي ما فيه الكفاية، وأنت قد تحتاج إليها أكثر مني. قال سالم: بل هي لك، وأتمنى أن تقبلها كما قبلتَ مني الهدية. ثم تابع، وكأنه يمازح صديقه محمد، فقال: وإذا أردتَ أن تعيدها، فعندما تعود إلينا في القريب العاجل بإذن الله.

لم يُرِد محمد أن يدخل في جدال مع سالم، فتقبَّل منه الهدية والنقود، ثم قال له: أشكرك على الهدية والنقود، واعذرني إن أخطأتُ في حقِّك، وبإذن الله سنكون على تواصل، وأنت تعرف بريدي الإلكتروني [ملاحظة سابقة]، وسأرسل لك بإذن الله رقم هاتفي حال استقراري هناك. كذلك، فسأطلعك على ما يستجد لي. قال سالم بنبرة تنمُّ عن حزن: أسأل الله أن يوفقك ويحفظك ويعيدك إلينا سالمًا غانمًا بإذن الله.

كان أبو محمد يتابع لقاء محمد بصديقه، وعندما شاهد محمدًا يُسلِّم على سالم ناداه قائلًا: هيا يا محمد، إلا إن كنتَ تريد أن تبيت الليلة هنا. عانق محمد صديقه سالم، ثم توجَّه نحو السيارة ووجد أمه قد ركبت في الكرسي الخلفي. رفع محمد يده وسلَّم على الواقفين من أقربائه، ثم أدار رأسه نحو صديقه سالم وألاح بيده إليه، وبعدها فتح باب السيارة الأمامي، وجلس بجانب أبيه، وتحرَّكت السيارة باتجاه المطار.

عندما تحرَّكت السيارة، بادر محمد [redacted] بدعاء السفر، وأبواه يؤمِّنان على دعائه. بعد أن فرغ محمد من الدعاء، قال أبوه مباشرة: هل حملتَ معك جميع أغراضك؟ قال محمد: أظن ذلك، وإذا تذكَّرتُ شيئًا فيمكنكم أن ترسلوه لي بالبريد. قال الأب: بقي عندنا أقل من أربع ساعات، ونحتاج إلى أكثر من ساعتين للوصول إلى المطار. قال محمد: لا تقلق يا أبي، فهناك متَّسعٌ من الوقت بإذن الله.

بدأت الأم تُخرِج بعض الحلويات والمكسرات وتضعها في صحنٍ صغير، ثم ناولتها محمدًا. أخذ محمد الصحن ومدَّ يده نحو والده، فأخذ الوالد بعضًا من المكسرات في يده. قال محمد: ستتعبان كثيرًا في هذه الليلة، فنحن سنحتاج إلى حوالي ساعتين للوصول للمطار، ثم ستحتاجان إلى مثل ذلك الوقت للرجوع إلى البيت. قالت الأم: نحن سنتعب في الطريق قليلًا، ثم نصل إلى البيت وننام. أما أنتَ

(٢١)

ركب السيارة وصار يجول ببصره هنا وهناك، وكأنه يودّع كل ذرة في تلك القرية. كأنه لا يمرّ على أحد من القرية إلا ويرمقه ليسلّم عليه، وكأنهم متواطئون خرجوا جميعًا لتوديعه. كأنه فؤاده يتقطع مكمدًا على مفارقة هذا التراب الذي ولد وترعرع فيه. خاطب نفسه بحزن شديد: هل يا ترى سأرى هذه البيوت الجميلة والبساتين الخضراء والوجوه الباسمة مرة أخرى؟ لا بدّ أن كل شيء حينها سيكون قد تغيّر، وسينكرني الناس. لا بدّ أنهم سيسمعون عن سفري وما جرى لي فهل سيغفرون لي رحيلي أم سيعاتبونني كما عاتبني غيرهم، وربما اختلقوا الشائعات حولي؟

بعد تحرّك السيارة بقليل مرّوا بجانب بيت يتماى، فحدّق بهدوء في النافذة علّه يرى طل من نافذة في البيت، وربما صعدت أنفاسه وهي تلوّح له بيدها وتقول: الوداع، الوداع. لم يرها، فردّد على نفسه: لا بدّ أن الآلام غرقتني غارقة في بكائك وحزنك. اللهم فرّج عنك، اللهم فرّج عنك.

فستتعب كثيرًا؛ فالرحلة إلى أمريكا تستغرق أكثر من خمسة عشر ساعة، كما أخبرتني. قال محمد: هذا صحيح لو كانت الرحلة متواصلة، ولكنا سنهبط في لندن، ونبيت ليلة هناك ، ثم نغادر إلى أمريكا. علّق خالد بابتسامة: أما الرحلة فرحلة له لانقضاض الوجبات المريحة التي سيقدمونها له. دافعت أمه عنه بقولها: هكذا أنت لا تفكر إلا في الوجبات.

قال الأب: هل أعلمْتَ أحدًا في أمريكا بقدومك؟ قال محمد: أرسلتُ بريدًا إلكترونيًّا لمندوبَيْ شركة ميكروسوفت ووكالة ناسا، اللذان التقيا بي قبل مجيئي إلى المملكة، وعرضا عليَّ العمل عندهما. أخبرتهما بأني قرَّرتُ العودة إلى أمريكا للعمل هناك، وذكرتُ لهما بأني سأحاول الاتصال بهما حال وصولي إلى أمريكا. كذلك، فقد أرسلتُ رسائل أخرى إلى بعض أصدقائي هناك، وطلبتُ منهم أن يبحثوا لي عن سكنٍ مناسب.

[ما الحكمة من تأخير سرد هذه الترتيبات ولم تورد أيَّ تواصل بين محمد وأمريكا خلال أزمة البحث عن الوظيفة؟ ألا يمكن إضافة ذلك ولو من خلال الإنترنت وزيارة مواقع تلك الشركات؟ كذلك، ما يتعلق بصلاته مع أصدقائه فقد انقطعت بالمرة... راجع]

قال الأب: وهل حصلتَ على أيِّ ردٍّ من هؤلاء؟ قال محمد: وصلني ردٌّ من مندوب وكالة ناسا بأنهم يرحبون بعودتي إلى أمريكا، وأنهم سيكونون سعداء للتواصل معهم. أما مندوب شركة ميكروسوفت فقد ردَّ بجواب لطيف، حيث قال بأنهم سيشرعون في تجهيز مكتبي ليكون جاهزًا حال وصولي عندهم. أما بالنسبة لأصدقائي، فقد ردَّ اثنان منهم بأنهم سيأتون لاستقبالي في المطار. كذلك، فقد وعدا بالبحث لي عن شقة مناسبة، وسيحاولان تجهيزها قبل وصولي.

كانت الأم تستمع إلى كلام ابنها، وهي في قمة الغبطة والسرور، لما تسمعه من لباقة ابنها بما قام به من ترتيبات، وأيضًا بردود الآخرين عليه، والتي توحي إلى مكانة محمد بين أولئك، حتى وإن كانوا من دولة أجنبية. قالت الأم مخاطبة محمد بنبرة تنُمُّ عن سرور وإعجاب: ما شاء الله عليك يا محمد، قمتَ بكل هذا في خلال هذا الأسبوع؟، ثم تابعت مداعبة ابنها: ودَدْتُ لو آتي معك فأرى بعيني ما ستحظى به هناك من حفاوةٍ وتكريم.

قال محمد مداعبًا هو الآخر أمه: والله هذه فكرة جميلة، ما رأيُكِ أن نشتري لك تذكرة من المطار، وتسافرين معي؟ ردَّ الأب بسرعة: لا تستطرد يا محمد، فتحسب أمك أن الأمر جَدٌّ، فتوافق على

السفر معك، وتتركني [redacted] أعود وحيدًا!! قال محمد وعلامات السرور بادية عليه لما يراه من انشراح صدرَيْ والديه: يبدو يا أمي أن هناك مَن لا يطيق فراقك أكثر مني. ولكن عسى أن تتهيأ فرصة قريبة بإذن الله فتزورني سويًّا. قالت الأم بتنهُّد: عسى يا رب.

استمرت الرحلة إلى المطار، والأسرة تتجاذب أطراف الحديث، والذي كان أكثره يدور حول محمد ورحلته إلى أمريكا. كان محمد في بعض الأحيان يحاول صرف الحديث إلى أمور أخرى، كأحوال الأسرة وأخبار بلدته وغير ذلك. وما إن بقي حوالي نصف ساعة للوصول إلى المطار، بدأ الحديث يدور حول المطار ومكان الوصول وأين سيوقفون السيارة.

كان رأي محمد أن يُنزلاه عند صالة المغادرة، ويودِّعاه هناك، ثم يعودان إلى البلد مباشرة [redacted] كي لا يتأخرا في العودة. لكن والدته عارضا ذلك بشدة، حتى أن أمه قالت له: إني لن أبرح المطار حتى أشاهد طائرتك وهي تُحلِّق في الجو!! استقرَّ رأيُ الجميع على أن يوصِل الأب محمدًا وأمَّه إلى صالة المغادرة، وينزلوا الحقائب، ثم يأخذ الأب السيارة إلى المواقف ويعود إليهما.

عندما وصلوا عند صالة المغادرة، كان رجال الأمن لا يُمهِلون السيارات في المكوث طويلًا، فأسرع محمد وأنزل الحقائب، بينما نزلت الأم ومعها كيس الحلويات والمكسرات. بعد ذلك تحرَّك الأب مباشرة إلى مواقف السيارات، بينما أخذ محمد عربة وحمَّل عليها حقائبه، ثم تحرَّك بالعربة إلى داخل صالة المغادرة، وأمه تسير بجواره. وصل محمد إلى مكتب الطيران وأعطاهم جوازه وتذكرته، وبعد حوالي عشر دقائق انتهت إجراءات السفر، وأخذ محمد جوازه وبطاقة صعود الطائرة وحقيبة اليد التي سيأخذها معه في الطائرة.

[جميل أن تفتعل حوارًا حول التأشيرة وسبب السفر ومدة الإقامة]

توجَّه محمد وأمه إلى بعض الكراسي الفارغة، وجلسا ينتظران أبا محمد. بعد هنيهة جاء أبو محمد ووجدهما جالسين، فظنَّ أن ثمة مشكلة، فبادر يسأل: خيرًا إن شاء الله؟ ماذا جرى؟ قال محمد: خير والحمد لله، لقد أنهيتُ إجراءات السفر. ردَّ الأب مستغربًا: ما شاء الله، بهذه السرعة؟ قال محمد: ألم أقل لكم إن عندنا الكثير من الوقت؟؟

قالت الأم بإعجاب: ما شاء الله، ما إن وصل محمد عندهم وبدأ يرطُن معهم بالإنجليزية حتى تسابق الموظفون لتخليص أموره. قال محمد مبتسمًا: هم يقومون بذلك لكل الناس، وليس لي أنا فقط. قالت الأم: أظنهم يعرفون مَن يستحق معاملة خاصة ومَن لا يستحق. قال الأب: يبدو أن أمك يا محمد تفسِّر الآن كل شيء على أنه خدمة خاصة لك. قال محمد مداعبًا أمه: أما سمعتَ بالمثل الذي يقول: القرد في عين أمه غزال!!. ردَّ الأب: لا يا محمد، ليس إلى هذا الحدِّ. فقالت الأم: دعه يا أبا محمد. العتب عليَّ أني مولعة بحبِّه.

أحسَّ محمد أن أمه قد تأثَّرت بمقولته، فأخذ يدها فقبَّلها، ثم قال: آسف يا أمي، لقد كنتُ فقط أمزح معك. قالت الأم بابتسامة: وهل تظنُّ أني غاضبة عليك؟ قال الأب: هل أخبروك متى ستقلع الطائرة، ومتى عليكم دخول بوابة المغادرة؟ ردَّ محمد: قالوا بأنهم سيعلنون عن فتح بوابة المغادرة قبل حوالي ساعة من الإقلاع. [هذا موضح في بطاقة الدخول] نظر محمد إلى ساعته، ثم قال: وهذا يعني أنهم سيعلنون عن البدء في ذلك بعد قليل.

ما كاد محمد يُنهي كلماته حتى سمع الإعلان عن الرحلة، وأن على المسافرين إلى لندن التوجُّه إلى بوابة المغادرة. قال محمد: ها هُم يعلنون بدء دخول المسافرين، وأظنُّ أنه قد حان الوقت لي للذهاب. قالت الأم: ألا تجلس قليلًا، فلا أظنُّ أنهم سيذهبون بدونك؟ قال محمد: ليس الأمر كذلك، ولكن أُفضِّل أن أسبق الركاب للدخول لكي لا أحصل على زحام عند الركوب أو في الطائرة. قال الأب: دعيه يا أم محمد، فمهما بقي بيننا فسنحسُّ أن الوقت يطير بسرعة.

مدَّ محمد يده ليصافح أباه، ثم عانقه، وقال لأبيه، وأبوه يضمُّه إلى صدره بقوة: سامحني يا أبي، وأسألك أن لا تنساني من دعائك. قال الأب، وهما ما زالا متعانقين: مسموحٌ يا ولدي، وخذ بالك من نفسك، وإن احتجتَ أيَّ شيءٍ فلا تتردَّد في الاتصال بنا. قال محمد: سأفعل بإذن الله. عندها قال الأب: أستودعك الله دينك وأمانتك وخواتيم أعمالك، اللهم اصحبه في سفره، واطوِ عنه البعد، وقِهِ وعثاءَ السفر. قال محمد: آمين يا رب. عندها، أرخى الأب يديه، فأرخى محمد هو الآخر يديه.

بعدها توجَّه محمد إلى أمه وعانقها، ثم قال لها: وأنتِ أيضًا سامحيني يا أماه، وتذكَّريني دومًا في دعائك. لم تستطع الأم الرد، وإنما عبَّرت عن مشاعرها بأن ضمَّت محمدًا إلى صدرها بقوة، وبعد

(X1) قضى محمد وأسرته وسط الفترة المتبقية في الإجابة على الأسئلة التي أثارها الحديث عن مخاطر السفر الرحلة، ثم تحوّل إلى الحديث عن المطار وإمكاناته الواضحة مقارنة بمطارات العالم. أما حسنية وأمل فقد انشغلا في الحديث عما جرى في بيت زوجها وما آل إليه الحال من السجن إلى العاصفة والبقاء في شقة سالم لحين تهدأ الأمور، أما خالد فظل يوثق اللحظات الأخيرة بالصور المتحركة، وأحيانًا يلتقط صورًا ليوسف وأروى وهما يجريان في صالة المطار.

(X2) قام محمد وقال: أظن أنه الوقت قد حان. عندها قام الجميع وبدأت نبضات القلب تتزايد، وأحس محمد بلحظات خانقة لم تمرّ عليه من قبل. إنه هذا الوداع قد يكون الأخير بينه وبين أهله، ولا يدري هل سيكتب الله فرصة أخرى له للعودة إلى وطنه.

فترة طالت أرخت يديها، ثم مسحت دموعها وقالت: يحفظك الله يا حبيبي، ولا تنسى أن تخبرنا عندما تصل. قال محمد بنبرة حزينة: سأفعل بإذن الله.

أخذ محمد حقيبته، واتجه صوب بوابة المغادرة وهو يلتفت إلى والديه، ويقول لهما: السلام عليكم، فردَّا: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. وما إن بدأ محمد يتحرَّك حتى تذكرت الأم كيس الحلويات والمكسرات الذي بيدها، فنادته: محمد.. محمد. التفت محمد إلى أمه، فرآها ترفع الكيس في يدها وتشير به إليه. عاد نحوها خطوات، فقالت له: خذ ما بقي من الحلويات والمكسرات لتتسلَّى بها في الطائرة. قال محمد: دعيها يا أمي، فالرحلة أمامكم طويلة، وستحتاجون إلى هذه المكسرات لتتسلَّوا أنتم بها في الطريق. قالت الأم: لا، بل خذها أنت. فتناول محمد الكيس من أمه وشكرها، ثم قال: والآن يمكنكما الرجوع لكي لا تتأخرا في الوصول.

سار محمد باتجاه بوابة المغادرة، وهو بين الحين والآخر يلتفت إلى والديه فيراهما متسمِّرَيْن في مكانهما إلى أن اختفى محمد عن ناظريهما، فتحرَّكا خارجَيْن من صالة المغادرة بخطىً متثاقلة، والأم بين الحين والآخر تمسح الدموع من وجنتيها.

وصل محمد إلى بوابة المغادرة، وانتظر قليلًا في قاعة الانتظار، ثم فُتِحَت البوابة، وركب محمد الطائرة. أما والداه، فإنهما مشيا إلى موقف السيارة وقفلا راجعَيْن إلى البلد. وقد كان الوجوم يُخيِّم عليهما معظم الطريق، رغم أن والد محمد كان بين الحين والآخر يحاول فتح موضوع عامين للتحدُّث فيه، ولكن زوجته كانت تردُّ بكلمات مقتضبة، ثم يسكتان. استمرَّ الحال إلى أن وصلا إلى المنزل في حوالي العاشرة مساء.

[أرجوك أضف ما يعكس مشاعر محمد لفراق بلده، وحاجته للسفر، ما سيسببه لوالديه من شوق...]

في الطائرة، قرأ محمد دعاء الركوب والسفر، ثم أخرج مصحفه من جيبه وبدأ يقرأ شيئًا من القرآن. بعد حوالي نصف ساعة أقلعت الطائرة، وما إن استقرَّت في الجوِّ حتى بدأ المضيفون بتقديم وجبة عشاء. بعد وجبة العشاء أُطفئَت أنوار الطائرة، وبدؤوا بعرض أحد الأفلام الغربية. استغلَّ محمد الفرصة لأخذ قسطٍ من النوم، فقد كان يحسُّ ببعض الإرهاق.

(X1) عانق أبواه عناقاً حاراً، حتى إنه كاد يتمنى أن تطول تلك اللحظات لعناق وساعات. قبّل يديهما، وطلب منهما الصفح عما بدر منه تجاههما من تقصير، ودعا لهما الدعاء له، بعدها ودع أخته وهي تبكي، فأثّر عليه منظرها فانسكبت من عينيه بعض الدموع. استأنف أن يذكرا شيئاً في حضرة أخيهما، فقال للموارنا: سلّمي على الأهل. جاد دور خالد وأروى، فقبّل خدّ أروى، ثم قال لهما: احتراساً في الدراسة، وكونا مثل حسنة وخالد، فردّت أروى بضحكة: أنا أريد أن أكون مثلك. ضحك إليه، ثم قبّل رأسه.

وعانقه عمّه

وخرج المتاع، توجّه إبراهيم سالم إلى سائق سيارة الأجرة، وقال له: إلى المطار، تحرّكت السيارة من مبنى سالم ثم انطلقت بسرعة متعثرة، وأنا كذلك. بقيا متعانقين لفترة ولا يدريان ما يقولان. أخرجه من الآخر بعد بعض الوقت للتجهز، وكنت أفقد السفر. تنفس سالم الصعداء وكأنه شعر بالراحة من عبء ثقيل، وذهب إلى غرفته، فأخذ يتصل بأصدقائه ليخبرهم بأنه قرر العودة إلى أمريكا لمواصلة الدراسة. فرح سالم أصدقاؤه بالإياب، وتم تعانقا مرة أخرى.

(X2) عندما وصل إلى مكتب الجوازات لإنهاء إجراءات المغادرة، وسلّم الجواز وبطاقة الطائرة إلى الموظف، شاهد محمد الموظف يقلب الجواز، فبدأ القلق يسري فيما قد وصلتهم أوامر من القدر الرباني بمنعه من السفر. سأله الموظف: والغرض من الرحلة؟ سأل الموظف، فأجاب: الدراسة.

- ما درجة الدراسة؟ في أي جامعة؟ وما تخصص؟
- علوم الفضاء.
- تخصص غريب. وفي أي جامعة؟
- جامعة هارفارد.
- جامعة عريقة، هل قبلت عندك؟ قبول مبدئي؟
- نعم، ولم يطرح من حقيبته رسالة القبول من الجامعة، فنظر إليها الموظف.
- لكن رحلتك إلى لندن؟
- نعم، مجرد ترانزيت ثم أواصل إلى أمريكا.
- ومتى العودة؟

اضطرب محمد، فخاف أن يخبره بقراره، فقال له: لوحلة

- حسب الظروف، ومدة الدراسة الماجستير هي حوالي سنتين فقط.

فبدو أن الموظف لم يجد شيئاً آخر في له، فختم الجواز، ثم سلمه إياه، وقال له بابتسامة: رحلة سعيدة، فردّ عليه: آمين، وشكره الله.

فعانقه عمّه وقال له: هنيئاً لقد هرت تحيته البيت تحذيراً من أبويك. لا تفكر في ذلك، وردّ خالد وأنا أكون بإذن الله على حسن ظنك. أمسك بكفيه وهزها قليلاً ليؤكد تعهده، انتقل بعد ذلك إلى

الأخوان في قلبي والديه بمعنى تضافرت لكي لا يشيء

N6

تمر لحظات وهي تتحير أمامه جرة والديه وإخوته وفي الوجوم والحزن تقفي وجوههم
ويرى الأسماك تسبح من مقلتيه فلا يتمالك نفسه ثم يعود أمامه
وقد وضعت يديها على خديها وهي تبكي بكاء مرًّا على فراقه
ثم يتصور وهي
وطلبت منه أن ينسى ما طلبته منها
وتنطبع في ذهنه صورة أخرى
فيبكي بكاءً مرًّا ويذهل عن نفسه
وهي تنظر إليه
وتتحول إلى
الخيالة التي تخافها

التي خدعته بوهم الحب ثم يتصورها وهي تفعل ذلك إلى أن
فيسمع ضحكاتها وتوكيد
وهي تسخر منه
وتؤكد له
عندما
رجاءه عقلها ويعد نظرها
وتتحول
فيتذكر حياته الماضية
ويتذكر حياة أبيه
ويتذكر حياة أبيه
ويتذكر حياة أبيه

تتعلل بالطموح والاستقامة وغيرها من الأكاذيب التي لا محالة أنه سيدخله في نار جهنم، بلى بكاءً شديدًا طالما.

N7 صرخ في أعماقه: إلهي.. إلهي.. ارحمني يا إلهي.. لا تعذبني يا رب.. اللهم إني صنعت عظيم، فاصنع عني.. اللهم يا رب أزل ما في قلوبهم من أحقاد وضغائن ضدي.. أرجوك يا إلهي، لا تجعل شيماء تختار مشاعرها نحوي من حبٍّ إلى عداء؟ <NP7

بدأت نفسه تهدأ قليلًا، ولكنه سرعان ما تصوَّر وجه سالم وهو يقهقه عاليًا على صوت ويصرخ: ياغبي.. لقد ضحكت عليك، يا ساذج.. لقد عرفتك كيف أوقعك في الصبائك لكي أبعدك عن شيماء.. لن تنالها أبدًا.

N8 فبكى بكاءً شديدًا، ثم خاطبه بحرقة: أهذه عاقبة الصداقة التي ترعرعنا عليها وعشنا سنينًا طويلة كأعز صديقين، بل أخوين؟ ماذا دهاك لتنقلب ضدي وتعاديني؟

N9 صرخ وها أنا وطني طريدًا مشردًا!! سامحك الله يا سالم.. اللهم سامحه.. اللهم إني عفوت عنه، فاعف أنت عنه.. اللهم إنه كان خليلًا كما ذلك حقًا من أجلي فأنبته عليه، وإنه كان غير ذلك فسامحه. <NP7

N10 بطانية، فالتحف بها وأسند رأسه بيديه الكريمتين والتافهتين، وأخذ يبكي نحيبًا شديدًا، ولكنه كان يعاني نفسه لكي لا يسمعه من حوله. بعد وجبة العشاء، أطفئت أنوار الطابق، وبدءوا يعوون فيما بينهم كالذئاب في حين كان هو يبكي بصمت.

N11 وظل على هذا الحال حتى الصباح، حيث استيقظ الجميع على صوت أذان الفجر، وتوضأ وصلى الفجر، وبعد الصلاة جلس يقرأ القرآن بصوت عالٍ، وكان يبكي بكاءً شديدًا، وكان يقرأ سورة يوسف، وعندما وصل إلى الآية التي تقول: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: 86]، انهار تمامًا وبكى بكاءً شديدًا، وكان يبكي بكاءً شديدًا، وكان يبكي بكاءً شديدًا، وكان يبكي

قبل وصول الطائرة إلى مطار هيثرو في لندن، قام مضيفو الطائرة بتقديم وجبة إفطار. وصلت الطائرة في حوالي السادسة والنصف صباحًا بتوقيت لندن. أنهى محمد إجراءات الخروج من المطار، وحصل على تأشيرة مؤقتة لمدة ٢٤ ساعة. بعدها توجَّه إلى أحد الفنادق القريبة من المطار. عندما وصل محمد إلى الفندق، وحصل على غرفة فيه، كان أول ما قام به أن اتصل بوالده وأخبره أنه وصل إلى لندن سالمًا، وأخبره أن الرحلة كانت مريحة وممتعة.

ما إن سمعت الأم زوجها وهو يتحدَّث إلى محمد حتى أسرعت نحوه، وأشارت إليه بأنها تريد أن تكلم محمدًا. تناولت الأم السماعة، وبدأت في البكاء، ثم قالت: كيف أنت يا حبيبي؟ قال محمد: الحمد لله، لقد كانت رحلة ممتعة، وأنا الآن في فندق في لندن، وسأبقى هنا إلى صباح غدٍ بإذن الله، حيث سأغادر إلى أمريكا. قالت: هل التقيتَ في الطائرة بأحد تعرفه؟ قال محمد: سافر معي بعض الطلاب، ولكن لا أدري إن كانوا سيستقلون معي غدًا نفس الرحلة.

لاحظت الأم أن زوجها يشير إليها أن لا تطيل في الحديث، فقالت بسرعة: هل تريد شيئًا نرسله إليك؟ قال محمد: عندما أصل إلى أمريكا فسأتصل بكم بإذن الله، وعندئذٍ إن احتجتُ شيئًا فسأخبركم به. قالت الأم: إلى اللقاء يا حبيبي. ردَّ محمد: إلى اللقاء يا أمي. ناولت الأم السماعة إلى زوجها، فقال الأب: لقد أطلنا عليك، ولكن سننتظر اتصالك عندما تصل إلى أمريكا. قال محمد: بإذن الله. استودعكم الله. ردَّ الأب: في حفظ الله ورعايته، ثم أغلق السماعة، فأغلق محمد سماعته. بعدها عاد محمد إلى سريره، فنام بضع ساعات. بعدها قضى بقية يومه في قراءة كتاب كان قد اصطحبه معه في الطائرة.

بات محمدٌ ليلته في ذلك الفندق، وفي صباح اليوم التالي عاد إلى المطار، ليغادر إلى أمريكا في التاسعة صباحًا. استغرقت الرحلة من لندن إلى واشنطن حوالي سبع ساعات، حيث وصلت إلى مطار واشنطن في حوالي الواحدة ظهرًا.

الفصل السابع

الوصول إلى أمريكا والصعود إلى القمة

قضى محمد الرحلة من لندن إلى واشنطن في تكملة الكتاب الذي كان يقرأه، وفي كتابة بعض الخواطر حول رحلته وما يتوقعه منها. وبعد وصوله إلى مطار دالاس الدولي في واشنطن، كان عليه أن يستلم حقائبه، ثم ينتقل إلى مطار رونالد ريجان للرحلات الداخلية، ليواصل رحلته إلى مدينة بوسطن في ولاية ماستشوست.

عندما أعلن قبطان الطائرة عن بدء النزول في مطار بوسطن، أخذ محمد يفكر في صاحبَيْه اللذَيْن راسلهما ووعداه بأن يستقبلاه في المطار، ووضع خطة لنفسه بعد نزوله من الطائرة. كان يرى أن يحاول أولًا البحث عن صديقيه، فإذا وجد أحدهما ذهب معه، وإلا استأجر سيارة، ثم توجَّه إلى أحد الفنادق القريبة من المطار.

عندما وصلت الطائرة، وبدأ الركاب في الخروج من الطائرة، حمل محمد حقيبة اليد التي كان قد اصطحبها معه في الطائرة، ثم مشى باتجاه باب الطائرة. وما إن خرج محمد من باب الطائرة حتى رأى شخصًا واقفًا، وعليه بدلة أنيقة، ويرفع بيده لائحة صغيرة مكتوب عليها اسم محمد بالكامل باللغة الإنجليزية.

اقترب محمد من الشخص، وعرَّف نفسه له، فأنزل ذلك الشخص لافتته، ثم رحَّب بمحمد وهنَّأه على سلامة الوصول إلى أمريكا، قائلا: الحمد لله على سلامتك، وأهلًا وسهلًا بك في أمريكا. تناول الشخص الحقيبة من يد محمد، ثم قال له: أنا اسمي دافيد وليامز، وهناك بعض الأشخاص ينتظروننا في المطار، وأنا جئتُ لآخذك إلى هناك.

مشى دافيد، ومشى محمد خلفه، وبقي محمد يسائل نفسه عمَّن يكون هذا الشخص، ومَن هم الأشخاص الذين ينتظرونه؟ سبح محمد بفكره وهو يحاول الحصول على إجابة على تساؤلاته، وأخذه فكره إلى مقابلة جلالة الملك والعرض الذي حصل عليه، فخاف أن يكون المسؤولون في

وقفت حسنة أمام مثل هذا الأسلوب فديتي وشيماء لتغيّر قرارها ولكنها صُدمت عندما أجابتها: حتى لو فعل ذلك فلن تتغيّر حتى له، بل ~~[illegible]~~ وشاورت الله أن يوفقه ويبارك له في زواجه وذريته!! فاطلقت حسنة ضحكة: وماذا عليك أنتِ؟ زدتِ عليّ بلهوة تنمّ عن وَلَهٍ بمحمد وحُبٍّ تغرّ له: سيظلّ عليّ متعلقًا به يا أمي أفارق الحياة إذا رأت حسنة أمها لا جدوى من محاولة إقناع شيماء الأمر، ولكنها حين تصوّرها- ما إن تمرّ الأشهر والسنوات حتى تخبو جذوة الحبّ من قلبها وحينئذٍ لن تجد مشاكل الرفض بالزواج من أحد شخص آخر- يعوّل على محمد.

صمتت قليلًا ثم قالت لها: سيدة أمام الحب الذي يملأ قلبك فوق ما يتصوره البشر وقد أمد ~~[illegible]~~ تعجّل الله بالفرج لمحمد فيتحقق حلمكما، لم تجب شيماء بشيء وتابعت حسنة: أرى من الأفضل أن أتصل بسام ليأتي فإني لا أشعر برغبة لمواصلة محاضرات اليوم. أخرجت هاتفها ~~[illegible]~~ وحاولت الاتصال به، ولكنه ~~[illegible]~~ لا يتعذر الاتصال به عشرات المرات

~~عندما قالت لشيماء:~~

بدأ القلق يدبّ في نفسها وخافت أن يكون قد حصل له مكروه، طلبت من شيماء أن تحاول الاتصال به فعلت ولكنها هاتفه غير متاح، ملأ الرعب قلبها، لا أدري ما الذي يمنعه عن الاتصال بي؟ ثم التفتت إلى شيماء:

لا أريد العودة إلى المنزل بمفردي، ردّت شيماء قائلة: سرحة ما وقع بسام وأنا معك.

صمتت قليلًا ثم تابعت: ولكني سأذهب إلى بيت أهلي: فرحبت العودة معي.

(N2) بعد تناول العشاء استأذنه محمد الانطلاق فقاده يشعر بإعياء كبير ولا زالت به الحمّى المتوسطة تسيطر على قلبه. كان محمد قد أخبره بأنه استأجر له شقة صغيرة قريبة من الجامعة وفي الوقت نفسه لا يبعد كثيرًا عن المركز الإسلامي. أوصله إلى الشقة وأنزل له الحقائب ثم انصرف عنه. وجدانها قد أوصلا إليها كافة الأغراض حتى الرباط.

(N3) تعجب من ذلك وقال له: وهل أمك موجودة؟ فردّ عليه: نعم ثم سمعته ينادي عليها: يا أمي، انفرت تبكي وهي تقول: ~~[illegible]~~ أين كنت يا ولدي؟ لم يتمالك نفسه فبكى هو الآخر ~~[illegible]~~ ثم قال لها: الحمد لله أنا الآن في أمريكا، لم تمهله حتى قال له بصوت يخالطه البكاء ~~[illegible]~~ أبوك لم يرجع من عمله اليوم وأنا قلقة عليه! بيان الوساوس تخامر نفسه وخاف أن يكون قد أصابه مكروه، لم يشأ أن يخبرها بأنه حاول الاتصال به ولكنه لم يردّ حتى لا يزيد من قلقها عليه، قال لها: لا تقلقي يا أمي وأخبرها أنه سيتصل بأبيه لاحقًا.

(N4)

N30 - مؤتمر صحفي !!! ماذا يعني أن أقول عليه ؟!!
- هذا ليس عاديًا في المملة ، تم عمل الأحداث التي وقعت لك هنا !!
- ولماذا لا تتكلمون أنتم وضابط الأفاعي . آي الإجابة على الأسئلة ، فعندكم كل المعلومات ؟!!
- هؤلاء يبحثون عن الحقيقة من مصدرها الأصلي ، وأنت الشخص المعني بذلك !!
تم أراد أن يطمئنك ويهدئ من قلقه ، فقال له :
- وعلى كل حال ، ~~لك~~ فستحدد وقته بأحوالي نصف ساعة .
رأى محمد أنه لا خير عليه في رفض هذه التجربة ، فقد تكسبه مهارات جديدة ، وقد يفتح الله عليه من خلال أمورًا خافية عليه .
ردّ بعد صمت قليل :
- لا بأس ، ولكن متى سيكون ؟ وأين سينعقد ؟
- للتسجيل عليك ، فسنجعله ~~في~~ بوسطن . وما رأيك أن يكون في الرابعة عصرًا ؟ غدًا
من غاوي الفر
فكّر قليلًا ، ثم أجابه :
- ~~لا~~ جيد . وما هو المطلوب مني ؟
- لا شيء ، سوى ارتداء بدلة أنيقة .
ردّ عليه مازحًا :
- اتفقنا .

* * *

قضى محمد اليوم التالي في قلق من الأسئلة التي عليه أن تلقى عليه ، وكيف عليه أن يجيب عليها بطريقة دبلوماسية ، تنزع فتيل الموقف - سبحانه - أن يقع عليه من فصاحة اللسان ، وحسن الأسلوب ، ~~والحكمة في الموعظة~~ ورجاحة العقل ما يمكّنه من الإجابة على تساؤلات الطبيب النفسي بطريقة لبقة . ~~CNPZ~~
جميل الثالثة بقليل ليس ببدلة ، وطلع هناك ، ثم أخذ سيارة إلى مقر حكومة الولاية . وصل إلى هناك في الرابعة إلا ربع . عندما دخل المبنى ، اتجه إلى الاستقبال ، وأخبر الموظف أنه جاء للمؤتمر الصحفي . طلب منه الموظف الانتظار للحظات ، ثم بعد بالساعة والتقى شخص . بعد أقل من دقيقة جاء الشخص ، N31 بدلة أنيقة
ما جرى له قد انتشر

~~N32~~ عاد إلى شقته ، وتوضأ ثم توجه إلى المسجد . وجد أنه أخبار ~~المؤتمر الصحفي~~ ~~في~~ هناك ، واستقبل العديد من أصدقائه الطلبة ، وبعض أصحابه من رُوّاد المسجد ، وهم ~~يهنئونه~~ على سلامته ، وبدأ لهم أنه يقص عليهم تفاصيل ما جرى . اتفق مع إمام المسجد أنه يعقد جلسة يشرح فيها للجميع تفاصيل الأحداث التي مرّت به . وفعلًا ، أعلن (xoxo) بعد انتهاء الصلاة عن هذه الجلسة . بقي معظم المصلين في المسجد بعد الصلاة ، وقدّم لهم محمد شرحًا وافيًا عن كل الأحداث التي مرّت به . أثارت قصته دهشة كبيرة في نفوسهم ، ثم إجلالًا له وتعظيمًا لشأنه لما سمعوه من صدق حديثه ، وكبر في نفوسهم كثيرًا .

يتم تغيير مركز أبحاث الفضاء في جامعة هارفارد إلى مركز ستيفنيان للفيزياء الفلكية

الديوان الملكي قد علموا بسفره، وأنهم رتَّبوا مع السلطات الأمريكية للقبض عليه وإعادته إلى بلده. استولت هذه الفكرة على مشاعره، وحاول أن يفكر في إجابات لما يمكن أن يُطرَح عليه من أسئلة.

لم يلبث محمد طويلًا في مشاعره الممتزجة بالقلق والخوف، حتى أدار دافيد رأسه إليه، وقال له: لقد وصلنا. اتجه دافيد صوب باب مفتوح، وتبعه محمد. وما إن دخل محمد من الباب حتى وجد مفاجأة ما كان يتوقعها أبدًا. لقد وجد في انتظاره مندوبَيْ وكالة ناسا وشركة ميكروسوفت، بالإضافة إلى مندوب من جامعة هارفارد، ووجد قاعة كبيرة مليئة بحشدٍ من الناس، خمَّن محمد أنهم صحفيون، حيث شاهد الكثير من الكاميرات المتوزعة في القاعة، وشاهد منصة وبها العديد من الميكروفونات. ما إن دخل محمد الباب حتى تقدَّم إليه المندوبون الثلاثة، وسلَّموا عليه، وهنئووه على سلامة الوصول. بدأ الحديث معه مندوب وكالة ناسا، فقال: لقد سُعِدنا كثيرًا بقرارك للقدوم إلى أمريكا، فأحببنا أن نحتفل بقدومك، ولكن الخبر انتشر إلى بعض الصحف ووكالات الأنباء، فأَلحُّوا على عقد مؤتمر صحفي معك.

قال محمد بلهجته الفصيحة وأسلوبه المهذَّب: أشكر لكم سيدي ما قمتم به، ولو أني لا أستحق كل هذا. أما عن المؤتمر الصحفي، فماذا عسى مثلي أن يقول فيه؟ قال مندوب شركة ميكروسوفت: لقد أثار قرارك المفاجئ للعودة إلى أمريكا هؤلاء الصحفيين، وخاصة بعد أن كنتَ من قبل مُصِرًّا على العودة إلى بلدك والعمل هناك. وعلى كل حال، فلن تطول فترة بقائنا هنا. عندها، أشار محمد برأسه بالموافقة، واتجه صوب المنصة.

ما إن جلس محمد على كرسيه، حتى أتاه مندوب وكالة ناسا، وهو يحمل هاتفه النقال في يده، وقدَّمه إلى محمد، وهو يقول له: سيادة الرئيس الأمريكي على الخط، وهو يريد أن يهنئك بقدومك إلى أمريكا. تناول محمد الهاتف، ثم وضعه على أذنه وقال: مرحبًا سيدي الرئيس. ردَّ الرئيس الأمريكي: الحمد لله على سلامة وصولك يا محمد، وإننا سعداء بقرارك للعودة إلى أمريكا، وقد كان بِودِّي الحضور للقائك والتسليم عليك، ولكن كما تعرف؛ فمشاغل البيت الأبيض لا تترك للواحد منا فرصة. [هل تقصد هذه المبالغة أم أنها جاءت عفوية — عمومًا لا أتفق معك بشأنها... ولك القرار.

لم لا تجعل المتصل مستشار الرئيس لشؤون الفضاء فسيكون أكثر قبولًا وعمليًّا]

لم يصدِّق محمد ما يسمعه، فتردَّد فيما يقوله للرئيس، فصمت قليلًا، ثم قال: أشكرك كثيرًا سيدي على هذه اللطافة منك، وإني أعلم أني لا أستحق كل هذا التقدير والاحترام من قِبَل سيادتكم. قال الرئيس: على العكس، فأنت أحد أبنائنا، ونحن فخورون بك، ولقد أوصيتُ السادة المندوبين هناك بأن يُسهِّلوا لك أمور الإقامة والعمل، وأيضًا أخبرتهم بأن يعطوك رقمي الخاص المباشر، وبإمكانك الاتصال بي في أيِّ وقت. قال محمد بتلعثم: يا سيدي، هذا كثير. قاطعه الرئيس، وقال له: أنت تستحق كل هذا وأكثر، وسأتركك الآن لتستمتع بالمؤتمر الصحفي. ردَّ محمد: شكرًا لك سيدي، ثم ناول الهاتف إلى مندوب وكالة ناسا.

جلس محمد على المنصة، بينما جلس مندوبو ناسا وميكروسوفت وهارفارد في الكراسي المخصصة لهم في الصف الأمامي من القاعة. قام أحد الحاضرين، والذي كان يحمل ميكروفونًا في يده، وتقدَّم جهة المنصة ووقف بجانب محمد، وأحنى رأسه كتحية لمحمد، ثم قال: مساء الخير. أشكر لكم حضوركم، وإني أعلم أنكم جميعًا تتوقون لتسمعوا من هذا الفتى النجيب [غير مناسبة، ماذا لو كتبتها بالإنجليزي] والضيف العزيز، وتتحاوروا معه. وقبل أن أفتح المجال لأسئلتكم، أُعطي محمدًا مدة عشر دقائق ليُخبرنا عن رحلته إلى بلده، وعن قرار عودته إلى أمريكا، ثم عمَّا ينوي تحقيقه في المستقبل.

أشار الرجل إلى محمد بأن يبدأ، فبدأ محمد بتحية الحاضرين، وشكرهم على اهتمامهم به. بعدها، بدأ يسرُد بشيءٍ من الإيجاز رحلته إلى بلده، وقد حرص على عدم الدخول في تفاصيل ما جرى له لكي لا تزِلَّ لسانه، فيسيء إلى أحدٍ في بلده. وقد كان مما قاله: بعد أن وصلتُ إلى بلدي، حاولتُ البحث عن فرصة عمل مناسبة، فحصلتُ على العديد من العروض، ولكنها جميعًا لم تكن مغرية لي، ولم يكن الأمر يتعلق بالراتب، ولكن بممارسة ما تعلَّمتُ في دراستي، وخاصة فيما يتعلَّق بعلوم الفضاء. عندها، رأيتُ من الأفضل أن آتي إلى هنا وأُكمِل دراستي، وفي الوقت نفسه أبحث عن عمل مناسب.

أما عن طموحاته وخططه المستقبلية، فلم يكن يرغب في أن يبوح بكل ما في قلبه من طموحات وأحلام، ولذا كان حديثه في هذا الجانب مقتضَبًا أيضًا. قال محمد: أما فيما يخصُّ خططي المستقبلية، فإني أُحِسُّ أني بحاجة إلى مزيد تعمُّق في دراسة علوم الفضاء، ولذا فإني أنوي مواصلة الماجستير والدكتوراه. [أين أجد الإشارة إلى أنها دراسة الماجستير.. من الجميل أن تسلِّط الضوء

- ولقد عودتنا هنا وقفت بك بعض الأحداث ، ولكنه بحمد الله تعالى
قام عليها المسؤولون بها بما يحقق لتجاوزها ، فلهم منا جزيل الشكر .

عليها قليلًا. كذلك، فسأحاول الحصول على فرصة عمل أستطيع من خلالها ممارسة وتطبيق ما أتعلمه. وبعد الانتهاء من الدكتوراه، سأكون حينها في وضعٍ أفضل لتحديد خطتي التالية.

لم تطُل كلمة محمد كثيرًا، وإنما أوجَز في إجابته على ما اقترحه المقدِّم، لكنه لم ينسَ في نهاية حديثه أن يشكر وكالة ناسا وشركة ميكروسوفت وجامعة هارفارد، وأيضًا وكالات الأنباء والصحفيين، على حفاوتهم البالغة واهتمامهم الذي فاق التخيُّل، على حدِّ تعبير محمد.

بعد أن أكمل محمد كلمته، جاء المقدِّم وأمسك أمسك المقدِّم بالميكروفون، وقال: نشكر محمدًا على هذه الكلمة الموجزة والمحشُوَّة بالمعاني المثيرة. والآن نفتح المجال لأسئلتكم، ونأمل أن تكون مقتضبة وتتعلق بما تطرق إليه محمد في مقدمته. وأرجو كذلك أن يُعرِّف الشخص بنفسه، ثم يُلقي سؤاله بصوتٍ مسموع وواضح.

رفع الجميع أياديهم وهم يستأذنون في طرح أسئلتهم، فأشار المقدِّم إلى امرأة كانت تجلس في الصف الثاني في القاعة. أمسكت المرأة بالميكروفون، ثم قالت: تريسا وايت، مراسلة CNN. عزيزي الشاب: قليلٌ من الناس في مثل سنِّك مَن يحظى بمثل هذا التقدير والاهتمام من أكبر دول العالم. عندما سمع محمد هذا الكلام أطرق رأسه، وكأنه يقول لها بأن ما قالته هو أكثر مما يستحقه. تابعت الصحفية سؤالها، فقالت: وسؤالي هو: إذا كنتَ بمثل هذه المنزلة، فلماذا فرَّط فيك مسؤولوا [أم مسؤولو بدون ألف، حيث إنها تسقط بسبب الإضافة] الحكومة وكبار الشركات والمؤسسات في بلدك؟!!

نزل هذا السؤال على محمد كالصاعقة، فماذا عساه أن يقول؟ أيُفرِّج عمَّا هو مكنون في نفسه من تأوُّهات، ويُفضي للحاضرين بكل ما في قلبه، حتى وإن كان فيه تصريحٌ بما جرى له مع وزير الخدمة المدنية وجلالة الملك؟ فكَّر محمد قليلًا، ثم رأى أنه ليس من المناسب أن يفعل ذلك. بعد صمتٍ قليل، أجاب: لقد ذكرتُ في كلمتي السابقة أني حصلتُ على العديد من العروض من مؤسسات حكومية وخاصة، ولكنها لم تناسبني لعدم ملائمة بيئة العمل في تلك المؤسسات لطبيعة تخصُّصي ورغباتي الخاصة.

عندما صمتَ محمد، عرف الصحفيون أن محمدًا قد انتهى من إجابته، فمدَّ الصحفيون أياديهم مرة أخرى. أشار المقدِّم هذه المرة إلى رجل كان يجلس في الصف الثاني أيضًا. أمسك الرجل بالميكروفون، ثم قال: ستيف بوس، ABC. سيِّدي، نحن نعلم أن دُوَلَكم تمتلك من الثروات الشيء الكثير، وسؤالي: إذا كانت الظروف ما زالت غير مهيئة في بلدك لممارسة تخصُّصك، والذي هو علوم الفضاء، فهل حاولتَ إقناع المسؤولين عندكم للاهتمام بهذا الجانب؟

لم يكن هذا السؤال بأهوَن من سابقه، فقال محمد في نفسه: يبدو أن هؤلاء لن يتركوني حتى أسبَّ بلدي وحكومتي. لكن محمدًا بلباقته استطاع أن يُحوِّر إجابته بحيث لا يخالطها شيءٌ مما تخوَّف من الإفصاح عنه. قال محمد: الحقيقة، أني قد قصَّرتُ في هذا الجانب، رغم علمي بأن بلدي قد بدأت فعلًا خطوات حثيثة في اللحوق بالدول المتقدمة. وأظنُّ أني ما زلتُ- علميًّا ووظيفيًّا- دون المستوى الذي يُمكِّنني من البدء في إيجاد مشاريع تنموية تخدم هذا الجانب.

صمتَ محمد قليلًا، فارتفعت أيادي الصحفيين من جديد، فأشار المقدِّم إلى شخصٍ يجلس في الصف الخلفي، وتبدو عليه ملامح عربية. أمسك الرجل بالميكروفون، ثم قال: محمد يونس، قناة الجزيرة. الأستاذ محمد: كم نحن العرب والمسلمون فخورون بك وبأمثالك، وسؤالي: إذا كنتَ لم تحصل على فرصة عمل مناسبة في بلدك، فلماذا لم تذهب إلى أيِّ بلدٍ إسلامي آخر، ولماذا فضَّلتَ المجيء إلى أمريكا؟

أثار هذا السؤال في نفس محمد الكثير من التأوُّهات، فإلى أيِّ بلدٍ سيذهب؟ وما هي البلدان الإسلامية التي تهتم بعلوم الفضاء، أو باحتضان ورعاية المواهب والكوادر الناشئة؟ أطرق محمد رأسه قليلًا، ثم قال بلباقته المعهودة: الحقيقة، أني لم أزُر أيًّا من البلدان الإسلامية الأخرى، ولا أعرف عن الفرص المتوفرة فيها، وخاصة المتعلقة بعلوم الفضاء، وإني آمَل أن تسنح لي الفرصة أثناء دراستي هنا في أمريكا لأن أقوم ببعض الدراسات عن وضع علوم الفضاء في الدول الإسلامية.

عندما صمتَ محمد، أمسك المقدِّم الميكروفون، وقال: لم تبق عندنا إلا حوالي عشر دقائق، وسنكتفي بسؤالين فقط، وأرجو من السائلَيْن ومن محمد أن يوجِزوا في حديثهم. ارتفعت أيادي الصحفيين من جديد، فأشار المقدِّم إلى امرأة تجلس في منتصف القاعة. قامت المرأة وأمسكت بالميكروفون، ثم قالت: يارا سَن شاين، مجلة تايم. عزيزي محمد: لقد عُدْتَ إلى أمريكا وفي نيتك

الدراسة والعمل، كما أخبرتَنا. وسؤالي: هل حصلتَ سابقًا على عروض عمل من أيِّ مؤسسة هنا في أمريكا؟

تردَّد محمد أولًا، حيث لم يشأ أن يُخبِر عن العروض التي تلقاها من ناسا وميكروسوفت، قبل عودته إلى بلده، لألا يُحرِجَهما. كذلك، فلو أنكر فربما تكون الأخبار حول تلك العروض قد تسرَّبت للصحفيين. لذا، فقد ردَّ على الصحفية بإيجاز ولباقة لا تخفى، فقال: أظنُّ أن هناك من أصحاب المؤسسات مَن يتابعون أخباري، ولا أظنُّ أني سأحتاج إلى وقتٍ طويلٍ لأحصل على عمل مناسب.

عندما صمت محمد، قال المقدِّم: السؤال الأخير، ونكتفي به. ارتفعت أيادي الصحفيين، فأشار المقدِّم- بعد تردُّد- إلى رجل يجلس في آخر الصف، في منتصف القاعة. أمسك الرجل بالميكروفون، ثم قال: وليام هوفمان، الواشنطن بوست. سيِّدي: أنت تعلم أن العلاقات بين أمريكا والدول الإسلامية قد ساءت أخيرًا، وخاصة بعد أن تأكَّد دعم الكثير منها للإرهاب. وسؤالي: ماذا يضمن لأمريكا من أنك لن تكون أحد زعماء الإرهاب هنا في أمريكا، وبالمقابل ما يضمن لك من أن أمريكا لن تعاملك كإرهابي؟.

أثار السؤال ضجة في القاعة، وأحسَّ محمد بخبث هذا السائل، وخبث الأسئلة التي طرحها، ولكن المَخْرَج من مثل هذه الأسئلة لم يكن بالصعب صعبًا عليه. قال محمد بابتسامة: أنا جئتُ لأمريكا بنفسي، وقد فوَّضتُ للمسؤولين هنا أن يعاملوني بالمعاملة التي يرَوْنني أستحقها. هذه إجابتي على الشطر الثاني من سؤالك. أما بالنسبة للشطر الأول من سؤالك، فلا أظنُّ أن المسؤولين هنا بالسذاجة التي تجعلهم يغفلون عن متابعتي حتى أُصبح من قادة الإرهاب، رغم أن أوراقي كلها مكشوفة بين أيديهم. أثارت إجابة محمد ضجة مرة أخرى في القاعة، واتَّجهتْ بعض الأنظار إلى السائل، وكأنها تُعيب عليه سؤاله، وتشمت به بما تلقاه من إجابة من محمد.

أمسك المقدِّم الميكروفون، ثم قال وهو يحاول أن يعيد الهدوء إلى القاعة: سيداتي وسادتي: نشكر لكم حضوركم ونشكر للسيِّد محمد إجابته على أسئلتكم، ونتمنى أن نلتقي بكم في مؤتمر صحفي آخر. بعد هذا قام العديد من الصحفيين وحاولوا أن يلتقوا بمحمد مباشرة، ويطرحوا عليه مزيدًا من الأسئلة، لكن المقدِّم حجزهم، وأومأ إلى محمد بالانصراف.

(X1) كان محمد خشى من شوهذه الأسئلة التي تطالبه بالتفاصيل، والتي من خلال الإجابة عليك قد ينتظم عمله بلده ٨ بعبارات تحت بكفه. أجابك باقتضاب وهو يقول:

- ~~الأسئلة - وأشار إلى المرأة~~ ما قالته السيدة - وأشار إلى المرأة التي صاحبة السؤال صحيح، ولكنه الإجابة عليك لا تتسع لها المقام، ولذا أحيل السيدة إلى إدارة الأوقاف بـ ٦ آي في مدينة بورسعيد، أو السيد ممثل الخارجية - وأشار إلى المقدم الذي يليس بجانبه - فليرجع القضية بأكملها.

لاحظ محمد أن مندوبي ناسا وميكروسوفت وهارفارد قد قاموا من أماكنهم، وتقدَّموا جهة اليسار صوب غرفة صغيرة، وأشاروا إلى محمد بأن يأتي. اتجه محمد ناحية الغرفة، ولما دخلها وجد مائدة مفتوحة مليئة بأنواع الفواكه والحلويات والمشروبات.

عندما دخل محمد الغرفة تذكَّر صديقيه وأنهما ربما قد جاءوا إلى المطار لاستقباله، فخاف من أن يكونا ما زالا ينتظرانه. عندها توجَّه نحو المقدِّم وأخبره بأنه كان يتوقع اثنين من أصدقائه أن يستقبلاه في المطار، وأنه يريد أن يتصل بهما ليعرف ما إذا كانا لا يزالان في انتظاره.

فوجئ محمد بالمقدِّم يقول له وهو يبتسم: إنهم قادمان إلى هنا!! قال محمد: وكيف عرفا أني هنا؟!! قال المقدِّم: لقد سألا عنك في مكتب الطيران بعد أن تأخَّرْتَ عن الخروج، فأُخْبِرا بأنك في مؤتمر صحفي، وأنه بإمكانهما ملاقاتك حال انتهاء المؤتمر، والآن هما في طريقهما إلى هنا. قال محمد: الحقيقة، أني معجبٌ كثيرًا بهذا التنظيم. ردَّ المقدِّم: شكرًا لك سيدي.

بعد هنيهة جاء شابان تبدو عليهما سيماء الصلاح والوقار، وأُدْخِلا الغرفة، فلما رآهما محمد توجَّه نحوهما وسلَّم عليهما وعانقهما. سأل الشابان محمدًا عن أخباره وهنآه على المؤتمر الصحفي، فردَّ محمد مبتسمًا: وماذا أفعل؟ أمرٌ رُتِّبَ بليل، وهو يقصد أنه ما كان يعلم عن هذا المؤتمر من قَبْل. بعد ذلك، سألهما عن أحوالهما وعن دراستهما. لكن المقدِّم قطع حديثهما بقوله: سادتي، يمكنكم مواصلة الحديث وأنتم تتناولون بعض الحلويات والعصائر. توجَّه الثلاثة نحو المائدة، وأخذ كل واحدٍ منهم بعض الحلويات وكوبًا من العصير.

تقدَّم مندوبو ناسا وميكروسوفت وهارفارد إلى محمد، وكان يقف بجوار صديقيه، فبادر محمد يُعرِّفهم بصديقيه قائلًا: هذا عبدالله، وهذا مبارك، وهما زميلَيَّ في الدراسة. أشار المندوبون إلى عبدالله ومبارك برؤوسهم، كتحية لهم، ثم قالوا جميعًا: تشرَّفنا. بعد ذلك، وجَّه مندوب ناسا قوله إلى محمد: والآن إلى الجدِّ.

أدرك محمد وصديقاه بأن المندوبين يريدون أن يتحدَّثوا معه على انفراد، فقال عبدالله موجِّهًا حديثه إلى محمد: سنبقى هنا، وأشار إلى كراسي بزاوية الغرفة، ثم تابع: وعندما تفرغ سنخرج سويًّا. ردَّ محمد: وهو كذلك، ثم وجَّه حديثه إلى مندوب ناسا، وقال له: وماذا تقترحون؟ قال مندوب ناسا:

وصلتنا تعليمات خاصة من سيادة الرئيس الأمريكي بأن نقوم بتسهيل الأمور لك، ولذا تناقشنا فيما بيننا وخرجنا بمقترح [في الصفحة القادمة سلَّماه مفتاحي الشقة والسيارة فهو ليس مجرد اقتراح فقط] علَّه ينال إعجابك. قال محمد: تفضَّل.

[لاحظ أنك تكتب كلامًا على لسان أجانب فأرى أن تكون العبارات والألفاظ والأساليب وكأنها مترجمة]

هنا، بدأ مندوب ناسا يسرد تفاصيل مقترحه، فقال: اتفقنا أن تُقدِّم لك جامعة هارفارد منحة مدفوعة التكاليف لدراسة الماجستير ثم الدكتوراه في علوم الفضاء. وفي الوقت نفسه تعمل كموظف في مركز أبحاث الفضاء بالجامعة، والذي تموِّله ناسا وميكروسوفت.

وقد تناقشنا حول المرتَّب الذي يمكن أن نعطيك إياه، فكان الاقتراح مائة وعشرين ألف دولار في العام أثناء دراستك الماجستير، ثم يزيد إلى مائة وخمسين ألف دولار في العام أثناء دراسة الدكتوراه. أما بعد الدكتوراه، فاقترحنا أن تنتقل للعمل في مركز كنيدي لأبحاث الفضاء في ولاية فلوريدا، وستعمل هناك كمدير لمعمل تقنيات الفضاء، والذي يُعدُّ بمثابة ورشة العمل لكل ما يتعلق بتقنيات الفضاء. وتموِّل هذا المعمل شركة ميكروسوفت وتشرف عليه وكالة ناسا.

وسيكون مرتَّبك في بداية عملك بالمعمل مائتي ألف دولار في العام. وأخيرًا، اتفقنا أن نقدم لك- بالإضافة إلى الراتب المقترح- شقة مؤثثة بالكامل وسيارة وهاتفًا مدفوع الثمن، بالإضافة إلى خطٍّ مجاني للإنترنت عالي السرعة. وبالطبع، ستحصل على جميع هذه الامتيازات حتى وأنت في فترة الدراسة.

صمت مندوب ناسا قليلًا، ثم قال: والآن، ما هو رأيك في هذا العرض؟ صمت محمد قليلًا، وقد كان مطأطئ الرأس وهو يستمع إلى مندوب ناسا، ثم رفع رأسه، وقال: يا سيدي، عندما جئتُ إلى أمريكا وضعتُ في الحسبان أن أبحث عن شقة أسكن فيها وأستأجرها، وأحضرتُ معي بعض النقود لتمويل جزء من دراستي إلى أن أحصل على عمل جزئي يعينني على مصاريف الدراسة والسكن والإقامة. وها أنتم تعفونني من كل ذلك، وتقدِّمون لي ما لم أحلم به أبدًا. يا سيدي: إن ما قدَّمتموه لي لهو أكثر مما أستحق، وإني أخاف أن لا أكون بالمستوى الذي تتعشَّمون أن أصل إليه.

قال مندوب ناسا: على العكس، هذا أقل ما يمكن أن نقدِّمه لك، ونحن ننفِّذ توصية سيادة الرئيس. وعلى فكرة، فقد طلب مني سيادته أن أعطيك رقمه الخاص [مبالغة]، وأخبرني بأنه يمكنك الاتصال به في أيِّ وقت. أخرج المندوب بطاقة من جيبه وناولها محمد، ثم عاود الكلام قائلًا: أما فيما يخصُّ نجاحك فإنا على ثقة بأنك ستصل إلى مستويات أكثر مما نتصوَّرها نحن عنك.

أحسَّ محمد بأنهم جادُّون فيما يقولون، فقال: أرجو أن أكون عند حسن ظنِّكم. بعدها، قال مندوب ناسا، وهو يمدُّ يده إلى محمد ببعض المفاتيح والبطاقات: والآن، هذا مفتاح سيارتك، وهي موقفة في موقف رقم C-25، وهذه ملكيتها، وهذا مفتاح شقتك، وهذه بطاقة فيها عنوان الشقة.

تناول محمد المفاتيح والبطاقات من مندوب ناسا، ثم قال بحياء: شكرًا. بعدها، تابع مندوب ناسا قائلًا: وفيما يتعلق بالعمل والدراسة فسنكون على اتصال بك لاحقًا. قال محمد: أشكر لكم جميعًا هذه الحفاوة، وأتمنى أن أستطيع يومًا ردَّ هذا الجميل. ابتسم مندوب ناسا، ثم قال: لا عليك، والآن يمكنك الذهاب مع صديقَيْك فقد جعلناهما ينتظران كثيرًا، وسنلتقي لاحقًا. قال محمد: شكرًا، وإلى لقاء، ثم توجَّه نحو صديقَيْه.

ما إن وصل محمد عند عبدالله ومبارك، حتى بادره عبدالله قائلًا: بشِّر يا محمد، لقد رأيناهما أطالا الحديث، فخشينا عليك. ابتسم محمد، ثم قال: هيا بنا نخرج من هنا، وسأخبركما بإذن الله بكل شيء. أخذ محمد حقيبته من المكان الذي وضعها فيه المقدِّم عندما أحضرها إلى الغرفة، ولكن عبدالله انتزعها من يده وحملها عنه.

خرج الثلاثة أولًا إلى مكان استلام الحقائب، فاستلموا حقائب محمد. بعدها توجَّهوا إلى مواقف السيارات، وعندما وصلوا إلى هناك، قال عبدالله: أظننا أوقفنا سيارتنا في B-15. قال محمد: اذهب أنت يا عبدالله إلى سيارتك، وسنذهب أنا ومبارك إلى C-25، وسنلتقي في هذا العنوان. أخرج محمد البطاقة التي فيها عنوان الشقة وأراها لعبدالله، فقال عبدالله: يبدو أنك قد استأجرتَ سيارتك وشقتك قبل وصولك إلى أمريكا. ابتسم محمد مجدَّدًا، وقال: ستعرف التفاصيل لاحقا.

اتَّجه عبدالله صوب [redacted] سيارته، وهو يحمل حقيبة محمد في يده، بينما دفع مبارك عربة الحقائب الأخرى، واتَّجهوا صوب الموقف C-25. عندما وصلا هناك، وجدا سيارة شفرليت جديدة.

طلب محمد من مبارك أن يقود السيارة. قاد مبارك السيارة، إلى أن وصلا إلى العنوان الذي بالبطاقة. هبطا من السيارة، وأخرجا الحقائب، وإذا بعبدالله يصل.

عندما وصل عبدالله وخرج من سيارته، بدأ ينظر حوله في المنطقة ويتمعَّن في الفلل والبنايات، ثم خاطب محمدًا قائلًا: يبدو أنه من أرقى الأحياء في بوسطن. لا بُدَّ أن الإيجارات هنا باهظة الثمن. كعادته، ابتسم محمد ثم قال: أظنُّ أن كلامك صحيح. تحرَّك محمد باتجاه الشقة، وهو يحمل إحدى حقائبه، ثم تبعه عبدالله ومبارك، وكلٌّ منهما يحمل حقيبة.

أخرج محمد مفتاح الشقة من جيبه، ثم فتح الباب ودخل، ودخل خلفه عبدالله ومبارك. عندما دخلوا، وجدوا شقة أنيقة، مؤثثة بأفخر أنواع الأثاث. عندها قال عبدالله، وهو ينظر في أرجاء الشقة: يا الله. إنها شقة جميلة جدًّا. كيف استطعتَ الحصول عليها؟ وبكم إيجارها؟ رأى محمد أن أسئلة صديقَيْه، وخاصة عبدالله، قد كثرت، وأن عليه أن يوضِّح لهما الحقيقة. أشار محمد لعبدالله ومبارك أن يجلسا في إحدى الأرائك، وخاطبهما قائلًا: اجلسا وسأخبركما بكل شيء.

جلس الجميع على الأريكة، ثم بدأ محمد يقصُّ عليهما ما دار بينه وبين مندوب ناسا من حوار، والعروض التي حصل عليها. كان عبدالله ومبارك يسمعان حديث محمد ولا يكادا يصدقان ما يسمعاه؛ فهما قد عاشا سنين في أمريكا، ولم يعرض عليهما أحدٌ شيئًا مثل ذلك، رغم أن مستواهما الدراسي ممتاز. كذلك، فلم يسمعا أن شيئًا مثل هذا حدث لأيِّ شخصٍ يعرفانه.

وتذكر عبدالله المؤتمر الصحفي، وحاول أن يربط الأحداث ليستخلص بعض التفسيرات، ثم قال لمحمد: يا محمد: أنت تعرف معزتك عندنا، ولولا أننا تصاحبنا من قبل لسنوات عديدة، وخبرناك في أمورٍ كثيرة، لولا ذلك لشككنا في أمرك من أن تكون أحد عملاء الاستخبارات. عندما سمع محمد مقولة عبدالله ابتسم، وكأنه يستغرب أن يصل تفكير عبدالله إلى هذا الحد.

استطرد عبدالله في حديثه، قائلًا: لكني متأكدٌ من أنك غير ذلك، ولذا فأنا خائف عليك من أن تكون هذه العروض وهذا الاهتمام الزائد هو لحاجة في نفس يعقوب. ردَّ محمد عليه بكل هدوء قائلًا: لا أظنُّ أن في الأمر أكثر من رغبتهم في الاستفادة مما وهبني الله إياه من علم، وأنتم تعلمون أن أمريكا ترعى الموهوبين، وتحاول الارتقاء بمستوياتهم والاستفادة من طاقاتهم وقدراتهم.

رأى عبدالله أن محمدًا مطمئنٌ إلى ما حصل عليه، وأنه لا يشك أن في الأمر شيءٌ غير طبيعي. لذا، قال له: على كل حال، مبارَك عليك الشقة والسيارة والعروض الأخرى، وأسأل الله أن يوفقك في دراستك وعملك. لكن أحبُّ أن أُذكِّرك بالله، وأقول لك بأن لا تنسى أن كل ما حصلتَ عليه هي نعمٌ من الله، يستوجب عليك شكرها، بمزيدٍ من الطاعات وبالبعد عن المعاصي والمنكرات.

قال له محمد: جزاك الله خيرًا يا عبدالله على هذه النصيحة الطيبة، وأرجو منكما ومن الإخوة الآخرين أن يعينوني على طاعة الله، باستدامة النصيحة، وبزيادة الترابط والتواصل بيننا. قال عبدالله: بإذن الله. والآن، علينا أن نذهب إلى شقتي، فإن أمَّ صهيب قد أعدَّت لنا غداءً، ولا بُدَّ أنها الآن قلقة لتأخُّرنا عليها.

قال محمد: يا أخي، لم يكن من داعٍ لأن تكلف نفسك وزوجك، وكان يكفي أن نذهب إلى أحد المطاعم ونتغدَّى فيه سويًّا. قال عبدالله مداعبًا محمدًا: لقد عرفنا الآن أن قدرَك أكبر من وجبة غداء، ولذا فسنترك الوليمة لوقتٍ لاحق. والآن هيا بنا.

قام الجميع وخرجوا من الشقة. وفي الخارج عرض عبدالله على محمد أن يترك سيارته، ثم يوصله بعد الغداء بنفسه، لكن محمدًا قال له: أرى أن آخذ سيارتي وأرجع بها، فإنه تكفي الساعات الطوال التي أخَّرتُكم فيها عن أهلكم ودراستكم. ركب عبدالله سيارته، بينما ركب محمد ومبارك في سيارة محمد، وتوجَّه الجميع صوب إلى شقة عبدالله، وهناك تناولوا وجبة الغداء، ثم بعدها عاد محمد إلى شقته، بينما توجَّه مبارك إلى شقته ماشيًا، حيث كانت قريبة من شقة عبدالله.

عندما عاد محمد إلى شقته، رأى أن عليه أن يتصل بوالديه ليُطمئنهما على وصوله، ولكن الوقت في المملكة كان قد جاوز الواحدة بعد منتصف الليل، بسبب فارق التوقيت. لذا، أجَّل الاتصال بهما إلى صباح اليوم التالي. تجوَّل محمد في الشقة، ووجد أن الشقة مؤثثة بالكامل، بما في ذلك المطبخ وغرفة النوم.

كذلك، وجد أن هناك هاتفًا، ووجد قصاصة ورق بجانب الهاتف مكتوب عليها رقم الهاتف. تعجَّب محمد كثيرًا من أناقة ترتيب الشقة واحتوائها على كامل ما يحتاج إليه في سكناه في الشقة.

هنا، أحسَّ محمد أن ضميره يدعوه ليشكر مندوب وكالة ناسا على ما قدَّمه له، فأخذ الهاتف واتصل به.

بمجرد ما تحدَّث المندوب في الهاتف، سلَّم على محمد، وقال: مرحبًا محمد. عسى أن تكون السيارة والشقة قد أعجباك. ردَّ محمد: الحقيقة، أني أتصل بك لهذا الأمر، فإني أُحسُّ بأني مَدينٌ لكم كثيرًا بما قمتُم به من ترتيبات، وبالروعة والأناقة في اختيار السيارة والشقة، وتأثيث الشقة بكامل المستلزمات، وبحسن الترتيب فيها.

ردَّ المندوب: العفو يا محمد، فإنك تستحقُّ كل ذلك وأكثر، ونحن لم نقدِّم هذا خصيصًا لك وحدك، وإنما من طبيعة عملنا أن نوفِّر للموهوبين ما يحتاجونه من مستلزمات الإقامة، لكي لا يُشغِلوا أوقاتهم بها، وإنما ليستغلُّوها فيما هو مفيد ونافع. ردَّ محمد: أشكرك سيدي مرة أخرى، وعسى أن أستطيع ردَّ هذا الجميل لكم، واعذرني على إزعاجك في هذا الوقت. ردَّ المندوب: لا عليك، والمهم أنك مرتاح. نلتقي لاحقًا. أغلق المندوب سماعة الهاتف، فأغلق محمد سماعة هاتفه.

قرَّر محمد أن يستحمَّ ويتجهَّز لصلاة المغرب، ويذهب إلى المسجد ليلتقي ببعض أصدقائه القدامى. في المسجد التقى محمد بالعديد من معارفه من مختلف الجنسيات العربية وغير العربية، فقد كان معروفًا بينهم لدماثة أخلاقه، ولما يَرَوْا عليه من الاستقامة والاهتمام بقضايا الإسلام والأمة. كذلك، كان معروفًا بينهم بتفوُّقه العلمي وبنشاطه الدعوي. كان الجميع يُرحِّبون به ويسألونه عن سبب عودته إلى أمريكا، أهي الدراسة أم العمل؟ كان محمد يجيبهم بأنهما الاثنين معًا.

بقي محمد في المسجد يتحدَّث مع إخوانه ممَّن أتوا للسلام عليه، إلى أن حضرت صلاة العشاء. بعد أن صلى العشاء جماعة، عاد إلى شقته، وكان يحسُّ بإرهاقٍ شديد. عندها خلع ملابسه ولبس ملابس النوم، وتوجَّه إلى سريره، وضبَّط منبه الهاتف ليستيقظ قبل طلوع الفجر بحوالي نصف ساعة.

عندما رنَّ المنبه، استيقظ محمد وتوضأ، ثم صلى أربع ركعات نافلة، ثم خرج إلى المسجد. بعد صلاة الفجر، بقي محمد في المسجد يقرأ القرآن ويدعو بأذكار الصباح إلى أن طلعت الشمس، فصلى صلاة الشروق أربع ركعات. بعدها، خرج من المسجد ومرَّ بسيارته على محلٍّ يبيع القهوة والكعك، وكان قد تعوَّد أن يُفطِر فيه أيام دراسته. اشترى كوب قهوة وبعض الكعكات، وتناول إفطاره في

المحل. بعد الإفطار عاد إلى شقته، [اقترح الاختصار] وكانت الساعة تقترب من الثامنة صباحًا، وكان الوقت مناسبًا للاتصال بوالديه.

[والدا محمد بقيا في شوق وانتظار قبل اتصال، وما أن يرى الهاتف حتى يسرى إليه...

إنه قلب الوالدين الذي فطره الله على]

بعد دخول الشقة، أسرع محمد إلى الهاتف واتصل بوالده. عرف الوالد من الرقم الذي ظهر على جواله أن المتصل من أمريكا. ردَّ والد محمد بسرعة: السلام عليكم. ردَّ محمد بنبرة توحي بالبهجة والسعادة: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. أنا محمد يا أبي. قال الأب: محمد؟ الحمد لله على سلامة الوصول. جيِّد أنك اتصلتَ، فقد كادت أمُّك تُجَنُّ لتأخر اتصالك. قال محمد: كنتُ أنوي الاتصال بكم البارحة عندما وصلتُ، ولكن كان الوقت عندكم بعد منتصف الليل، [كان يجدر بمحمد ووالديه أن يتأقلما بمواعيد الاتصالات منذ سفره الأول] فلم أشأ أن أزعجكم في ذلك الوقت. قال الأب: لا بأس. أخبرني، كيف كانت الرحلة من بريطانيا إلى أمريكا؟ وهل وجَدْتَ أحدًا يستقبلك عند وصولك؟ قال محمد: الحمد لله، الرحلة كانت طويلة، لكنها كانت ممتعة. وعند وصولي حدثت أمورٌ لم أكن أتوقَّعها.

[في مواقف الخوف والقلق والحنان يحسن استخدام (ابني، ولدي)]

ظنَّ الأب بأن ثمة مكروه حصل لابنه، فردَّ بقلق: ماذا جرى؟ أخبرني يا محمد ولدي. ردَّ محمد بسرعة: خيرٌ يا أبي. كانت كلها أمورًا طيبة. أولًا، جاء صديقيَّ اللذان وعدا بملاقاتي، وقد رافقتهما إلى الشقة، وتناولنا الغداء سويًّا في شقة أحدهما.

لم يكن ما قاله محمد مثيرًا، فعاود الأب السؤال: وثانيًا؟ ردَّ محمد: وجدتُ مندوبي وكالة ناسا وشركة ميكروسوفت والجامعة ينتظرونني، وقد قدَّموا لي عروضًا تتعلق بالدراسة والعمل، ما كنتُ أحلم بها. قال الأب: الحمد لله، الآن اطمئن قلبي، ولكن أخبرني ماذا جرى بالنسبة للسكن؟ هل حصلتَ على مكان مناسب؟ قال محمد بنبرة توحي بالسرور: هذه واحدة من المفاجئات التي حصلتُ عليها. لقد قدَّم لي المندوبون الثلاثة عروضًا للدراسة والعمل، بالإضافة إلى شقة مؤثثة وسيارة

وقفت حسنة أمام مثل هذا الأسلوب فديتي وشيماء لتغيّر قرارها ولكنها صُدمت عندما أجابتها: حتى لو فعل ذلك فلن تتغيّر حتى له، بل ~~[illegible]~~ وشاورت الله أن يوفقه ويبارك له في زواجه وذريته!! فاطلقت حسنة ضحكة: وماذا عليك أنتِ؟ زدتِ عليّ بلهوة تنمّ عن وَلَهٍ بمحمد وحُبٍّ تغرّ له: سيظلّ عليّ متعلقًا به يا أمي أفارق الحياة إذا رأت حسنة أمها لا جدوى من محاولة إقناع شيماء الأمر، ولكنها حين تصوّرها- ما إن تمرّ الأشهر والسنوات حتى تخبو جذوة الحبّ من قلبها وحينئذٍ لن تجد مشاكل الرفض بالزواج من أحد شخص آخر- يعوّل على محمد.

صمتت قليلًا ثم قالت لها: سيدة أمام الحب الذي يملأ قلبك فوق ما يتصوره البشر وقد أمد ~~[illegible]~~ تعجّل الله بالفرج لمحمد فيتحقق حلمكما، لم تجب شيماء بشيء وتابعت حسنة: أرى من الأفضل أن أتصل بسام ليأتي فإني لا أشعر برغبة لمواصلة محاضرات اليوم. أخرجت هاتفها ~~[illegible]~~ وحاولت الاتصال به، ولكنه ~~[illegible]~~ لا يتعذر الاتصال به عشرات المرات

~~عندما قالت لشيماء:~~

بدأ القلق يدبّ في نفسها وخافت أن يكون قد حصل له مكروه، طلبت من شيماء أن تحاول الاتصال به فعلت ولكنها هاتفه غير متاح، ملأ الرعب قلبها، لا أدري ما الذي يمنعه عن الاتصال بي؟ ثم التفتت إلى شيماء:

لا أريد العودة إلى المنزل بمفردي، ردّت شيماء قائلة: سرحة ما وقع بسام وأنا معك.

صمتت قليلًا ثم تابعت: ولكني سأذهب إلى بيت أهلي: فرحبت العودة معي.

(N2) بعد تناول العشاء استأذنه محمد الانطلاق فقاده يشعر بإعياء كبير ولا زالت به الحمّى المتوسطة تسيطر على قلبه. كان محمد قد أخبره بأنه استأجر له شقة صغيرة قريبة من الجامعة وفي الوقت نفسه لا يبعد كثيرًا عن المركز الإسلامي. أوصله إلى الشقة وأنزل له الحقائب ثم انصرف عنه. وجدانها قد أوصلا إليها كافة الأغراض حتى الرباط.

(N3) تعجب من ذلك وقال له: وهل أمك موجودة؟ فردّ عليه: نعم ثم سمعته ينادي عليها: يا أمي، انفرت تبكي وهي تقول: ~~[illegible]~~ أين كنت يا ولدي؟ لم يتمالك نفسه فبكى هو الآخر ~~[illegible]~~ ثم قال لها: الحمد لله أنا الآن في أمريكا، لم تمهله حتى قال له بصوت يخالطه البكاء ~~[illegible]~~ أبوك لم يرجع من عمله اليوم وأنا قلقة عليه! بيان الوساوس تخامر نفسه وخاف أن يكون قد أصابه مكروه، لم يشأ أن يخبرها بأنه حاول الاتصال به ولكنه لم يردّ حتى لا يزيد من قلقها عليه، قال لها: لا تقلقي يا أمي وأخبرها أنه سيتصل بأبيه لاحقًا.

(N4)

ودّع أمه وتم أغلق الساعة، كان يحتفظ برقم البلدية فاتصل بهم وسألهم عن أبيه
فأخبره المنسق بأنه زاره أشخاص وخرج معه ولم يعد إلى مكتبه. بدأ القلق يتزايد
في نفسه فاتصل بالمطار ليخبره بما يجري لتجري مكالمة والده. حاول الاتصال
به عدة مرات فتعذر الوصول إليه، زاد قلقه وبدأت الشكوك في أن يكون
أصابهما مكروه يتباعد فكره، لم يتبق إلا أن يتصل بعمة ليسأل الأعمام
سالم.

كانت حميدة وشيماء قد ذهبتا إلى المطعم وبعد انتهاء استراحة الطالبات وانتظارا
موعد عودة الباص ليعيدهما إلى منزلهما، اتصل محمد بعمته وعرفها بالموضوع
بقلق وفرحت كثيرا وما إن عرفت شيماء أنه تكلم محمدا حتى انتزعت الهاتف
منها وبكت بحرقة. أخبرها محمد بأنه اتصل بوالدته فأخبرته بأنها ستتصل
بالمطار لتعذر الاتصال بالمنزل، ازداد اضطرابه وقلقه
أن يخبرها هاتفيا لكونه مهتما بما يجري، فطلب منها أن تخبر بالأمر
وأراد أن يتابع ولكنه تراجع عن ما يشعر به من إيثار خاطبا نفسه: لماذا يتعذر الاتصال بهما؟
وأين ذهبا؟ ومن الضيف الذي حضر والدي معه؟ خاف أن يكون المكالمة تدابير باعتقالهما
كما يتعامل مع مغادرته هو لأمريكا. بقي يتململ في فراشه ويحاول تحليل الأمور لما أنه عليه النوع
ولكنه لم يستطع تحليل ما يجري
وذهلت عزيزة وهي تضع سماعة الهاتف، وحاولت أن تفرق من أمها
ما إذا كانت عندها تفسير لما يجري فأخبرتها أن خلقة جدا عازمة لأنه ليس من
عادته أن يتأخر ولو أراد التأخر أو الذهاب إلى مكان لأعلمها. وفجأة تذكرت شيئا
فتوقفت عن البكاء وقالت لعمة: انتبهت حميدة عن حضورها فقالت مفعول:
ماذا يا أمي؟ في حوالي العاشرة تذكرت أمرا اتصل شخص وسألني عن محمد فأخبرته أنه
غير موجود فقال لي: هل تعرفين أين هو؟ فأخبرته بأنه غادر إلى أمريكا فشكرني ثم
أغلق الساعة
حاولت حميدة أن تستنتج شيئا ولكنه لم تستطع فسألت أمها: ألم يتركك شيء
بنفسه فقالت: لا وأنا لم أسأله. قالت بحيرة:

أثر اتصال العصر الرحيم بعد أن خرج الذهاب إلى البيت؟ ردت أمها: كل شيء جائز، ولكن ما دخل أبيك؟ فعلقت حسنة بتعجب: وما دخل سالم في الموضوع؟
سألت أمها باستغراب: وماذا عن سالم؟ قالت لها: أحاول الاتصال به ولكن هاتفه يتعذر. بدأت طفلة تبكي ثم قالت: إذن لا داعي أن نتصل بالشرطة معها، إذا استطاعت أن تتصل بأبيها وزوجها ولكن أرادت تخفيف الأمر مع أمها فقالت لها: قد يكون الأمر كما تقولين ولكن علينا أن نستبق الأحداث.

بعد عودة خالد من الطبية بعد صلاة العصر أخبرته حسنة بما يجري وطلبت منه أن يتصل بعمه والده وسالم. بدأ يتصل بعمه لعله يأتي أن توصل إلى أحد يعمل مع والده في البلدية. اتصل به وسأله عنه فأخبره بأنه جاءه هاتف حوالي الحادية عشرة ونصف ليتكلم معه لفترة ثم خرجا من البلدية ولم يعد بعد ذلك للدوام. خليف؟!! سألت حسنة بدهشة. من سيكون ذلك الهاتف؟ هل عليه أنه من رجال التحريات؟!! لا تستعجلي في الأمر، ردّ خالد.

واصل خالد اتصالاته ووالدته تجلس بجانبه وقد بدأت تبكي خوفاً على أبيها وزوجها. بعد قليل سمعت خالداً يسأل في الهاتف: هل عندكم شخص اسمه علي خالد يعمل في التحقيقات الجنائية؟ سمعت قليلاً ثم سأل: هل عندكم شخص اسمه علي خالد يعمل في التحقيقات الجنائية؟ سمعت قليلاً ثم قال: أنا ولده خالد. كانت حسنة تسمع إلى الحوار الذي دار في الهاتف وكادت أن تغمى عليها. ثم أردف: متى تتوقع الزيارة؟ ثم بعد قليل قال: مشكور وبارك الله فيك. التفت إلى والدته قائلة: بشرى!! أبي موجود عندهم!!

بدأت حسنة تبكي ثم قالت: إذن لا بد أن سالماً معتقل عندهم هو الآخر. أرجوك حاولي أن تعرفي. قال لها: سأذهب لزيارة أبي وسأعرف ما يجري عندما أصل هناك ولكن لا تخبري أمي بشيء. اتصل بأحد أصدقائه وأخبره بأنه يريد الاتصال به وطلب عنوان الإدارة التي هو فيها. ساعة حتى جاء رسول وذهب إلى أمه وأخبرها بأنه سيخرج مع أحد زملائه للبحث عن والده. بكت حسنة في الأمر وقبلت ابنها قليلاً ثم قال لها: لا تقلقي

N5

يا أمي ... غابي بخير والحمد لله ... وسأخبرك بما يجري بعد عودتي. أرادت أم ... أن تذهب معه، فقال لها وهو يحاول مراعاة حالها: أمي ... عندما يأتي ... معنا. (أفضل الذهاب بمفردي) وطلب من زميله أن ينتظره في السيارة

وصل إلى مركز التحريات ... عندما وصل إلا الاستقبال سأل عن والد ... وأخبر الموظف بأنه على موعد في زيارته. أدخلوه إلى غرفة خالية، وبعد قليل جاء أبو نبيه الجهل، قام واحتضن أباه ثم قال له بفضول: الحمد لله على السلامة يا أبي، ماذا جرى لك؟ بدأ علي يقص عليه ما جرى له منذ الصباح عندما جاءه شخص إلى مكتبه ... وعرفه بنفسه وأنه من مركز التحريات، ثم سأله عن محمد، لم يستطع علي أن يكذب فأخبره بأنه سافر إلى أمريكا، وطلب منه الذهاب معه ... وجاء به إلى هنا.

كان خالد يستمع إلى والده بانتباه، فلما توقف قال له: ثم ماذا؟ عندما وصلتم أدخلوني عند أحد المحققين، وبدأ يسألني عن كل صغيرة وكبيرة عن محمد ونشاطاته ورحلاته في أمريكا، ثم سألني عن أطفال ... وعن جلالة الملك، وأين محمد الآن، وما هي ... يقبل بالطائرة الذي يركبه الملك. توقف قليلاً ليستجمع أنفاسه، ثم واصل: وبعد أكثر من ثلاث ساعات من الأسئلة المتواصلة، خرج المحقق، ثم عاد إلي بعد فترة، وقال لي: ستبقى عندنا إلى أن نتوصل إلى محمد!!

اضطرب خالد، وبدت ملامح الحزن عليه، ثم علق نبيه قائلاً بالوجوم والخوف ما يخفي: هذا يعني أنهم سيذهبون إلى محمد ويعيدونه إلى هنا؟!! ردّ أبو نبيه: هذا محتمل، واحتمال آخر أن يذهبوا ويحققوا معه هناك، ولكنه حتماً لن يتركوه. والحل؟!! سأل خالد بوجل: لا أدري!! ثم سأل ابنه: وماذا عن أمك؟ هل قلقة عليك كثيراً؟ وحبيبة أيضاً.

تعجب أبو نبيه من ذكر حبيبة، فسأله: وهل أخبرك أيضاً؟ ردّ خالد ببراءة: هي لم تسألني، وهي التي أخبرتني بما جرى لك ولسالم؟ سالم؟!! سأل أبو نبيه منزعجاً: نعم، أجاب خالد: لا بدّ أنهم هناك اعتقلوه هو الآخر لأنه حبيبة تحاول التواصل معه منذ الصباح ولكنه بدون فائدة. وماذا عن محمد؟ سأل أبو نبيه بقلق، أخبرتني حبيبة بأنه اتصل بها، وأخبرها بأنه سيتصل بك وبسالم ولكنه يعتذر لأنه بعد قليل، جاء شرطي وقال لهما: انتهت الزيارة. لحظات من صمت، ثم سأل أباه: والآن، ماذا تريدنا أن نفعل؟ لا أدري، ردّ أبو نبيه بحزن: فقط دبّر أمور البيت إلى أن يفرّج الله هذه الأزمة. لا تقلق يا بني، الله سيحمينا وسيحفظ

ماذا تريدنا أن نحضر لك شيئاً ~~فعلت~~ ~~لي~~ في جريدتي. قال أبوه: هم أحضروا
معي الهاتف حالاً وصرفوا المركز. ولذلك لو تحضروا لي بعض الثياب. فلا أدري
إلى متى سأبقى هنا. يا أمة الله. ما سألتك بالذي أعزك. بلغوا سلامي لأمك وأسرتك
وطمئنوهم أني بخير. يا أمة الله. صاح أبو سامي خرج من الغرفة.
توجه إلى موظف الاستقبال وسأله عن سالم موجود أيضاً في هذا المركز. فأخبره
الشرطي بأنه لا يوجد عندهم أحد بهذا الاسم وربما يكون في القيادة العامة
في العاصمة. سأله إن كان بالإمكان أن يتصل على هاتفه فقام الشرطي
ببعض الاتصالات ثم أخبره بأنه فعلاً موجود هناك. شكره ثم خرج من
المركز.
عندما عاد إلى البيت قابلته أمه وأسرته بالبكاء فطمأنهم على والده وأخبرها
بأنه سيبقى هناك إلى أن تنتهي التحريات. أخبر أمه بأنهم سيذهبون لزيارة
والده غداً بعد العصر وأنه يمكنها المجيء معهم. عندما انفرد بأخته وأسرّ لها
بما أخبره به والدها الشرطي من أن سالم معتقل أيضاً في القيادة العامة
في العاصمة وأخبرها كذلك بما قاله والده من أنها قد يبقيان في الحجز إلى أن تنتهي
التحريات والتي قد تطال مدتها أيضاً. اتفق معها للذهاب لزيارة سالم في الصباح.
بعد قليل اتصلت بها شيماء لتسأل عن التطورات فأخبرتها بأحتجاز أبيها
وسالم وأخبرتها بزيارة خالد لأبيها وطلبت منها الذهاب لزيارة سالم في الصباح.
استحيت شيماء أن تطلب منها الذهاب معها ولكنها فاجأتها بالسؤال عن
محمد. تلعثمت حنين قليلاً ثم قالت: لم يتصل بعد اتصاله السابق وأظن
أنه ما زال عندهم الليل. عاودت شيماء تسأل: وهل تظنين أنهم سيحققون
معه هنا؟ ؟؟؟ خافت أن تخبرها بما قاله أبوها فردّت: كيف
سيذهبون للتحقيق معه في دولة أخرى؟!! وأظنهم سيكتفون بأقوال أبي
وسالم. طلبت منها شيماء أن تبقيها على اطلاع بما يستجد من أمور.
مرت تلك الليلة على خديجة وحنين وشيماء كأطول ليالي حياتهن؛ فكانت خديجة تبكي
طول الليل حزناً وقلقاً على ما يجري لزوجها وابنها. وحنين تتململ في فراشها بعد أن تذرف
الدموع على صبيتها بحزن وقلقاً على ما يجري لأبيها وأخيها وزوجها. وشيماء تتقلب
دار بينها وبين حنين في الجامعة، حاولت الساعات استكناه ما قد يجري
للعزيزين ولكنها أرهقت والقلق والحزن أعماها عن ذلك.

N6 في الصباح الباكر توجه خالد مع زميله إلى العاصمة واعتقلتهم حمية، عندما وصلوا إلى مقر الجريدة تفاجأ العتادة العامة للشرطة [illegible] وأخبروهم بأنهم جاؤوا لزيارة سالم، أخبروهم بأن وقت الزيارة في المساء فقط، وبعد محاولات رضوا بأن يسجوا بالمكوث معه طوال ثلاث دقائق فقط.

N7 بعد انتظار قصير أُدخلا إلى غرفة، ثم جاء سالم بلباسه المعتاد، عانقه خالد، ثم قال له:

- الحمد لله على سلامتك، لقد أقلقتنا عليك.

ابتسم وقال له مازحًا:

- بارك الله فيك، ماذا أفعل وقد أرادوا أن يزيلوا عني رتابة الحياة.

سكتا عن الحديث فجأة وهي تبكي:

- أحاول منذ الصباح الاتصال به، وبفضل الله ثم بفضل خالد توصلنا إلى معرفة مكانه.

بدأ سالم يقص عليهم ما جرى له: [illegible] يتهمني بالمشاركة في [illegible] اتصل بي [illegible] وأخبرني بأنه من المقر الرئاسي، وعرّفني بنفسه، ثم رماني على محمد، فقلت له مازحًا: كان في البيت، فقال: [illegible] اتصلنا ببيته، فعلمنا أمه وأخبرتنا بأنه مسافر إلى أمريكا. ذُهلت من ذلك، ثم قال لي: وأريد أن تذهب إلى القيادة العامة للشرطة الآن، وتدلي [illegible] بأقوالك، لم أجد بُدًّا فأتيت إلى هنا، وبعد تحريات دامت لعدة ساعات أخبرني المحقق بأنني سأبقى معهم عدة أيام.

خفت أن يضيفوا منهم مكروهًا إن امتنعت عن الذهاب، علّق خالد بابتسامة حزينة:

- نفس ما جرى لوالدي.

دهش سالم من سماع ذلك، فقال:

- وهل تم اعتقاله أيضًا؟

- نعم، وقد زرناه البارحة وقصّ علينا كل ما جرى له.

- لقد رماني عنه وعن مكانه عمله، فأخبرتهم بذلك، وأخاف أن أكون السبب في اعتقاله.

كانت حمية تسمع ما يجري من حوار وهي تبكي، ثم علّقت بنشيج:

- ربما سيأتون إلى محمد ويحققون معه، أو يحجزونه هنا!!

ردّ سالم:

- لا أظن ذلك.

أكّد خالد ما قالته حمية، ثم أردف:

- لقد أخبروا أبي بأنهم سيعودون عندهم إن لم يحققوا مع محمد.

ابتسم سالم، ثم قال:

- هذا يعني أننا سنقضي هنا وقتًا طويلًا.

جاء الشرطي ليخبرهم بانتهاء الزيارة، فقاطعته حمية زوجة:

- أحضرنا لك بعض الملابس والأدوية الشخصية [illegible] وسنواصل زيارتك باستمرار.

لا داعي لكثرة الزيارات، فأنا بحمد الله بخير. هل أبي وأمي يعلمان ما جرى؟

جديدة. قال الأب: ما شاء الله. صحيح أن هذه مفاجئات، ولكنها والحمد لله سارة. دعني أنادي أمك لكي تخبرها.

انتظر محمد قليلًا، فجاءت الأم وأمسكت بالسماعة، وبدأت تحادث محمدًا وهي تبكي: أين أنت يا محمد ولدي ؟ لماذا تأخرتَ في اتصالك؟ أم أنك تحاول أن تنسانا من أول يوم وصولك إلى أمريكا؟ ردَّ محمدٌ مبتسمًا: لا يا أمي، كيف أنساكم وأنتم في قلبي ووجداني. قالت الأم وهي ما زالت غير راضية: إذًا لِمَ لم تتصل البارحة؟ قال محمد: عندما وصلتُ الشقة كان الوقت عندكم قد جاوز الواحدة بعد منتصف الليل، فلم أشأ أن أزعجكم. قالت الأم: وهل تظنُّ أني نمتُ البارحة؟ [لذا ينبغي من محمد أن يراعي والدته وهو يعرف مواعيد الإقلاع والوصول وطول السكة في سفره الثاني] لقد بقيتُ ليلتي أفكر فيك، وفي المعاناة التي ستمرُّ بها بعد وصولك هناك. ردَّ محمد: لم تكن ثمَّة معاناة يا أمي. لقد وجدتُ الأمور هنا كلها بحمد الله مرتبة، والآن عندي سيارة جديدة وشقة مؤثثة. ردَّت الأم باستغراب: ومن أين حصلتَ على النقود؟ قال محمد بابتسامة: لم أدفع شيئًا، ولكن وجدتُ هنا مَن وفَّر لي كل هذه الأمور مقابل أن أعمل معهم.

لم تصدِّق الأمُّ ما سمعت، فظنَّت أنها قد تكون خديعة لم يتنبَّه لها محمد، فقالت لمحمد بنبرة الناصح: يا حبيبي، أنت في بلد غربة، ولا أظنُّ أن الناس هناك سيقدمون لك كل ذلك دون مقابل، وإني أظنُّ أنهم يريدون استغلالك، وربما استعبادك. قال محمد: لا يا أمي، لقد قدَّموا كل هذا ليشجعوني للعمل معهم. قالت الأم: وهل سيعطوك أيَّ مرتَّبٍ، أم يدفعون لك فقط إيجار السكن؟ قال محمد: بل إنهم سيعطوني مرتبًا ممتازًا، حتى أثناء دراستي، وسيزيد هذا المرتَّب عندما أنتهي من دراستي. قالت الأم: إني قلقة عليك من أن يقوم أحدٌ باستغلالك، وأنت هناك في بلاد غربة وحيدًا. قال محمد: لا تقلقي يا أمي، فالأمور تسير بحمد الله وفق طموحاتي ورغباتي. قالت الأم: وهل يمكننا أن نأتي لزيارتك لنطمئنَّ عليك؟ ردَّ محمد: بعد أن أبدأ الدراسة والعمل وتستقرَّ أموري، سأرتِّب لكم بإذن الله لزيارتي. قالت الأم: أسأل الله أن يوفقك يا حبيبي، ولا تقطعنا من اتصالاتك.

[أنت هنا تختزل زمنًا طويلًا بينما في مواضع أخرى تسهب في تفاصيل دقيقة!!! دع أمه تؤكد رغبتها في زيارته في الاتصالات التالية]

فصل جديد: بداية الاستقرار

N32

بعد أن استقر محمد في عمله اتصل بوالده، وأخبره بأنه سيحجز له ولأمه تذاكر سفر لزيارته. وفعلًا، قام محمد بحجز تذاكر السفر وعمل الترتيبات اللازمة والتأشيرات، واستقبل محمد والديه في المطار ثم توجه بهما إلى شقته.

وعندما رأى والداه حالة شقته فرحا كثيرًا، وقالت له أمه: لقد كنتُ أظنك تعيش في ضيقٍ من العيش، وأنك كنتَ فقط تحاول أن توهمنا بأن حالك طيبة. ولكني بعدما رأيتُ ما في هذه الشقة، ورأيتُ سيارتك وحسن هيئتك، علمتُ أنك بحق تعيش حياة لا بأس بها. غير أني أظن أن هذه الشقة لا تستقيم إلا بامرأةٍ تُدبِّر أمرها، وتُعِدُّ لك الطعام الشهي، وتُسلِّيك من عناء العمل.

[موضوع الزواج ورد متأخرًا، لم لا تدخل المرأة أو موضوع الزواج في ذهن محمد أو على لسان أمه من قبل!]

فهم محمد مقصد أمه، وأنها تقترح عليه أن يتزوج، فأراد أن يداعبها، فردَّ عليها وكأنه لم يفهم قصدها، فقال لها: الشقة تَسَعُني وتَسَعُكِ يا أمي أنتِ ووالدي، فقالت له أمه: لم أقصد هذا يا محمد، ولكن أظن أن الوقت قد حان لزواجك.

ردَّ عليها محمد مداعبًا لها: كنتُ أنتظركم أن تأتوا لي بواحدة من المملكة. ردَّت عليه بابتسامة: أبشر يا حبيبي، فهنالك الكثيرات ممن يتمَنَّيْن الزواج منك، ولكن أخبرني من ترغب الزواج بها، وسأخطبها لك حالًا بإذن الله. قال لها محمد: أعلم أنك ستقومين بذلك يا أماه، ولكن الحقيقة أني فكرت في هذا الأمر مليًا، ورأيتُ أني بحاجة لأن أبقى هنا إلى أمد. وإن تزوجتُ من المملكة فقد لا ترضى هي أو لا يرضى أهلها أن تأتي إلى أمريكا وتستقر هنا.

ردَّت عليه أمه، وكأنها قلقت مما سمعته منه: لا تقل لي يا محمد أنك تفكر بالزواج من واحدة من بنات أمريكا؟ ابتسم لها محمد، ثم قال: ولِمَ لا، إذا كانت امرأة صالحة ومثقفة؟ قالت له أمه: ولكنها ليست من جنسنا، وقد لا تتوافقان معًا. قال لها محمد: هنالك الكثير من المسلمين ممن يعيشون على هذه الأرض، وبعضهم أتى من بلدان إسلامية وعربية، وبعضهم وُلِد هنا. ولا أشك أنه لا يوجد من بين هؤلاء مَن ترضى بي وأرضى بها.

N32

أمضى بقية الأسبوع في الإعداد للوظيفة الجديدة. كذلك، ردّد دعوة مرات عدة
من التنقل الحديث
أطمأنت نفسي كثيرًا وشعر بحرية لم يعهدها حتى أيام دراسته البكالوريوس.

الجامعة ليكمل إجراءات الالتحاق ببرنامج الماجستير، وتم تعيين مرشد أكاديمي جديد له،
وبالتنسيق معه استطاع اختيار جدوله الدراسي الصيفي ليكون في فترة المساء.
عندما اتصل بسمية في ذلك الأسبوع، أخبرها بالترتيبات التي قام بها للبدء في الوظيفة والدراسة.
فاجأته بقولها:

- سيكون حفل تخرّجي أنا وشيماء بعد حوالي شهرين من الآن، وأود جدًا أن تحضرها وتشاركنا فرحتنا!!

كان سؤالًا عفويًا لا يعدو الطلب، وأثار في نفسه الشوق إليها. لم يعتبر حضور هذا الحفل ذا
أهمية بالغة في حياته، ولكنه بالمقابل قد بدأ حديثًا في وظيفته وملتزم ببداية دراسته، ولا يريد أن يأتي
لنفسه التسبب عنها، حتى ولو كان لدعم عائلي كهذه المكافأة. ردّ عليها بعد صمت وبنبرة
متلعثمة:

- الحقيقة أنه سيسعدني لفرحتكما هذه وستكون لها أثر بالغ في حياتي، ولكنك تعلمين أني ما زلت
لا أدري عن ظروف الدراسة والعمل شيئًا، وعسى أن تتهيأ لي الظروف في ذلك الوقت.
تأثرت شيماء بهذه الإجابة قليلًا، ولكنها في الوقت نفسه تعلم صدق ما قاله أخوها وتعلم أنه
من النوع الذي يخطط لحياته بعيدًا عن العواطف والعواطف. علّقت بنبرة متأثرة:
- عسى أن يهيئ الله الظروف، فنزال بيننا.
- آمين يا رب العالمين.

أما اتصاله بأمه، فكان دائمًا بمثابة التذكير له بموضوع الزواج. أخبرته بأن الأجواء مهيئة
الآن في عائلة عمه سعيد ليعاود خطبة شيماء. ردّ عليها بسرور وأبدى
دون أن يعطيها وعودًا بحتى سيكون ذلك. قال لها:
- يا أمي أنتِ دومًا تبعثين الأمل في نفسي، وبإذن الله سيتحقق آمالك قريبًا.
- آمين يا رب العالمين.
ثم سألته:
- ألا تفكر في الرجوع إلينا هنا؟!!
لم يدرِ هل تقصد من سؤالها أنها فقدت الأمل في عودته إليها، أم سؤال حول وقت الرجوع.
أجابها قائلًا:
- بإذن الله بعد أن تستقر أموري هنا، سيجدونني بينكم.
فرحت أمه كثيرًا، ودعت الله بالدعاء له وهو تؤمّن عليه.

* * *

في الأسبوع التالي بدأ دوامه في مركز أبحاث الفضاء في الجامعة. التقى بالموظفين
هناك، ورحّبوا به وهنؤوه على مواصلة العمل معهم، ثم شرحوا له طبيعة عمله الحالي. كان
دوامه من الثامنة إلى الخامسة عصرًا، يتخللها ساعة استراحة من الثانية عشرة إلى
الواحدة ظهرًا، وكان يقضيها في أداء صلاة الظهر أولًا في تناول وجبة الغداء، ثم يذهب إلى
المطعم الموجود في اتحاد الطلبة المسلمين فيؤدي الصلاة الظهر، ثم يعود بسرعة لكي لا يتأخر
عن عمله.

N32

N33

رغم أنه كان يعمل في هذا المركز سابقاً، غير أن عمله كان جزئياً، فلم يتح لقضاء كامل ساعات من يومه في عمله. بل يشعر بأن تأديته لصلاة الظهر والعصر كان على عجل، وخاف أن تكون الوظيفة سبباً في عباداته ومن ثم علاقته بربه. في هذا الأسبوع كان لا يزال يجد بعض الوقت بعد انتهاء الدوام للذهاب إلى المركز الإسلامي والمشاركة في الفعاليات التي تقام هناك، رغم أنه كان يعمل إلى هناك منهكاً. يذكر أنه كان على السابق أحياناً يلوم بعض المسلمين على عدم مواظبتهم على أداء الصلوات في المركز وحضور الفعاليات التي تُقام فيه، ولكنه أدرك الآن ما هم فيه، وما منه هؤلاء من عناء وتعب من جراء الوظيفة، وخاصة أن بعضهم ممن جاوزوا الأربعينات والخمسينات، وقد يكونوا يعانون من أمراض تضاعف أوارها بسبب ما يحرمون عليه طيلة يومهم من إذن وضغوطات العمل. بدأ يتعلم من الوظيفة كيف يعامل الناس باحترام، وكيف يخطط لإنجاز المهام الموكلة إليه، مع اختلاف أجناسهم وعقائدهم وطبائعهم.

وكيف يمكنه توظيف الموارد البشرية والعلمية المتوفرة في المركز لتنمية قدراته ومواهبه. ورغم أن هذا هو الأسبوع الأول له في وظيفته، إلا أنه بدأ فعلاً يحظى باحترام وتقدير من مسؤوليه وزملاء عمله. كان موضوع دعوة الناس - وخاصة غير المسلمين - الشرع الذي يهابه كثيراً، ولكنه يعلم أن ترسيخ أقدامه في الوظيفة، وبناء قاعدة صلبة من العلاقات الحميمة مع زملاء عمله من أولويات الدعوة الفردية، ولذلك ما كان يتعجل في الترويج في هذا الأمر، رغم أن كان - أحياناً - يلتقي ألفاظاً وتعبيرات لإمام المغرب واطفئ ما تحدثم توجيهه هذا.

* * *

مرّ الأسبوع الأول عليه بسلام، رغم أنه احتاج جهداً كبيراً ليبدأ في التأقلم مع توقيت الوظيفة وفترات الراحة وأوقات الصلوات. يشعر براحة نفسية كبيرة لأنه حقق إنجازاً عظيماً في التحاقه بهذه الوظيفة التي استشرف مستقبله من خلالها أن يكون - بإذن الله - مشرقاً ويخدم أهدافه الكبرى التي عاش من أجلها. لكنه التأقلم الجزئي مع الوظيفة في الأسبوع الأول ما كان ليمنعه من هذا الأسبوع الذي بدأ فيه دراسة الماجستير. بعد قضاء ساعات عمله في الوظيفة، كان يشعر في آخر اليوم بأن جسمه يحتاج إلى راحة لتحمله، وصار ذهنه مشتغلاً بالأعمال التي يجتهد في أدائها على أكمل وجه خلال تلك الساعات. ورغم كل ذلك كان يحفز نفسه للذهاب إلى المحاضرات، ويجهد ذهنه في التركيز على ما يقوله المحاضر. تضاعف جهده البدني والذهني، وكانت بعض محاضراته تنتهي عند العاشرة، فيعود إلى شقته مجهداً، ومع ذلك يحاول التوضؤ ويقرأ ورده من القرآن، ثم يجلس لفترة للدعاء والذكر، ثم يلتقي بجسده على السرير، وما أن يضع رأسه حتى ينام. لكن كان يصحو نشيطاً طيب النفس.

وجد أنه حصوله على جرعات متواصلة من العلم النظري من خلال المحاضرات، ثم توفر البيئة المناسبة والموارد الكثيرة التي تساعد على تطبيق ما يتعلمه كانا مزيجًا رائعًا للترقي في سلم الفهم النظري والعملي لتخصصه، وبدأت تتفتح أمام ناظريه فرصًا عظيمة ما كان يومًا ليحلم أنه يحصل عليها.

ومنذ البداية، قام مسؤولو المركز بإطلاعه على مشاريع كبرى ومتقدمة في علم الفضاء والفيزياء الفلكية، وحصل من خلال الحوارات والاجتماعات وورش العمل التي تقام بين فترة وأخرى على كم هائل من المعرفة والخبرات التي يقدمها علماء ومتخصصون في هذا المجال.

لقد أهله هذا المزاوج بين الدراسة والوظيفة - رغم قساوته عليه بدنيًا وذهنيًا - إلى العيش في عالم من الواقع، وليس خيالات وأحلام كما كان حاله في الماضي، واستطاع في فترة وجيزة أن يحظى باهتمام واحترام مسؤوليه وزملائه على السواء، وكذلك في إعجاب كبير بقدراته وذكائه بين أساتذته وزملائه في الدراسة.

كان التحدي الكبير الذي واجهه هو التوفيق بين الوظيفة والدراسة من جهة، وبين الالتزام بأداء ما افترضه الله عليه من فرائض ونوافل والمشاركة الفعلية والجادة في الأنشطة الدعوية من جهة أخرى. وقد وجد أنه يكاد من المستحيل عليه المشاركة في هذه الأنشطة - فضلًا أن يكون المحرك لها - في أيام الأسبوع، ولكنه رتب جدوله ليركز هذه الأنشطة خلال إجازة نهاية الأسبوع، رغم أنه كان ملزمًا عليه - أحيانًا - أن يستقطع جزءًا منها للمذاكرة وإعداد البحوث.

كان برنامج مشاركته في الأنشطة الدعوية يبدأ بعد خروجه من الدوام يوم الجمعة، حيث إنه من تيسير الله عليه أنه لم تكن هناك محاضرات في مساء هذا اليوم. أحب إخوانه في المركز الإسلامي يتفقدون مشاركاته وأنشطته الدعوية، ولكنهم كانوا يقدرون الظروف الخاصة لأعضاء الطلبة المسلمين الجدد التي يمر بها غالبًا - ما تفعد الناس عن أي ظهور لهم في الساحة الدعوية.

* * *

بعد انتهاء الفصل الدراسي في جامعة البيان، وتخرج حمية وشفاء، ~~عاد~~ ~~فيصل~~ ~~إلى~~ ~~بلدته~~ ~~بعد~~ ~~حضور~~ ~~حفل~~ ~~التخرج~~ ~~الذي~~ ~~عادة~~ ~~ما~~ ~~يقام~~ ~~في~~ ~~منتصف~~ ~~الفصل~~ ~~الدراسي~~ ~~الثاني~~ ~~بعد~~ ~~أن~~ ~~أكمل~~ ~~فترة~~ ~~الأعمال~~ ~~في~~ ~~الوظيفة~~ ~~والدراسة~~، ~~واستلم~~ ~~أول~~ ~~راتب~~ ~~له~~، ~~وكان~~ ~~قد~~ ~~خصم~~ ~~الضرائب~~ ~~منه~~، الفصل حمية، وهنا على تخرجها هي وشفاء، وفي نيتها مباشرة عملها بعد عودتها به من قبل من أن يخبرها بقرارها بخصوص العودة إلى المملكة للمشاركة في حفل تخرجها هي وشفاء. قالت له:

- سيكون حفل التخرج بعد حوالي شهرين من الآن، فماذا قررت بشأن مشاركتنا فرحتنا؟!!

- لقد عدلت من قبل بأني ما زلت أنه كانت ظروفي ستساعدني على ذلك، وما زلت أقول نفسه، ولكنه يبدو أنه ستحل الدراسة والعمل علي لن يتيحا لي حضور الحفل.

أحست بخيبة أمل، فردت عليه:

- لا بأس، أسأل الله أن يوفقك في دراستك وعملك.

أراد أن يدخل عليها بعض السرور، فقال لها مداعبًا:

- ولكن أفكر في زيارتكم حال انتهاء الفصل الصيفي في أغسطس بداية أغسطس.

شكرت بذلك قليلًا، وقالت:

- وهل ستبقى هناك طويلًا؟

- لا أظن ذلك، فالدراسة ستبدأ بعد أسبوعين من انقضاء الفصل الصيفي، وأيضًا فأنا لا أريد

أم أعطى المسؤولين في العمل انطباعا عني بأني أتملص من العمل وخاصة أني لا زلت جديدة بالوظيفة.

فاجأته حمية بسؤال أثر في عواطفه كثيرا فقالت له:

- ولماذا لا تجعلي رحلة زواج أهنا؟!!

- الزواج؟!! نعم، لقد حان أوانه، بل إنه قد جاوز أوانه حسب الأعراف التقليدية في قريته. وإن كل العوائق التي كانت تتذرع بها عفراء في السابق قد زالت فشيماء قد تخرجت، وهو لديه وظيفة مرموقة، ويحصل راتبا يفوق أضعاف ما يحصل عليه ابن بلده. لكنه، هل ستقنع عفراء وعمه بهذه الظروف؟ أم إنها ستعارضان بحجة هجرته لأمريكا؟!! وإن وافقا على الزواج، فهل سيوافقا على أخذ ابنتهما معها إلى أمريكا؟!! بقي في صمت وهو يحلل هذا الموضوع في ذهنه، حتى إن حمية علقت:

- يبدو أنك بدأت تعرف الخطر من الزواج!!

ردّ عليها بتأوه قائلا:

- لا، ليس الأمر كذلك، ولكن كنت أحلل في ذهني إمكانية موافقة عمي سعيد وخالتي عفراء.

- وما رأيها لو وافقا، وقد صرت الآن شخصا ذا مكانة وأهمية كبيرة في المملكة وفي أمريكا!!!

أجابها بأسلوب فيه دهاء فقال:

- لا أظن أنهما سيتطرقان إلى هذا الموضوع بهذا المنظار، ولكنهما قد يتجهان بعد ~~ذلك~~ إلى المملكة وأمريكا ~~وهما~~ يكون مستقرا في أمريكا.

- ~~على~~ أنا لا أعتقد ذلك، لأنهما الآن يفوزان كثيرا!

- ~~ولكن~~ إذن سأترك هذا الأمر معك ومع سالم جميل رجوعي بفترة

* والداها *

~~حفر~~ حفل كرم حمية ~~والداها~~ بالإضافة إلى سالم وخالد وزوجي وإخوتي. أما شيماء فحضر الحفل والداها وأختها!!؟ و!؟. اتصل بها محمد في مساء ذلك اليوم بأخته وهنأها على التخرج، فعاودت سؤاله عن موضوع عودته إلى المملكة وأيضا موضوع الزواج. أخبرته بأن شيماء تنتظر الآن بفارغ الصبر رجوعه لكي تكتمل فرحتها بالزواج. أخبرها بأنه سيتصل بعائلته الليلة ليخبرها بقراره، وسيتفقا على التفاصيل.

في نهاية شهر يوليو اتصل بحمية وأخبرها بأن الامتحانات ستبدأ في بداية الأسبوع المقبل، وأنه سيأخذ الإجازة بعد الفصلين ستكون في حدود عشرة أيام فقط، فإنه قدم إجازة قصيرة من العمل، فوافقوا فورا عندما أخبرهم بأنه ينوي الرجوع إلى المملكة والزواج. ~~فاتصلت~~ قالت له حمية:

- لقد ناقشت مع سالم وشيماء هذا الأمر، واقترح سالم أن يكون عقد القران والزفاف في نفس اليوم، وذلك لتخفيف المصاريف، وأيضا لاستغلال فترة إجازتك القصيرة.

- وهل ناقشت معهما ~~رأيهما~~ شيماء عن رأيها في العودة معي إلى أمريكا؟!!

- كنت قد سبقت أن ناقشت معها هذا الأمر قبل رجوعها إلى أمريكا بعد ~~عمرة~~، وكان رأيها آنذاك هو أنها ستذهب معك أينما تكون.

- و~~ماذا~~ ما رأي سالم؟

- ناقشته هذا الأمر معه، ولم يعارض، ولكنه أبدى بعض تخوفه من معارضة والديه.

- وهذا ما يجعلني أبقى في قلق.
- بإذن الله ستتحسن الأمور، ويشفي الله قلبي أمي سعيدة وخالتي عفراء.
- أرجو الله ذلك.

ثم استدرك قائلاً:

- وهل يعلم أبي وأمي عن هذا الموضوع شيئاً؟!!
- عندما كنت أجلس مع أمي وأبي في بيرتلا، كانت تأتي موضوع زواجي، وفي الفترة الأخيرة كنت أتلمح لها بجميلة وربما محاولة الزواج من شيماء، فكانت تسرّ بذلك كثيراً.

قاطعها قائلاً:

- وماذا عن أبي؟!!
- بصراحة لم أفتح الموضوع معه، ولا أراه سيعارض، ويمكنك أنه تفتح الموضوع معه بنفسك.
- بإذن الله، سأفعل لاحقاً، وأخبرها بقرار رجوعي.
- وستفرح كثيراً بذلك.

لاحظت أنها

* * *

في اليوم التالي، اتصل بهاتف والده بعد صلاة العشاء، سأله عن أحواله، فطمأنه عليه، ثم قال:

- بقي على الفصل الصيفي حوالي أسبوع، وأفكر أن آتي لزيارتكم عدة أيام.
- ما شاء الله، هذه أخبار سارة، ولكن لماذا فقط عدة أيام؟ لماذا لا تبقى هنا ولو شهراً واحداً؟!!
- فصل الخريف سيبدأ بعد أسبوعين فقط من انتهاء فصل الصيف، ولذلك رأيت أنه لا يحسن أن أتغيب تلك الفترة عن قسمي.
- يا أهلاً ومرحباً به، وهاهي أمك ستتحدث معك كلاماً مفرحاً كعادتها.

ردّ عليه مازحاً:

- لكم عليّ.

ما إن سكتت هنيهة بالهاتف حتى بدأت تبكي، ثم قالت له:

- كفاني أنك أخبرتني!!
- نعم يا أمي، كنت أخبر أبي بأني سأزوركم بإذن الله في نهاية الأسبوع القادم.

ردّت بفرحة تخالطها البكاء:

- الحمد لله، وكم ستبقى؟
- عدة أيام.

ما إن سمعت ذلك حتى تأثرت بشدة كثيراً، ولزمت الصمت وهي تبكي، فلما طال سكوتها قاطعها:

- مالك يا أمي؟!! ألم يكن كلامي يسرك؟ فهو يسرني، ولكن الدراسة ستبدأ بعد أسبوعين فقط من انتهاء الدراسة في هذا الفصل.

N35

~~سكتت~~ + بقيت بعض الوقت في حالة ذهول لفترة ثم تكلمت بخجل شديد:
- كنت أعد الأيام عدًا لرجوعك إلينا، وما إن بشرني بذلك حتى كدرت علي تلك الفرحة.
ردّ عليها ببرة حزينة:
- وماذا أفعل يا أمي، وأنا أضارع هضابيه الدراسة والعمل؟!!
- كنت أمني نفسي أن تعود إلينا وتتزوج وتستقر بيننا هنا، ولكنه فيما يبدو أني صرت أخرف حتى في أحلامي آمالي!!
- حاشاك يا أمي!! لا تقولي ذلك.
رأى أنه من المناسب أن يدخل على بعض السرور بعد تكدر خاطرها، فقال لها مداعبًا:
- أظن أن فترة فراقي القصيرة ستكون كافية للزواج، أليس كذلك يا أمي؟!!
ما إن سمعت تلك الكلمات حتى كاد أن يغشى عليها من الفرحة، ثم ردّت عليه بصوت يخالط فيه الخجل والبكاء:
- الحمد لله رب العالمين. يا حبيبي توكل على الله وسيتم الله أمرك.
ثم تابعت بفرحة عارمة:
- بارك الله لك بدأ من الغد في ترتيب البيت ~~ك~~ وتزيين غرفتك.
- ~~لا تتعجل~~ بارك الله ستتعبين كثيرًا، ولكنه أريحي الأم كريمة.
قاطعته ببرة سرور:
- لن أسمح لأحد أن يتدخل في هذه الترتيبات، فأنا قد خططت هذا الأمر في ذهني منذ سنوات.
- بارك الله فيك يا أمي، وزادك قوة وعطاء.
أراد أن يستأذنها في إكمال المطالعة، فقاطعته:
- إياك أن تغير رأيك، وإلا فأنا زعلانة عليك كبيرة!!
تبسم، ثم قال:
- بارك الله بك يا أمي، ولكنه ادعوا لي بالتيسير.

* * *

في الأسبوع القادم بدأ امتحانات الفصل الأول، وساعده مدير المركز الحاسوبي في جعل دوامه ~~صباحيًا~~ الثانية عشرة ظهرًا، مما أتاح له فرصة كبيرة للمذاكرة. ~~أنهى~~ امتحاناته في آخر امتحان له يبقى في الساحة، وتوجه إلى الامتحان بهمة عالية وعزيمة قوية، وما إن انتهى من الامتحان حتى اتجه مباشرة إلى المطار، وأوقف سيارته في الموقف طويل الأجل. وصل إلى المطار واشتطن في الساعة، فاتجه مباشرة إلى بوابة الطائرة التي ستقله مباشرة إلى المملكة والتي ستقلع العاشرة مساءً.

وصلت رحلته إلى مطار المملكة في الحادية عشرة مساءً، وكان قد أخبر سالمًا أن ينتظره ذلك اليوم في العاصمة ثم يعود إلى الغربية معًا، وذلك كي لا يضطر سالم إلى الوقوف طويلًا والذهاب إلى المطار والانتظار إلى ذلك الوقت، فعندما وصلت الطائرة إلى المطار، ساور قلق من أن المسؤول في المملكة قد لا يفي بالوعود التي وقعوها عليكم من تسهيل إجراءات دخوله إلى المملكة وعدم مضايقته بأي شكل من الأشكال. بقي في قلق شديد وخصوصًا عندما اقترب من مكتب تخليص إجراءات الدخول.

ناول جواز الموظف الجوازات، وقلقه واضطرابه باديان على وجهه. أدخل الموظف رقم جوازه في الجهاز، ثم بدأ ينظر إلى الشاشة، وأحيانًا ينظر إلى محمد. ساور سالم أن هناك أمرًا ما، وتوقف عن استقبال أي لحظة. شاهد الموظف يرفع السماعة ويكلم شخصًا بصوت خافت، وأحيانًا يقلب صفحات الجواز، وأحيانًا أخرى يطالع وجه محمد، كان سالم متأكدًا من أنهم سيعتقلونه لأمر ما، وبدأ يتلو آيات التثبيت، ويدعو الله أن يعلمها عينه. وفجأة لاحظ الموظف نزل السماعة، وختم الجواز، ثم سلم إليه الجواز بابتسامة، وقال له:

- مرحبًا بك في المملكة.

ابتسم، وشكر الموظف، وبدأ قلبه يهدأ قليلًا، ولكنه خاف من أن تكون تلك مجرد حيلة لاعتقاله في مكان آخر. اتجه صوب مكان الحقائب، وأخذ حقائبه، ثم خرج من بوابة المطار، ولم يتعرض له أحد بشيء. سكن قلبه، وهدأت نفسه، ولكن القلق لا يزال يساوره، وجد سالمًا ينتظره، فتعانقا طويلًا، ثم أخذ يجر حقائبه حتى وصلوا إلى مواقف السيارات.

كان سالم قد لاحظ تغير وجهه عندما خرج من المطار، فقال له:

- رأيت في وجهك القلق والاضطراب عندما خرجت من المطار، فهل حدث لك شيء في المطار؟!!

- لا لم يحدث شيء، ولكن كنت قلقًا من ذلك، ولا زلت!!

- لا زلت تتوقع أنهم يعتقلونك؟!!

- نعم لم يطمئن قلبي حتى رأيته وقعوا تعهدات لأمريكا بعدم الإساءة إليّ.

تبسم سالم، ثم قال له مداعبًا:

- لا أظنهم يفعلون ذلك، فقد صرت من أصدقائهم!!

- أسأل الله ذلك.

قضيا جزءًا كبيرًا من الطريق، وهم يتذاكرون ما جرى لسالم والباقون من اعتقال، وما جرى لمحمد من أحداث، وعندما بقي على وصولهم حوالي نصف ساعة، قطع محمد موضوع الزواج، فقال:

- كما أخبرتك يا سالم بقي على زواجي هنالك في أبها عدة أسبوع، وقد خططت لأمر الزواج، فأظن أن عمتي قد تناقشت معك هذا.

- نعم، وأخبرتني بأن العيد جدًا حتى أن الله هيأ تلك الأحداث لتمضوا العقود.

قاطعه محمد، فقال:

N36

- وهل تظن والدليل لن يعارضا ؟!!
- لا أظن ذلك، فهما الآن يثنيان عليك كثيرًا وخاصة أمي.
- الحمد لله. أسأل الله أن يتم الأمور بخير.

تناقشا ترتيبات الزواج، فرأيا أن يتم عقد القران في بيت محمد في صباح يوم الاثنين، ثم صلاة العشاء يتم زفاف أشقائه في حوالي الواحدة بعد الليل.

عندما وصلا إلى البيت، وجد محمد أمه ووالديه وإخوته ومعهم حميته ينتظرونه، عانق والديه وإخوته، وصافح حميته، ثم اختفى أروى إلى صدره، بقي سالم معهم لحوالي ربع ساعة، ثم استأذن وهو حصة للذهاب إلى بيت والده. بقي محمد مع أهله لفترة أخرى، ثم دخلوا إلى غرفهم.

* * *

استيقظ محمد لصلاة الفجر، وأيقظ أخويه، ووجد أن والده قد سبقه إلى المسجد، استقبل جماعة المسجد بترحيب كبير، وصفحوه على سلامته ونجاته مما كاد أن يسبب له، وعرف أن الخبار ما جرى لأهله وله قد انتشر في القرية، وربما في كل المدينة أيضًا. لم يشعر بأي ارتياح عندما كانت الأنظار تطرق عليه الأسئلة، وهم يبحثون منه عن تفاصيل ما جرى له. كانت نفسه قد اطمأنت للناس بعد أن الله سيحفظه من شرورهم.

في حوالي التاسعة فوجئ محمد بقدوم عمه سعيد وخالته عفراء ليسلموا عليه، رأى البشر في وجه عفراء وهي تقول له:

- الحمد لله على سلامتك يا ولدي. لقد قلقنا عليك كثيرًا مما حدث لك.

نكس رأسه وهو يقول:

- أشكركم يا خاله وعمي على أتيتكم وقلقكم، وأنا أعتذر لكم عما حدث فيه من سوء فهم، لا أنتم في غنى عنه.

ردت سعيد بابتسامة:

- لا تقل هذا يا ولدي، فنحن أسرة واحدة، وما يؤذيك يؤذينا.

- جزاكم الله خيرًا، هذا من طيب نفوسكم.

استبشر خيرًا بهذا اللقاء، وتمنى لو علم من الجرأة في مفاتحتهم بموضوع الزواج، ولكنه رأى أن تسير الأمور وفق العادات والتقاليد.

جاء أهله وجيرانه للتسليم عليه وتهنئته على خروجه والديه ونجاته، وهو ما وقع له. كان من أهم من جاء للسلام عليه أساتذته والشيخ مصطفى، وهنأه بالعافية وبراءته، وبارك له ما حصل عليه من وظيفة ودراسة. ما زاده الأستاذ أسامة فقال:

- يا ابني، قد جعلك الله سببًا لبعض أفعال الخير والتفاؤل، وحدث في حياتنا النشاط والبهجة.

نكس رأسه وهو يقول:

- أستغفر الله يا أستاذي، فلازلت يتيم طفل متعطش إلى علمكم وأخلاقكم.

وهتف عاطف الأستاذ عاصف، فقال:

- خير الناس من ذكّرك بالله ومحمد - بارك الله فيه - يذكرنا عندما نلقاه بالدنيا والآخرة -

- جزاكم الله خيرًا على هذا إطراء لا أستحقه ولكنكم أنتم أصحاب النفوس العظيمة.

دار الحديث بينهم حول الأيام التي سيقضيها محمد بينهم وما ينوي إنجازه في هذه الفترة القصيرة، أخبرهم بأنه ينوي بإذن الله - الزواج. استبشروا كثيرًا ودعوا الله أن يتمم أمره بالخير. سأله الأستاذ أحمد عما إذا كان سيتمكن من حضور بعض اجتماعات وأنشطتهم فردّ عليه:

- كما تعلم يا سيدي أنا مشغول البال طيلة هذه الفترة، وإن رأيت فرصة لمشاركتكم فسأتواصل معك بإذن الله.

* * *

عندما اجتمعت الأسرة للغداء بعد صلاة الجمعة، طرح محمد موضوع الزواج عليهم وأخبرهم بما اتفق عليه مع سالم من أجل القراءة والزفاف، فرحبوا بالاثنين، ثم قال:

- ومع هذا فينبغي أن نعجل بالخطبة ليتسنى لنا ترتيب الأمور.

كانت خديجة تكاد أن تطير من الفرحة، فقالت بابتسامة عريضة:

- أنا مستعدة حتى الآن!!

هتف خالد وهو يمازح أمه:

- نعم، أنتِ مستعدة لتخطبي لمحمد من هذه اللحظة، وأنا المسكين أهيم كالمجنون، ولم يبادرني بكلمة واحدة!

ردّت عليه مداعبة له:

- أنت لو تزوجت عشر بنات فلن يعود إليك عقلك.

ضحك الجميع، ثم واصل محمد حديثه، فقال:

- على كل حال، كما ذكرتُ قبلنا أن نعجل بالخطبة، وأقترح أن نذهب اليوم الليلة بعد صلاة العشاء.

ردّ أبوه، فقال:

- اقتراح طيب، وأنا جاهز.

علّقت خديجة:

- هذه المرأة ستأتي معكم!!

فرح محمد كثيرًا بهذا، فقال:

- إذًا بارك الله للشابين مجيئكم معنا.

فاطمأنّ خالد، فقال مازحًا:

- وأنا سآتي أيضًا معكم، لتحلّ عليكم البركة.

وهنا قال يوسف وأروى نفس الشيء بصوت واحد:

- وأنا أيضًا.

فرح محمد كثيرًا بما يفرحه أسرته وقفا من حوله، فقال:

- بإذن الله، سنذهب جميعًا.

اتصل محمد بأخته وسالم وأخبرهما بما اقترحه أسرته، فرحّبا به، ورأى سالم

N37

أنه من الأفضل إخبار والديه. فدخل عليهما وقال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته قلقا من ردة فعلهما

- اتصل بي محمد عبل قليل وأخبرني بأنه ينوي المجيء مع والده الليلة بعد صلاة العشاء لخطبة ريهام، ما رأيكما؟!!

نظرت بدرية وكاميليا عفراء عندما استبشرت بهذا الخبر فنظرت إلى زوجها وكانتا تنتظران الإجابة فابتسم سعيدا به قليلا ثم قال:

- أليس من الأفضل أن يؤخر الزيارة عن الليلة ليتسنى لنا مناقشة هذا الأمر؟!!

ردت عفراء بنبرة توحي بالفرحة والعنفوان إتمام هذا الأمر في أسرع وقت فقالت:

- مع من تريد أن تناقش هذا الأمر؟!! حسام أمامك ولا أظنه يعاند وأنا معاضدة له!

فرح حسام كثيرا بما قالته أمه فنظر إلى أبيه وهو ينتظر رده. قال سعيد:

- وريهام؟!!

ضحكت عفراء ثم علقت وهي تضحك:

- وهل تراها سترفض؟!! وعلى كل حال فهي أنا ذهبت إليك وأطلبك.

رد سعيد بعد صمت قليل:

- إذن فعلى بركة الله.

شكر حسام والديه ثم عاد إلى غرفته واتصل بمحمد وأخبره بموافقة والديه مبدئيا، أما عفراء فإنها توجهت مباشرة إلى غرفة ريهام وطرقت الباب ودخلت بعد سماعها الإذن بالدخول وكانت جالسة عند سريرها فأخبرتها بالأمر. عندما شاهدت أمها قادمة بدا القلق يساورها من أن أمها غير راضية وقد جاءت لتقنعها بعدم الزواج منه. جلست عفراء بجانبها فقالت بنبرة توحي بالرضا:

- أخبرنا أحول عبل قليل بأنهم سيأتون بعد صلاة العشاء لخطبتك.

نظرت إليها ريهام ثم قالت بصوت خافت وكأنها لم تفهم قصد أمها:

- ومن هم؟!!

علقت أمها بنبرة فيها المزاح:

- يا خبيثة!! أتتصنعين أنك لم تفهمي قصدي؟!! من غيرهم؟! إنه محمد وأبوه.

عادت ريهام إلى طبيعتها العابثة وردت بابتسامة واسعة لا يزال مكانها:

- ولماذا تخبرني أنا؟!! وما دخلي أنا؟

- وهل جاؤوا لخطبتي أنا أم أنتِ؟!!

ثم تابعت:

- على كل حال فأنا نامي الآن وبعد صلاة العصر سنتعاون لترتيب المجلس وتجهيز الحوالة والعصائر.

ضحكت عفراء ثم استدركت قائلة:

- ولماذا لا تجعلين أنا فلا بد أنه تفضيحه.

كانت ريهام لا تفقه مما سمعته من أمها وحدثت الله أن أمر غريب عليها.

* * *

بقيت سيماء تتقلب في فراشها ولم تستطع النوم إلا قبيل أذان الفجر بقليل.

أما عفراء فعادت هي الأخرى إلى فراشها وبدأت تفكر في هذه الملابسة الغريبة وكيف علم أبو محمد بانطباعها في نفس محمد وتأثيرها عليه. نامت قليلاً ثم هبت القمر ودخلت المطبخ وبدأت تجهز العشاء. وما إن جاءت حمية وورات خالتها تجهز العشاء حتى سألتها:

- خيرًا يا خالة ما زالت تجهزين العشاء حتى الآن!!

ردت عليها بفرحة وابتهاج:

- ألم يخبرك سالم بأن أبا وأخال محمدًا سيباتان الليلة طفلة سيماء!!

تعجبت حمية من تصرف عفراء فقالت لنفسها: يا سبحان مقلب القلوب ما الذي حدث بهذا الأمر من قبل ملكما قد رزقا بولود الآن. ردت على خالتها:

- نعم أخبرني ولكني لم أفرغ لتجهيز عشاءكم.

خرجت سيماء من عند خالتها وتعاونت البنات على تجهيز العشاء والفواكه وترتيب المجلس.

بعد صلاة العشاء مباشرة دخل الأولاد على جدهم وذهبوا جميعًا إلى بيت سعيد. استقبلهم سعيد وسالم بالبشر ودخلوا المجلس بينما دخلت خديجة وأروى إلى صالة البيت.

بدأ سالم أحاديثه قائلًا: أهلكم ومرحبًا بكم وشكرهم سعيد على زيارتهم وفتح على الفور موضوع الخطبة مباشرة وقال:

- كما تعلم أن محمدًا عاد منذ هنالك عدة أيام وأراد أن يتزوج فلانة فقلنا نعجل بالخطبة ليتسنى لهم ترتيب الأمور وما رأيك يا أبا سالم؟

تنحنح سالم ثم قال:

- لنا الشرف في مصاهرتكم يا أبا محمد وأنا وسالم وأمه موافقون ولكن يبدو أن نأخذ رأي البنت.

كان محمد في غاية الابتهاج والسرور وأراد أن يسأل سالمًا وخاله ينظران إليه وكأنهما يهنئانه على ما قاله سعيد. رد علي:

- بارك الله فيكم وفي أبنائكم وحفظهم لكم.

أثناء تلك الفترة القصيرة

انشغل سعيد وهو يقول:

- وأين البنت لتستعد للذهاب إلى بيت العريس؟

تمتم محمد لصاحب عمه سعيد وهو يدخل على سيماء وكأنه يريد كيف تتصرف أمام أبيك. دخل سالم في الحديث مع علي ومحمد وسعيد وهو يسأل سالم عن أحواله وما هي الإلحاظات حتى

(X1) وكاد أن يغشى عليه من هول ما سمع

- بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما على خير.

ارتجف قلبها وشعرت بالخوف وبدأت تتساءل عما حدث وهناك. وجه سعيد حديثه إلى سالم وقال:

- حمدًا لله خيرًا يا

N 38

ثم التفت إلى والده وقام والده وعانقه وهنأه. أما في داخل البيت
فما إن عادت سيماء حتى قامت إليها منكسة واحتضنتها وقبلتها وهي تهنؤها عن ذلك.
قامت عفراء وضيافتها وعانقتها وهنأتها. كانت سيماء لا تستطيع منع الدموع
من شدة الفرحة التي تغمرها. انتبهت عفراء فقالت
الدموع من ذلك الموقف الذي أوقع أبوها فيه وكاد يقتله
لسيماء بصوت خافت:
عارمة تغمر كل خلاياها
- العشاء!
توجهتا إلى المطبخ فتبعتها سيماء وقالت لها بابتسامة:
- استرخي أنت ونحن نكفيك تجهيز وإحضار العشاء.
بقيت تعصرها وكأنها لا تكاد تستطيع عمل شيء وذهنها يفكر في محمد وقلبها يرجف من
شدة الفرح. أحضرت العشاء مع الفواكه والعصائر وكانت ليلة سعيدة لمحمد
وسيماء فقط وزادتا للأختين سعادة.

عاد محمد إلى منزله كما قرر أخو والده وعهد عليه بأنه التقى مع جميع أبناء
القرآن الرفاق يوم الاثنين في بيت يقع في الدور الثاني في بيت محمد الصباغ ثم الرفاق بعد صلاة
العشاء. لم يعارض سعيد على ذلك وقطع على موضوع أمور الاختبارات
الأخرى فقال سعيد مبتسماً وتوجه طلب مرتاح رمزياً فقط ثم قال:
- هذا بالنسبة للمهر وعلينا لدينا اشتراطات أخرى.
عندما سمع محمد هذا الخبر فرحاً كبيراً وهنأت نفسه. تابع سعيد:
- وأما بجهيز الحلي والتجهيزات الأخرى فما زال ذلك على محمد وسيماء
عندما سمع محمد هذا الخبر فرحاً كبيراً وهنأت نفسه. تابع سعيد:
- وأما بجهيز الحلي والتجهيزات الأخرى فما زال ذلك على محمد وسيماء
إلى أمريكا. لكنه
ليتفقا عليه.

عفراء محمد وسيماء ليلتهما تلك في غرفة من البيت

عندما عاد محمد إلى شقته اتصل بأخته ثم أخبرها عن مشاعر سيماء فعلقت بمزاح:
- المسكينة، ماذا سيكون مشاعرها وقد صار قلبك أسيراً لشخص آخر.
- وما فاعلة خالتي عفراء؟!!
- إنها أكثر سعادة مني بهذا الزواج!!
مازحة قائلة:
- هل يعني هذا أنك ميت سعيدة؟!!
- صه فتاة، تمنيت لو عقدت القران عليها في تلك اللحظة، ليتني لم ولم الاجتماع عواطفي.
- والله، إنها فكرة جميلة.
ثم استدرك فقال:
- ولكنه تقليص أن عقد القران سيتاح إلى بعد التجهيزات، ولن يكون هناك متسع لذلك
لو أردناه في هذه الليلة.
- على كل حال، أتمنى عندما يومان لكي نستمتع بحياة العزوبية.
- نستمتع بحياة العزوبية؟!! كفانا متع وآن لنا الولوج إلى حياة الاطمئنان وراحة
البال.
- أسأل الله لكما التوفيق.

قضى محمد وسيماء ليلتهما تلاوتها هي غرفتها البهجة والخيالات الجاملة التي يرحمان من خلالها
ما ~~كانوا~~ يتصوران من حياة ملؤها المحبة والألفة والأبناء الصالحون والعمل سويًا
لمرضاة الله وخدمة دينه. أدّت صلاة الفجر وهما لا يزالان مستيقظان وفضلا عن نامًا.

* * *

صباح اليوم التالي لم يذهب سامر إلى عمله وأصر على الصباح بصحبة والديه وأخيه بزواج أخته وأن يأخذ
الأسبوع إجازة لتجهيز الأمور. في التاسعة تمامًا وصل محمد وكان لا يزال نائمًا فأخبره
أنه أخذ الأسبوع إجازة وقال له أنه سيمر عليه ليتناقشا في تجهيز الأمور. بعد
قليل وصل سامر وبقيا يتناقشان في شراء مستلزمات العرس والتجهيز لحفلة العقد
القرآن. كان محمد سامر أمينًا - رغبة في شراء وإن طلبة عالية فرفض محمد ذلك وأشار عليه
بجودة عالية و عرضًا متواضعًا.
أراد علي أن يعين ولده بشيء من المال لتغطية المصاريف الأخرى فرفض ذلك
وأخبره أنه قد اشترى الشبكة وأنها تكفيه لتغطية تلك النفقات. وفي
بيت وسيماء تعاونت هي وحماتها على تزيين البيت وشراء مستلزمات
الحفلة التي ستقام في بيتها لعقد القران والزفاف وكانتا يحاولان الاعتماد
على شراء تلك الأمور.

في القرية الدعوة: ① يجب أن تشتري جميع الأراضي التي ستقام عليها القرية من كل شخص واحد لتصبح في حكم المالك الخاص الذي لا يحق للحكومة التدخل فيه وعندما يصل هو له ملكه الخاص.
② يجب استقطاب الكوادر من جميع أنحاء الدولة وليس فقط المدينة التي يسكن فيها أصحاب الفكرة

(X1) وهو يتلألأ كأنه البدر، خاطبها أبوها قائلًا:
- هذا محمد قد جاء لخطبتك فماذا تقولين؟
وأراد تكليمها إلا أنه لم يستطع النطق بكلمة، وكان محمد ينظر إليها وبتسم، بعد صمت قليل قال معيد:
- السكوت علامة الرضى، بارك ---

وأهدت إليه أمه وإخوته بعض المزهريات الجميلة.

أما سامر فأهدى إليه شماغًا فاخرًا، وأخبره بأن جميع مصاريف وليمة الزفاف عليه.
وأهدى إليه أبوها عقدًا آخر
وأهدت أمه إليه عقدًا من الذهب مرصعًا بالجواهر الثمينة، وأهدت إليه أختها هدى ثلاجة صغيرة،
وأهدت إليه أخته وسام ~~كنبة~~ صغيرة ولكنها جميلة جدًا. وأهدت إليه خمسة بعض الحاجيات من الذهب.
وأما فقد أهدى إليه سيادة إبرة فاخرة وطقمًا من الأكواب والفناجين. <NP>

قام محمد بطباعة مجموعة من بطاقات الدعوة ووزعها على الجيران والأهل والأصدقاء، وفعلت سيماء الشيء
نفسه. في ذلك اليوم اشترى والده غرفة نوم متكاملة، وبدأ عمال المحل في تركيبها، ولم
ينتهوا من ذلك إلا الظهيرة الأخيرة. في هذا اليوم أيضًا ذهب محمد إلى بيت عمه سعيد، ووضع له الأمر
الذي طلبه.
ورغم ضيق الوقت وكثرة الأعمال إلا أن محمدًا لم يفرط في برنامجه الذي تعود عليه منذ أيام الثانوية،
وهو لقاؤه بالشيخ القرآن - والذي كان يعطيه الدروس
بعد صلاة الفجر من يوم الاثنين لم ينم أحد في بيت علي ولا بيت سعيد، وكان الجميع يتجهز لعقد القران.
فجهز أفضل ~~ملابسه~~ توجه إلى السوق واشترى مكيات من الفواكه لبيته وبيت عمه علي، واشترى
معها أنواعًا من الحلويات، ثم عاد ووزعها على البيتين.
وخاصة النساء.
وكان سامر في حوالي الساعة 9 بدأ الأهل والجيران يتقاطرون إلى بيت علي وسعيد، وذلك للمساعدة في ترتيب الأمور.
كانت أصوات الأناشيد الإسلامية المعبرة عن هذه المناسبات تسمع في البيتين. (N39)

N39

أهم ما تعوده الناس من إذاعة الأغاني والموسيقى. (N40)

كان محمد قد التقى بالشيخ مصطفى [illegible] وقد حضر الباحة إلى بيت محمد ليسأل وجهاء إن كانت عقلاً موافقة مع الزواج. في العاشرة إلا ربع حضر الشيخ مصطفى واجتمع الرجال في بيت علي وبعد أن أخذ الرجال أماكنهم جلس محمد أمام الشيخ مصطفى وأمله عصمة إسماعيل على سنة الله ورسوله وأن يشهد الحاضرين على ذلك.

بعد أن فرغ الشيخ مصطفى من عقد قرانه دعا له بالحياة السعيدة والذرية الصالحة وقاما واعتنقا ثم التفت محمد إلى والده الذي كان يجلس بجانب الشيخ مصطفى واعتنقه وهنأه والده ودعا له، ثم اعتنق عمه سعيد الذي جلس على يسار الشيخ مصطفى وهنأه أيضاً ودعا له، ثم أخذ يتعلق سلاماً وأخاه خالد واحتضن أخاه يوسف ثم توجه إلى أساتذته وأقاربه وعائلتهم وهنؤوه وباركوا له.

بعدها جلس محمد بين والده والشيخ مصطفى بينما قام سالم وخالد ويوسف وبعض أولاد الجيران في تقديم الفواكه والحلوى والعصائر. أعلن والد محمد الحاضرين بأن الزفاف سيكون يوم الخميس بإذن الله - هذه الليلة - وأن وليمة العرس ستكون عند [illegible] في بيت علي بعد صلاة الظهر مباشرة. بعد أن فرغ الحاضرون من تناول الفواكه والحلوى والعصائر بدؤوا في الانصراف بينما كان يتبادل بعض الأقارب وأهل القرية أطراف الحديث. أما في بيت سعيد فكانت النساء تتقاطر إلى هناك وتهنئ إسماء وأمها وأخواتها على الفوز بزواج إسماء وبعضهن كن يحضرن الهدايا لإسماء. قدمت لها أيضاً الفواكه والحلويات والعصائر وكن يتبرعن فور الانتهاء من ذلك بإتاحة الفرصة للنساء الأخريات اللواتي يتقاطرن إلى هناك. [illegible] وبعضهن أيضاً فرحة وأحياناً وكان

N40

عندما وصل أساتذة محمد إلى بيته وجدوا [illegible] كان كثير من أقارب محمد وأساتذته وأصدقائه يحضرون له الهدايا وكان يستلمها منهم ويشكرهم عليها ثم يسلمها لأخيه يوسف ليضعها في غرفته.

إضافة: بدأ يوم العرس بدأ محمد وإسماء يفتحان الهدايا التي وصلتهما وكان معها أثار انتباههما وجود مبلغ كبير من المال داخل صندوق مغلف كهدية، وقد خمنا أنه من الأستاذ أسامة كالأب فلم يأبها له [illegible] بعين الاعتبار في تحمل أعباء المهر أو وليمة العرس، ولكنه محمد رفض ذلك بحجة أن هناك من تكفل بذلك من أهله.

في الحادية عشرة استأذن محمد والده وسالم للذهاب إلى بيت عمه سعيد ليسلم على إسماء

بعد صلاة الظهر تناول الغداء اجتمع سعيد وسالم وبعض الأقارب في بيت علي وتناول وجبة الغداء سوياً وكذلك فعلت النساء في بيت سعيد. بعدها افترق الجميع إلى بيوتهم وأخذ محمد والده وإخوته قسطاً من الراحة إلى صلاة العصر. وبعد الصلاة عاد سالم ليساعد محمداً في التجهز للعرس وبدأت حميه وهدى وساعة تجهز إسماء للزفاف، NP? كان يعلن جميعاً أنهن يكرسن عادة انتشرت في أرجاء المملكة وهي ذهاب العروس إلى صالونات التجميل وبقين هناك معظم النهار وبناء الصالون يقمن بتصفيف شعر العروس وتبرجها بالماكياج وبقائها في [illegible] حتى موعد مجيء النساء. لكن هذه العادة السيئة التي تكلف أهالي العائلة كثيراً ما توقع النساء في مخالفات شرعية خطيرة ومن أخطرها التعري أمام النساء الأجنبيات وتضييع الصلاة أو أداؤها على غير وجهها من أصلها وصحيحها.

كذلك [illegible] فقد [illegible] الموجودة في بيت علي وسعيد إسماء [illegible] الزفاف الذي يكلف استئجار الليلة واحداً فضلاً عن شرائها مبالغ طائلة وافقت إسماء أن ترتدي

لباسها المحتشم والجميل، ولكن مع ستره بالحجاب الشرعي الكامل، وتقشف في الكفن الخاص
ولكن غطته بالقفازات لكي لا يقع عليه نظرة من أجنبي، فهي تعلم أن الإسلام يحرم
تحرش المرأة لزوجها، بل على العكس من ذلك، فقد حظاها ذلك كثيرًا.

وبالنسبة لمحمد فقد الأمر أيضًا يختلف عما اعتاد عليه شباب المملكة من الذهاب إلى صوالين
الحلاقة منذ الصباح، وتجميل الوجه بنزع الشعر منه، ووضع الماسيق عليه، وكذلك بغير جسد العروس
بحمامات ساخنة لتليين البشرة، كما يزعمون. اكتفى محمد بالاستحمام وترجيل شعر لحيته ورأسه،
ووضع بعض العطورات عليه. ليس أحد أقرب الناس إليه ووضع الشماغ الذي أهداه له أبوه.

نظرًا لمجاورة بيت حميد لبيت علي، فلم تكن هناك حاجة لأخذ سيارة، فزفة بالسيارات،
كما تعود الناس، والتي كثيرًا ما تقع فيها الحوادث بسبب ما يحدثه الشباب المتهورون
الذين يشاركون في الزفة من تحفيظ حارات للسرعات المحددة وتجاوز للسرعات المحددة وتعريض حركة المرور
والمشاة للخطر. وكذلك الاتفاق بين محمد وأسرته وسلمى وأسرتها أن تقوم النساء بزف سيماء إلى بيت علي سيرًا
على الأقدام، بينما ينتظر الرجال في بيت علي.

بعد أن صلوا العشاء في جماعة، اجتمع الرجال في بيت علي، بينما كانت النساء يتجهزن
لزف سيماء. خرج كل من بيتها عاتقة سيماء أمها وأختيها، وأخذت أمها تبكي بحرقة
وعويل كامل لحالها، وتعلم بأنه البيت سيخلو بدونها، وأن موكب الزفة ستوقظ سيماء
النساء خلفن. كانت سلمى تحمل في يدها اليسرى حقيبة بيضاء صغيرة، وفي اليمنى
مليئة من بعض النساء اللواتي تعودن على القناوة، الرقص والطرب في زفات الأعراس.
كما الرجال ينتظرون في المجلس، بينما يقف محمد ينتظر قدوم العروس في صالة البيت، عندما وصل
موكب الزفة عند باب بيت علي، خرجت جميع النساء من خارج البيت ودخلت مع العروس إلى الصالة
أدخلت سيماء العروس إلى غرفة محمد
طلبت عفراء مساحة من أن تبقى مع محمد وحتى أمه وأخته وخالته عفراء.

لإفساح المجال للنساء للجلوس في صالة البيت.
أمسك محمد بيد سيماء وقامت حميه بالتقاط
بعض الصور لهما، ثم هنأ محمدًا وسيماء
وخرجن إلى الصالة لتقديم الحلويات للنساء.
فكاد أن يغشى عليها من شدة الفرح

أغلق محمد الباب ورفع الخمار من وجه سيماء، فبدت تتلألأ كأنها قطعة من نور. في تلك اللحظات
العصيبة لم ينس ربه الذي امتن عليه بهذه النعمة العظيمة، فجلس يحمده ويشكره، ثم قال لها بابتسامة:
- أستأذنك للحظات لأصلي ركعتين شكرًا لله على هذه النعمة العظيمة، ثم جلس يحمده ويشكره، ثم قال لها بابتسامة:
ثم جلس يحمده ويشكره على كل الظروف التي حالت بينه وبينها.
ثم توجه لها بخاطبته بصوت هادئ رقيق:

N40

- أنا أحقّ بشكر الله منك على هذه النعمة.

فلما وصلنا رفعتي شكراً لله ثم عادت شيماء وجلست على السرير بينما أخرج إليها من حقيبته هدية جميلة مغلفة. تناولتها ثم بهدوء وبطء شديد فتحتها فإذا بداخل علبة جميل من الورق ما رأت عيناي. أخذ العقد وأبدى إعجابه كما فعلت أجمل من ذي قبل. والابتسامة لا تفارقها

تناول الرجال والنساء الحلويات والعصائر ثم انصرفوا إلى بيوتهم. وبعد أن انفض الناس عادت أسرة سعيد إلى بيتها ودخلت خديجة وزوجها وأولادها إلى غرفهم ليستريحوا قليلاً من عناء هذا اليوم الطويل على السعيد رغم طوله وكثرة الأعباء فيه.

* * *

وبعد صلاة الفجر بقي محمد بمفرده في المسجد إلى أن صلى الشروق فما إن انتهى حتى بقيت تقرأ القرآن حتى ذكر الله إلى أن حان وقت صلاة الشروق فصلاها ثم انتظرت مجيء محمد عندما حان وقت استيقاظ محمد لصلاة الليل قام من فراشه وتجهز للصلاة وأحست به شيماء فتفعلت معه وصليا سوياً إلى أن طلع الفجر وقارب وقت أذان الفجر فطالت هذه اللحظات من أسعد أيامها.

وصف محمد ووصف شيماء بيانه

شيماء ثم بقيا يتحادثان قليلاً ثم نام إلى الساعة ثم خرجا ليفطرا مع أسرتها. عندما رأت عمو علي أسرعت إليه وقبلت رأسه ثم أسرعت لخالتها خديجة وقبلت يدها. بعد أن أفطروا بقليل جاءت أسرة سعيد ليسلموا على محمد وشيماء ويباركوا لهما ليلتهما السعيدة. ما إن علم محمد بوصولهم حتى سلم على أخته وخالته عفراء ثم توجه إلى المجلس حيث أبيه وإخوته ليسلموا على سعيد وسالم. انشغل سعيد وعلي في الحديث عن الخيل والمجتمع وما يدور الحديث عنه في التلفاز بينما بقي محمد وسالم وخالد يتناقشون وليمة العرس حيث كان قد اتفق مع أحد المطاعم الولائم وحفلات الأعراس في المدينة. تحدثوا أيضاً عن شراء وتجهيز المستلزمات الأخرى وتكفل خالد بالذهاب لشرائها فأعطاه محمد مبلغاً من النقود لذلك. كذلك سلم سالماً مبلغاً آخر لتغطية المطعم فرفض سالم في البداية أخذها ولكنه تحدى عليه بذلك.

بعد صلاة الظهر تجمع الرجال والنساء في بيت عمو علي لتناول وجبة الغداء والتشاور سالم وخالد ومعهم يسعدونه ويباركون له

وبعد قليل جاءت بعض نساء الأهل والجيران يأتين ليسلمن على شيماء ويهنئنها بالزفاف الميمون مجموعة أصنافهن وأقاربهم في تقديم الغداء للعاقد مني. كذلك استعانت خديجة بالطباخ وعفراء والبقري وبعض نساء الأهل والجيران في تقديم الغداء للنساء. استمرت الحفلة طوالي ساعة ثم انفض الناس وعادت أسرة سعيد إلى بيتها بينما حضر أفراد أسرة علي إلى عزومهم ليأخذوا قسطاً من الراحة إلى وقت صلاة العصر. بينما كان محمد مشغولاً في استقبال الناس وإذ فوجئ محمد بقدوم رئيس المراحم في القصر الرئاسي الذي التقى به عندما ذهب لمقابلة الملك. خفق قلب محمد وبدأ الخوف والشكوك تساوره من أن يكون هذا قد أتى لينقض على عرشه وباغتياله من يبقى أهله وذويه. سلم عليه بابتسامة مصطنعة وبدأ يرحب من الارتباك الذي أصابه. بادره رئيس المراحم قائلاً:

- صباركم على هذا العرس السعيد.

رد عليه بتلعثم:

- الله يبارك في حياتك.

سأله رئيس المراسيم بابتسامة:
- هل عرفتني ؟!!
لم يشأ أن يفضح عدم اتساعه أو هويته فنسيته لذلك والده الذي كان يجلس بجانبه، فقال له:
- نعم، وهل أتيت لذلك ؟!!
- جئت فقط لأهنئك بهذه المناسبة السعيدة، وهذه هدية متواضعة لك !!
شكره رئيس المراسيم بظرف صغير، فاستلمه محمد بيده وتوجه، ثم قال له:
- شكرًا.
ثم أراد أن يبدأ ريما به من خوف واضطراب، فقال له وهو يشير إليه بالجلوس لتناول الغداء:
- تفضل.
- اعتذر لك، فعندي أعمال أخرى أريد القيام بها.
تحرك رئيس المراسيم، ثم اختفى. وضع محمد الظرف في جيبه، ولم يبدأ بأكله حتى خرج من المجلس وأجال ببصره ليرى آثاره، فلم يرَه: ذهب فورًا إلى سالم، وكان مشغولًا بتقديم الصحون للضيوف، فناداه، عندما وصل بجانبه، قال له بلهجة وهو يمثل حيرة من القلق والارتباك:
- هل رأيته ؟!!
تعجب سالم من هذا السؤال، وردّ مستغربًا:
- من ؟!!
- رئيس المراسيم !!
توقف سالم بصوت لفت انتباه بعض الناس حولهم، فقال:
- ماذا ؟!!
- نعم هو، لقد جاء حسب زعمه، ليُبارك لي، وسلّمني هذا الظرف.
- وأين هو الآن ؟!!
- لا أدري !! لقد طلبت منه الجلوس لتناول الغداء، فاعتذر.
- وما بالظرف ؟!!
- لا أدري، لم أفتحه.
هنأ ابتسام سالم وخاطبه بمزاح:
- أظنهم أرادوا فقط أن تكفّوا عن خطفهم، ويعتذروا إليك.
ابتسم محمد، ثم قال وقد بدأ قلقه يهدأ:
- والله، لقد كادوا أن يُطيروا قلبي من شدة الخوف.
عندما دخل إلى غرفته، أخرج الظرف من جيبه وقال لشهاد وهو يبتسم:
- جاءني زائر خاص، وأهدى إليّ هذا الظرف !!
سألته شهاد بفضول:
- من هو ؟!! وما بالظرف ؟!!
- رئيس المراسيم بالقصر الرئاسي !!
بدأ القلق يساور شهاد، وخاطبته بما تحمد الله أن يصيبه مكروه، فقالت:
- وماذا يريدونه منك ؟!!

حسبما قال فإنه جاء فقط ليبارك لي.

رد عليه وهو يفتح الظرف

أخرج من الظرف وصاصة مكتوب عليها: "هذه هدية متواضعة من جلالة الملك عناية عرسه الميمون". أدخل يده في الظرف مرة أخرى فأخرج شيكًا بقيمة مئة ألف ريال. أعطى الظرف والشيك لشيماء وهو يقول لها بابتسامة:

- خذي أنتِ، فقد تحتاجين لهذا المبلغ في المستقبل.

لم ترفض هديته، فأخذته بابتسامة.

* * *

قضى محمد وشيماء اليوم التالي وهما يستقبلان الضيوف ممن يأتون ليهنئونهما بالزواج. في يوم الأربعاء ذهبا إلى العاصمة لشراء تذكرة سفر لشيماء، وأيضًا للحصول على تأشيرة من السفارة الأمريكية. خاف من معاملة عبيد وخالة عفراء من أخذ شيماء معه إلى أمريكا، وأخذها بذلك. بدءا في البداية بوضاعة عفراء - قلقًا من غيابها عنه لفترة طويلة، ولكنه سالمًا طمأنها بقوله: التواصل معهما، موافقًا على مضض.

في اليوم التالي ذهبا بعد صلاة الفجر والإفطار إلى العاصمة، ووصلا في الساعة تمامًا. توجها أولًا إلى السفارة الأمريكية، وما هي إلا ساعة حتى خرج الموظف بالإستمارة بعد أن أجابت شيماء على كثير من الأسئلة، وقال لها بعدها: سيذهب بدوني. عندها لم يجد بدًا من أن يظهر بطاقة الجنسية الأمريكية، فأخذ الموظف ينظر فيها ثم قال:

- أهلًا بك يا سيدي، لم أكن أعرف أنك تحمل الجنسية الأمريكية. وبهذا يحق لزوجتك مرافقتك بدون تأشيرة. فقط أعطني جوازك وجوازها وصورتين شمسيتين لكل منكما، وخلال يومين ستكون الأوراق جاهزة.

شكر محمد كثيرًا بهذا، فقدم له ما طلب وشكره على تعاونه. عندها توجها إلى مكتب الغرفة وحجز للمغادرة مساء الجمعة. بعد ذلك مرّا على أحد المراكز التجارية، واشتريا حقيبة سفر كبيرة لشيماء، وحقيبة يد لأختها معهم في الطائرة. في العاشرة تمامًا اتجها إلى المطار في العربة.

قضى وشيماء اليومين المتبقيين في تجهيز أمور السفر، وزيارة بعض الأرحام والأصدقاء. لم ينس أيضًا أن يخص الأستاذ أسامة بزيارة يناقش فيها معه ظروفه على وداسته، وخطته التالية بعد الزواج والاستقرار في أمريكا. أخبره بأن همته الآن هو بناء شيماء علم الفقه في الدول الإسلامية، وحسب نظرته لن يتأتى ذلك إلا بالوصول إلى مراكز موثوقة في العمل يصاحبها تميز في الدراسة. قال الأستاذ:

- أتمنى لك التوفيق في سفرك، واستطعت أن أقنع الدولات في الجمع العلمي، وإقامة الجسور مع الدول الأخرى، وإذا للمسؤولين في بلادنا بتوجيه مقدار من تلك الأموال لصالح الدول الإسلامية فإني أكون بذلك - بإذن الله - قد وضعت حجر الأساس لنهضة علمية واسعة.

كان الأستاذ أسامة يستمع إلى هذه الطروحات المتوقدة وهو في غاية السرور، قال له بابتسامة:
- أرجو أن الله يا ولدي أن يفتح للناس الأبواب ويهيئ لهم السُبل، ولكن لا يخفى عليك أنك ستواجه تحديات وعقبات كثيرة عند التعامل مع المسؤولين في البلدان الإسلامية.
قاطعه بابتسامة:
- من أجل هذا أخبرتك بأني سأسعى جاهدًا للوصول إلى مركز مرموق يؤهلني للتواصل مع أصحاب القرار في العواصم الإسلامية، وإني سأجتهد أن يكون تواصلي معهم باعتباري مسؤول أمريكي وليس فردًا من أفراد المسلمين، وليس هذا لعدم اعتزازي بإسلاميتي وهويتي العربية، ولكن الواقع - للأسف - لا يخفى أن الأمريكيين يحترمون - بل يهابون - الأمريكي أكثر من احترامهم لأبناء جلدتهم.
- صدقت يا ابني، وماذا عن مشاريعك الدعوية؟
- أتوقع - بإذن الله - أن أكون أكثر فعالية وتأثيرًا عندما أتواجد بالمركز العلمي والوظيفي.
شعر الأستاذ أسامة وكأن محمدًا يركز كثيرًا على هذين الجانبين، فخاف أن يأتيه الشيطان من قبلهما، فحذّره قائلًا:
- يا ابني، أنت تخوض معارك ضارية مع نفسك والشيطان، فاحذر أن يضلل أحدهما.
ابتسم محمد وقال:
- أدرك هذا يا أستاذي، وإني لأرجو بمثل هذا الدعاء الخاص من الناس لأنهم - بلا ريب - سيشكلون في نفسي، وأدرك أيضًا - كما تفضلت - أن معركتي القادمة هي مع نفسي والشيطان، ولذلك فزادي هو تقوية صلتي بالله، والتضرع إليه - سبحانه - أن يعينني بعونه، ويحفظني من شرورهما.
سُرّ الأستاذ أسامة بهذا الرد كثيرًا، ودعا له بأن يبلغه آماله، ويجعله - بحق القائد الرباني الذي يعيد لهذه الأمة مجدها وعزتها.

* * *

منذ أن أخبر سالم والديه بقرار محمد أخذ شيماء معه، وعفراء في حزن شديد، ولم تكن حديثة بأحسن حالٍ منذ كانا عندما يلتقيان يتذاكران هذا الأمر، ويشتد احتياجًا، ربما الكرب فتدمع أعينهما، أما شيماء فكانت مشاعرها غريبة مثل القلق والرهبة من المستقبل والغربة مع فضول ورغبة في رؤية أمريكا، تلك البلاد التي كثيرًا ما سمعت عنها من خلال أخبار محمد التي يتنقل بها كانت، وتلك التي صار يقص محمد عليها كثيرًا منذ عودته.
في يوم الجمعة قررت الأسرتان مصاحبة محمد وشيماء إلى المطار، رغم محاولات محمد وسالم في ثنيهما عن ذلك، كما قد طلب سالم من أحد ملاك الذين يعيشون في العاصمة الذهاب للمطار الأمريكية صبيحة الجمعة، واستلام أوراق شيماء، وأن يحضرها إليه في المطار. صنعت خديجة وعفراء الكثير من الحلويات لتأخذها محمد وشيماء معهما.
ركبت شيماء مع والدها وأخيها في سيارة خديجة مع محمد ووالديه وإخوته، كما عدا خالدًا الذي ودّعهما في البيت، وبعد أن وصلا المطار، وأنهيا إجراءات المغادرة، كان وداع الأسرتين يتسم بالحزن والبكاء وخاصة مع خديجة وعفراء وشيماء، رغم ما يشعر به من حزن لمفارقة أهله، وشعر بسعادة كبيرة لسفر شيماء معه، وأما شيماء فرغم إحساسها بالأسى والاعتزاز لمرافقة محمد، إلا أن حزنها لمفارقة أهلها وبلدها كان شديدًا.
بعد أن ودّعا أهلهما حاول محمد أن يخفف عن شيماء بعض ما تجد من حزن، فقام يشرح

N42

لكن أقلع المطار، وانتظمت الطيران، وكانت بينه وبين آخر ما يأتي إليه بعبارات تجعله يبتسم. بدأ الحزن يتلاشى تدريجيًا، ولكنه تعلق بالصاحب بالمقبول مما سيجده وتشاهده في الطائرة ثم في أمريكا لا يزال في ترايد.

بعد أن استقرت بهما الحال في الطائرة، وبدأت نفوسهما تهدأ قليلاً، وخاصة بعد تناول وجبة العشاء، ثم إطفاء الأنوار على أرواد النوم. كانا مرهقين جدًا، ورغم سعوبة النوم على كراسي الطائرة، إلا أنهما غطا في نوم عميق. استيقظ محمد في موعد توقعه لضياع الليل، فأطل برأسه من النافذة، فلم ير أثرًا للبزوغ الفجر. حجب نفسه قليلاً من الكراسي كي لا تستيقظ شيماء، ثم ذهب إلى دورة المياه ووضأ، ثم عاد إلى كرسيه، وبقي يصلي ويدعو الله، إلا أنه رأى آنذاك الفجر قد بزغت، فانتفض شيماء، ثم اصطحبها إلى دورة المياه، ثم عاد، وصليا الفجر، ثم بقيا يقرآن القرآن إلى أن رأوا الشمس قد سطعت، والنور قد أنار عتمة الليل، فصليا الشروق.

قضيا ما يتبقى من الساعات الطويلة للرحلة في تذكر أيامهما منذ أن كانا صغيرين، ثم الذكريات الحلوة والمرة التي كانت تجعل كل منهما يتجاهل الآخر بعد أن بلغا الحلم، وانقطع التواصل بينهما. عرجا أيضًا على دراسة محمد في أمريكا، ومعاناتها، وهي طويلة تلك الفترة، ثم الأحداث التي مرت على محمد، وأخيرتها في الآونة الأخيرة، ثم تعجب شيماء من محمد في عالم الأحلام والهلوسات، وما ينوي تحقيقه، وخاصة أن كلمات نجاشه وتشدد من إزاره.

قضيا ساعات في قراءة بعض الكتب التي اصطحباها، وبين فترة وأخرى كانا يشعران بالتعب والملل، فيخلدان إلى قيلولة خاطفة. وصلت طائرتهما إلى مطار واشنطن في الساعة الثامنة صباحًا من يوم السبت، بعد أن أمضيا ساعات في الطائرة.

أراد أن يذكر الفارق في المعاملة بين كونه مواطنًا من المملكة وبين كونه يحمل الجنسية الأمريكية. أخرج ملف الموظف الجوازات جوازه الأمريكي، ووضعه جانبًا، وبقي يقلب في أوراق شيماء وجوازها. الموظف جوازه ثم إلى الوثائق، بينما كان في السابق يعطي وقتًا طويلاً، والموظف يقلب أوراقه، ويطالع ما هو مكتوب عليه في جواز السفر.

بعد أن أنهيا إجراءات الدخول، انتقلا فورًا إلى مطار رونالد ريجن الداخلي، ثم انتظرا لمدة ساعات إلى أن حان وقت إقلاع طائرتهما إلى مطار بوسطن. في تلك الأثناء عبرت شيماء عن إعجابها بما رأته من خدمة كثيرة في المطارات المشهورة، فخامة مطار، وحسن تنظيمه، والأمن

فصل جديد: شيماء الداعية

عندما وصلا إلى مطار بوسطن، واستلما حقائبهما، توجها بسيارة محمد التي أوقفها في مواقف المطار. أبدت شيماء إعجابها بهذا التنظيم، ثم أبدت سعادتها وهما يجوبان شوارع بوسطن متوجهين إلى شقة محمد. في الطريق توقف محمد عند إحدى البقالات لشراء بعض المستلزمات المنزلية، وعندما وصلا إلى الشقة أعجبت شيماء كثيرًا بالرغم من صغرها، فعلقت قائلة:

- صدقني يا محمد هذه أول مرة أشعر فيها بأني في مكان أستطيع إدارته بنفسي.

علق محمد مبتسمًا:

- انتهت آيات الآية حسيبة هذا المطاف وتبته.

استمر أحمد قليلاً إلى وقت صلاة الظهر، ثم ذهب إلى المركز الإسلامي ليؤدي صلاة الظهر. وكم كانت فرحة إخوانه وأصدقائه عندما علموا بعودته سالماً، فتقبلوا التهاني وعانقوه بعد عودته من الصلاة.

* * *

تناقش مع ريشار كيف يمكنه قضاء وقت الذكر التي عادة ما تقضيه في العمل والدراسة، وتناقش الأمر أيضاً مع إمام المركز الإسلامي وأخويه عبد الله ومبارك، من توفيق الله له أن مدرسة القرآن في المركز الإسلامي كانت تبعث عن مدرسة لغة عربية، فأخبر إمام المركز بذلك، فتقابل ريشار مع إدارة المدرسة، فوافقوا على تعيينه مدرساً في [illegible]

كانت رغبة محمد [illegible] أن تواصل ريشار دراساتها العليا، ولكن نظراً [illegible] فضل الدراسين، وأن دعوة التحاقها بالدراسة في فضل الخريف، [illegible] ماجستير التكنولوجيا الشهير وجامعة بوردو وغيرها من الجامعات العريقة والمرموقة [illegible] انتظرت عدة أسابيع وحصلت على موافقات مبدئية من عدة جامعات، ثم بعد تفكير عميق [illegible] في جامعة بوردو، ديني، [illegible] محمد من هذه الرغبة العارمة من ريشار، وفوجئها [illegible] كان محمد يقضي نهاره في جامعة هارفارد مستغلاً بين مركز [illegible] والدراسة، [illegible] ولذلك وجدت ريشار الفرصة لقضاء وقت أطول في المركز، للحديث مع نساء الجاليات الإسلامية حول [illegible] أمور الدين والدعوة، بدأت تجد ريشار يستطيع [illegible] بين النساء في المركز، كما [illegible] بين الرجال من قبل، كان [illegible] إلى المركز بعد انتهاء محاضراته في الجامعة، [illegible] يصلي العشاء، ثم يعود إلى الشقة.

ورغم أنه [illegible] بدأ يتأقلم مع الظروف والعمل، وغدا [illegible] ريشار، فإنه [illegible] بالغربة وفقدان الأهل، وكان يقضي كل ليلة قرابة ساعة قبل النوم، وهما يتحادثان عن دور المسلم في الحياة، والتضحيات التي ينبغي على تقديمها لدينه وأمته، كان [illegible] يعلم أنها ريشار لم [illegible] تحظ بتربية دعوية راسخة [illegible] كما امتن الله عليه، ولذلك فكانت جلساته معها محفزة لها على البذل والعطاء، ومهيئة [illegible] لها تحمل الشدائد، كان تتلمس في هذه الغربة وجوده يجانبها، واستقبل الرأي جلمان [illegible] الوحدة، ثم [illegible] يكون بجانبها، وأن يهيئ لها السبل والوسائل لذلك. وجدت ضالتها في الكتب الكثيرة التي يمتلكها محمد، وغيرها الموجودة في المركز الإسلامي، فكانت تقضي عدة ساعات في اليوم في القراءة.

(N43)

صارت إجازة نهاية الأسبوع الفرصة الكبيرة للعمل الدعوي، فكان يقضيان معظم الوقت في المركز الإسلامي، وهما يخططان ويوجهان ويعلمان، كان هم محمد بناء مؤسسات دعوية كان واقع الوفاء بحاجات المسلمين وغير المسلمين لكل ما يتعلق بفهم الإسلام ونشره، كان تركيزه كبيراً على تربية النشء منذ نعومة أظفارهم على العيش في الإسلام ومن أجل الإسلام، تناقش مع ريشار في إصدار مجلة متخصصة للأطفال المسلمين لهم بدلاً عن المجلات والكروت المنتشرة، واستطاعت بفضل الله ريشار أن تقنع العديد من الأخوات لتبني مشروع هذه المجلة، [illegible] الأعمال والدراسة، محمد [illegible] الفصل وتدريس ريشار ولقائها أوقاتاً في المدرسة والمجلة، [illegible] الخريف بسرعة رهيبة، وقد ينتهي إلا وإجازة عيد الميلاد

(N44)

(N43) الجليل أسامة بن زيد رضي الله عنه - الذي ولاه رسول الله ﷺ قيادة جيش مؤتة، وعمره 17 سنة.

N44

ع الأبواب. كانت خطتها هو قضاء الجزء الأول منذ حضور المؤتمر رابطة الشباب المسلم العربي، وفي الجزء الثاني تستقبل أسرتيهما اللتان ربما تزيارتهما لها مدة أكثر من شهرين. في هذا العام (٢٠٠٠) أقيم المؤتمر الرابطة في مدينة ؟؟؟ فكانت فرصة لها لاكتساب المزيد من العلم والفهم لدينها، بالإضافة إلى التعرف على العديد من الدعاة.

يأخذه في إجازة عيد الميلاد

قضى محمد إجازته السنوية إلى قسمين: الأول يقضيه في أمريكا، والجزء الثاني يعود إلى فيه إلى المملكة.

عندما وصلت أسرة علي وسعيد، استأجر لهما محمد شقة في أحد الفنادق القريبة من الجامعة، كانت فرحة خديجة وحفراء لا توصف، أتيحت لهما محمد زيارة العديد من المعالم السياحية في بوسطن وهي تركي أينكي وهي تلتقي بشهامة

والمدن المجاورة، وتعرفها على المركز الإسلامي وجامعة هارفارد. بقيت الأسرتان في أمريكا حوالي أسبوعين، وكان سالم وخالد وحمية وبوسعيد وأروى من أكثر الناس استمتاعاً بهذه الرحلة. سرت خديجة وحفراء بما رأتاه من سعادة محمد وسيماء، رغم صغر الشقة التي يسكنان فيها.

في نهاية العام عاد إلى المملكة، وكانت فرحة خديجة وحفراء لا توصف بعودتهما

وخاصة هيا أنه علمنا أنه سيكون معاملة في المملكة أسبوعين فقط، ولكنه كانت كافية لمحمد لمناقشة أحوال الدعوة مع أساتذته، ووضع خطط وتصورات لمشروع دعوية جديدة ابتكرها محمد في أمريكا، وبدأ تطبيقها. أما سيماء، فبالرغم من الصعوبة تحركها بسبب الحمل، غير أنها حاولت هي الأخرى أن تؤدي قاعدة الدعوة النسائية في القرية، وساعدها محمد في ذلك بالتنسيق مع أساتذته والشيخ مصطفى ناذر ENP?

عندما عاد إلى أمريكا، كان قد بقي أكثر من شهر عن انتهاء الإجازة الصيفية، فكانت فرصة لمحمد أن يكثف نشاطه الدعوي. كذلك، فإنه قد أنهى المقررات المطلوبة في مرحلة الماجستير، ولم يتبق عليه إلا الرسالة، فتردد خلال هذه الفترة كثيراً على مشرفه الأكاديمي لمناقشة خطة الرسالة، رأى أنه يوجه رسالته لخدمة أهدافه الكبرى، فاقترح على مشرفه أن يجعلها عبارة عن دراسة ميدانية حول واقع تقنيات الفضاء وعلومه في العالم الإسلامي، فأعجب مشرفه بالفكرة كثيراً، وأخذ مدير مركز سميثونيان بتوجيه هذا المقترح بذل ووعد بالتنسيق مع وكالة ناسا. وفعلاً جاءت الموافقة من ناسا على شكل منحة مالية كبيرة لتغطية نفقات الدراسة. كل ذلك جعله - وبالتعاون مع مشرفه الأكاديمي ومدير مركز سميثونيان - يضع خطة لزيارة البلدان الإسلامية خلال فصل الربيع، ثم يقوم بصياغة النتائج وكتابة الرسالة في فصل الربيع.

في نهاية شهر يوليو رزقهما الله بمولود وسيم الخلقة، ذكي الملامح، أسماه عبدالله، فكانت فرحتها وفرحة أسرتيهما لا توصف. في اليوم السابع أقام في المركز الإسلامي عقيقة، وهي الشاة المعروفة.

to N46

والفنادق

قضى الأسبوعين الأولين من فصل الخريف في الإعداد للدراسة التي سيقوم بها وخاصة في جمع التأشيرات له ولسيماء، وأيضاً في التنسيق مع حكومات الدول الإسلامية من خلال وكالة ناسا. فرحت سيماء كثيراً عندما حينما في زيارة هذه الدول، وكانت فرحته هو أكبر، فلأول مرة في حياته سيزور بلداناً إسلامية، كما حفظ جميع عنها، ويتعرف على شعوبها. لم تكن الدراسة هي همته الأكبر، بقدر ما سيتعرف عن قرب على إخوانه المسلمين وأحوالهم والظروف التي يعيشون فيها.

أعدت وكالة ناسا له كافة الترتيبات وخاصة تأشيرات الدخول إلى تلك الدول، والرحلات الجوية التي ستقله من بلد لآخر، فقد وضع في الحسبان الإرهاق الكبير الذي سيعاني منه وخاصة سيماء، المهمة التي جاء لأجلها. ونظراً

ولذلك، جعل أوقاتًا للراحة وأوقاتًا للاجتماع بالمسؤولين في الدول، وأوقاتًا أخرى للاستجمام والسياحة.
بدأت رحلتي في أوائل سبتمبر، وانتهت في نهاية نوفمبر، أي خلال أكثر من شهرين. وقد اختارها كعينة مناسبة للدراسة تشمل المتقدم منها صناعيًا وعلميًا، والأخرى التي ما زالت تصنف ذيل قائمة الدول النامية، وتشمل كذلك الغني بمواردها واقتصادها، وبعض الدول الشحيحة في مواردها، أو التي تعيش أهلها في مستويات عالية من الفقر والجهل والبطالة.

كان لم يكن هدفي سياحيًا بدون هدف، وإنما كانت بدورها كبيرة لخدمة الدراسة من عدة نواحٍ، منها أهمية إدخال المعلومات والبيانات على الحاسوب، ومنها التقاط الصور للمنشآت التي تعنى بالدراسة، وأحيانًا صورًا تذكارية لأماكن وأشخاص. علمًا أنه يستغرق وقتًا طويلًا في وضع صورة واحدة على الحاسوب، ومنها البحث عن معلومات عن الدول التي أزورها، والتي تشمل على محاور الحوار والنقاش مع المسؤولين في تلك الدول.

كانت رحلة مفيدة جدًا وممتعة، وفي الوقت نفسه متعبة بالهموم. استطاع محمد أن يحصل على مادة علمية غزيرة وبيانات مهمة جدًا لدراسته. لكن ما آلمه وآلم سيماء أحوال غالبية الدول التي زاروها؛ فما زالت معظمها تعيش في مستويات متدنية من العلم والتكنولوجيا، وغالبية شعوبها تعيش في جهل وفقر وتخلف. وجد أنه في غالبية هذه الدول يعيش المواطن وكأنه لا يهمه إلا الكسب اليومي، وأما التمسك بالإسلام - فقلما نجد منه شيئًا.

الكسب الوحيد المهم للرحلة لدى سيماء أن الدول التي زاروها كانت لدى معظمها موارد طبيعية وبشرية قادرة على الارتقاء بشعوبها إلى مستويات أفضل من العلم والتكنولوجيا، غير أن حكوماتها غارقة في الفساد الإداري، فينهبون ثروات بلادهم بشتى الوسائل والحيل. لقد وجدا الشعوب غارقة في البطالة والفقر، وفي الوقت نفسه نجد الرشاوى والمحسوبيات بين العاملين في الحكومة، حتى إنها تعم غالبية المسؤولين. وكيف للجائع أن يحس بالجائع؟ للأسف الجماهير المسكينة التي تكتظ أحيانًا للبحث عن لقمة العيش سواء المعيشي أو الوظيفي.

وجدا أيضًا أن كثيرًا من البلدان التي زاراها غارقة في الدماء، قد دمرتها الحروب الطائفية والعشائرية أو الحروب العادية بين الدول، وهي السائدة بين الشعوب الذين جاءوا - كما يزعمون - لإنقاذ تلك البلدان ونشر الديمقراطية والحرية بين شعوبها. لقد شاهدا أطفالًا صغارًا لا يهمهم لا بدراسة أو حتى مساعدة أهلهم في تحصيل لقمة العيش، وإنما يمارسون أعمالًا مرتزقة جنودًا يحملون السلاح بدلًا من الحقائب وأعمالًا أخرى.

ومع كل هذه المشاهد المحزنة في مجتمعات الأمة، إلا أنهما وجدا اتجاهًا مبشرًا بالخير، فقد وجدا في بعض الدول اهتمامًا كبيرًا بتنشئة الأجيال على القرآن، وشاهدا جماعات وأفرادًا نذروا أنفسهم لخدمة دين الله، كان من بين هؤلاء الحلم الذي راود محمد عندما رأى هذه المشاهد، وكيف عليه الإنكار بهذه الأساليب الناجحة، وتوسعة دائرته لتشمل كافة نواحي تلك البلدان وغيرها من البلدان المجاورة.

N45

(N45) أما فيما يخص التكنولوجيا، فقد وجد أن المسلمين في بريطانيا يتمتعون بمكانة علمية رائدة في بعض الدول، وهي مكانة تفوق مكانة المسلمين في الدول الأخرى. وأما فيما يخص العلم والفضاء، فكانت الاهتمامات به نادرة عن الدول التي زارها. والعجيب أن معظم المسؤولين الذين التقى بهم محمد رغم شهاداتهم العلمية العالية، إلا أنهم منزعجون نفسيًا ولا يقدمون لأنفسهم حظًا في الوصول إلى ما وصلت إليه الدول الصناعية. وقد حاول محمد من خلال حلقاته تحريض المهاجرات التي كانت تقابلهم في أثناء رحلته - أن يقنع بعضًا منهم بضرورة التغيير من خلال العمل الجاد والتخطيط السليم، ولكنه وجد أن هذا الهم شيء معدوم عند كثير منهم.

* * *

بعد عودتهما إلى أمريكا انكب محمد وجدًا على تجميع كل ما حصل عليه في زيارته، ثم قام بعرضه على مرشده الأكاديمي الذي شكر له جمع المادة العلمية التي حصل عليها. كذلك، كتب تقريرًا وافيًا لوكالة ناسا عن كل ما قام به في تلك الرحلة، والمعلومات التي حصل عليها، ولم يفته أن يختم تقريره بتوصية طويلة ومفصلة عن إمكانية القيام به مستقبلًا من زيارة تلك الدول، ونقل علوم التكنولوجيا والفضاء إليها. وما عدا ذلك، إلا كتمهيد لما ينوي القيام به في مرحلة الدكتوراة وما بعدها من مشاريع تستهدف الدول الإسلامية التي زارها بشكل مبدئي، مع تنحية اليابان جانبًا.

أما شيماء، فقد اجتهدت في ترتيب الصور والمشاهدات التي حصلا عليها في تلك الرحلة في عروض تقديمية بطريقة لافتة، لعرض تقريرها إلى المسلمين في أمريكا من خلال محمد. كذلك، اجتهدت هي ومحمد في صياغة تصور طويل للمشاريع الدعوية التي يطمحان للقيام بها، سواء في أمريكا، أو الدول الإسلامية، لتحسين مستوى تلك الشعوب في فهم دينهم والعيش لخدمته.

ونظرًا لأن شيماء في شهرها الأخير للحمل، فقد اعتذرت عن عدم الذهاب هذا العام لحضور حج المؤتمرات الإسلامية، وإنابة أهلها لها لتشهد ولادة حفيدها. (N46)

* * *

في فصل الربيع كرس محمد جهوده لكتابة الرسالة، بينما قضت شيماء معظم وقتها مع طفلها. ولكنها لم تنسَ أيضًا المركز الإسلامي، فكانت تحرص على الذهاب إليه في الفعاليات التي تقام فيه، وتقدم - أحيانًا - بعض الدروس والمحاضرات، وتبقي على اتصال مستمر بأطواكي في جلة، أيضًا.

أما محمد، فبالرغم من ضغط العمل وكتابة الرسالة، وعنايته بالمولود الذي كان يكثر من البكاء أوقاتًا طويلة في ليله، من ضمن ما رصده المستقبلية التي حاول بها

في بلورة مع إخوانه في اتحاد الطلبة والمركز الإسلامي إقامة جامعات ومدارس إسلامية في بعض الدول الإسلامية التي تسمح قوانينها بذلك.
نظريًا وتطبيقيًا

لقد كان هدفه الكبير من هذه الخطوة تخريج جيل من الشباب المسلم متسلح بأحدث ما توصل إليه العلم، وفي الوقت نفسه يحمل همّ هذه الأمة، ويكون من الدعاة الذين يبيعون أنفسهم وأموالهم لخدمة دين الله. كانت نظرته هو بناء هؤلاء الشباب والفتيات منذ نعومة أظفارهم، بحيث يصلون إلى مرحلة الثانوية وهم قادرون على العطاء دينيًا وفكريًا وعلميًا والإنتاج. كان يعلم أن ذلك الأمر يتطلب تحصين هؤلاء الفتية من الأوبئة المنتشرة في مجتمعاتهم، ولذلك جعل همّه ~~الحفاظ~~ على تلك الطاقات وطاقات أمتنا الإسلامية، بعزلهم عن مجتمعهم، وإنما من خلال البناء ~~الفكري~~ السليم إيمانيًا وفكريًا.
سلوكيًا والفكرية وحتى العقدية
سلوكيًا
الإيمان

N47

مع مشارف فصل الربيع استطاع أن يكمل المسودة الأولية لرسالة الدكتوراه، مما مكنه لعرضها على مشرفه الأكاديمي. وخلال فترة المراجعة، استغل فترة الإجازة الصيفية لزيارة المملكة، ومن هناك قام بزيارة العديد من الدول الإسلامية، وحمل معه الكثير من المواد الدعوية التي تم إنتاجها. ونظرًا لبقاء زكريا في المملكة مع أهله الصغار الذين تنقل بطفلهما، استطاع إقناع الأستاذ أسامة بصحبته في هذه الرحلات. لقد كان الهدف من وراء هذا الاستفادة من فكر الأستاذ أسامة الذي وجد بأنه في مجال الدعوة، وفي الوقت نفسه تحفيز الأستاذ أسامة ليخرج بأفكار ~~جديدة~~ بالأنشطة الدعوية من هذه المملكة إلى الدول الإسلامية الأخرى. وفعلًا، وعلى عادة أكثر من شهر في المملكة، وهما قد وضعا العديد من التصورات لمشاريع دعوية أخرى كان من ضمنها إقامة ما يعرف بالرحلة العلمية، حيث يتم تجميع العديد من مشائخ العلم وطلبته للقيام في فترة الإجازة الصيفية بزيارة بعض الدول الإسلامية وفق برنامج دعوي متكامل أعدا له تصورًا واضحًا. وقد تطوع الأستاذ أسامة في الإعداد للرحلة العلمية القادمة بحكم ~~معرفته~~ لمواصفات العديد من مشائخ العلم، على أن يقوم محمد بالتنسيق مع الجهات الدعوية العاملة ~~الرئيسية~~ في الدول التي ستشرف الرحلة زيارتها.
وعقد لها في مقر مركز الفقاء ومركز ميشونيان وشركة ميكروسوفت العديد من المحاضرات التقنية

بعد عودتهما إلى أمريكا، كرس محمد معظم وقته للانتهاء من رسالة الدكتوراه، وبنهاية شهر ديسمبر تم مناقشة رسالته و~~حصوله~~ على درجة الدكتوراه بامتياز مع بعض التعديلات الطفيفة، ~~الشكلية~~. استغل فصل الربيع لطباعة الرسالة وإنهاء إجراءات تسليمها إلى الجامعة، وفي نهاية ~~الفصل~~ الربيع حضر محمد وزكريا حفل التخرج، وسارا كما فعلت أسرتهما التي رتبت لهما محمد زياح خاصة مع نفقته.

بعد حصوله على الدكتوراه صار تحقيق حلم محمد كاب قريبًا أو أدنى، فقد تلقى بعد اجتيازه ~~المملكة~~ في خلال الصيف وإنما ~~حضر~~ امتحان الدكتوراه عرضًا من وكالة ناسا لم يحلم بمثله أبدًا. لقد عرضت عليه الوكالة تأسيس ~~معمل~~ تقنيات الفضاء، والذي تقع عنابة ورشة العمل لكل ما يتعلق بتقنيات الفضاء، وعرضت عليه ~~مكافأة~~ ~~ضخمة~~ وعرض ~~أن~~ ~~يعمل~~ في العالم كرائد أساسي، بالإضافة إلى العديد من الحوافز المغرية، ومنزل فخم بكامل أثاثه ~~في~~ ~~الفضاء~~ وسيارة فخمة لاستخدامه الخاص.
من مركز كنيدي لأبحاث الفضاء في ولاية فلوريدا
في المملكة

N48

لم يكن ليفرط في هذا العرض، ولكن بطبيعته المتأنية استشار مرشده الأكاديمي ومركز ميشونيان وبعض إخوانه في اتحاد الطلبة المسلمين والمركز الإسلامي واستشار أصدقاءه وأساتذته، ووجهة الجميع على

كان أبو محمد يسمع الحوار وهو ساكت، فالتفتت أمُّ محمد إليه، وقالت له: لماذا لا تتكلم يا أبا محمد؟ ألا تسمع ما يقوله ولدك؟ قال لها أبو محمد: يا أمَّ محمد، استهدي بالله، فإننا لم نلحق أن نلتقط أنفاسنا من عناء السفر حتى شرعتِ في فتح موضوع الزواج. ردَّت عليه، وكأنها تأثرت بما قاله أبو محمد: إني أريد مصلحته وراحته، فقال لها أبو محمد: أعلم ذلك يا أمَّ محمد، ولكنكِ تعلمين أننا سنبقى هنا أيامًا، ولا داعي لفتح هذا الموضوع الآن، فدعونا نتغدى ونستريح قليلًا.

كان محمد قد طلب غداءً من أحد المطاعم العربية، فأخبر والديه بأنه سيذهب لإحضار الغداء. لم يُعجِب هذا التصرُّف أمَّه، فقالت له: يبدو عليك يا محمد أن طبخي صار لا يعجبك!! ردَّ عليها محمد بابتسامته المعهودة: هوِّني عليك يا أماه، فإني في شوقٍ إلى أكلاتك المعهودة، ولكني لا أظنك تَقْوَيْنَ الآن على الوقوف على رجليك. وبإذن الله عندما تستريحين من نَصَب السفر، فسيكون عندك متَّسعٌ من الوقت لتطبخي لنا ما شئتِ. وعندها، يمكنكِ أن تحكمي ما إذا كنتُ أشتهي طبخَك أم لا. قالت له أمُّه بابتسامة: إذًا، لا بأس.

مكث والدا محمد معه حوالي أسبوع، وكان يتركهما في الصباح ويذهب إلى عمله، ويعود في المساء ليجد أمه قد طبخت الغداء، وينتظران وصوله ليتناولا الغداء سويًّا. وأثناء بقائهما معه، كانت أمه تفاتحه عن موضوع الزواج كل يوم، وكان يردُّ عليها قائلًا: عندما أجد المرأة المناسبة سأرتب معكما للحضور إلى هنا، وعقد مراسِم الخطبة والزواج.

بعد أسبوع من وصولهما إلى أمريكا، أوصل محمد أبويه إلى المطار، وبقي هو في أمريكا واجتهد في عمله كثيرًا، لكنه لم ينسَ ما كان يقوم به من قبل من أنشطة دعوية وعلمية؛ فكان يتواصل مع المراكز الإسلامية القريبة منه، ويتعرف على القائمين عليها، ويتعرف على الأنشطة والخدمات التي تقدمها.

وبعد أن قام محمد بذلك المسح، بدأ يحفز أئمة تلك المراكز على تنشيط الدعوة فيها، وقدَّم لهم بعض الاقتراحات التي قوبلت بالترحيب من الأئمة والقائمين على تلك المراكز. كذلك، بدأ محمد يتواصل مع الهيئات الإسلامية الأخرى الموجودة في أمريكا، وكان يحضر بعض ملتقياتهم والمؤتمرات التي تقام بين فترة وأخرى. وفي الوقت نفسه كرَّس جهوده للارتقاء بمركز تقنيات الفضاء الذي يعمل

في بلورة مع إخوانه في اتحاد الطلبة والمركز الإسلامي إقامة جامعات ومدارس إسلامية في بعض الدول الإسلامية التي تسمح قوانينها بذلك.
نظريًا وتطبيقيًا

لقد كان هدفه الكبير من هذه الخطوة تخريج جيل من الشباب المسلم متسلح بأحدث ما توصل إليه العلم، وفي الوقت نفسه يحمل همّ هذه الأمة، ويكون من الدعاة الذين يبيعون أنفسهم وأموالهم لخدمة دين الله. كانت نظرته هو بناء هؤلاء الشباب والفتيات منذ نعومة أظفارهم، بحيث يصلون إلى مرحلة الثانوية وهم قادرون على العطاء دينيًا وفكريًا وعلميًا والإنتاج. كان يعلم أن ذلك الأمر يتطلب تحصين هؤلاء الفتية من الأوبئة المنتشرة في مجتمعاتهم، ولذلك جعل همّه ~~الحفاظ~~ على تلك الطاقات وطاقات أمتنا الإسلامية، بعزلهم عن مجتمعهم، وإنما من خلال البناء ~~الفكري~~ السليم إيمانيًا وفكريًا.
سلوكيًا والفكرية وحتى العقدية
سلوكيًا
الإيمان

N47

مع مشارف فصل الربيع استطاع أن يكمل المسودة الأولية لرسالة الدكتوراه، مما مكنه لعرضها على مشرفه الأكاديمي. وخلال فترة المراجعة، استغل فترة الإجازة الصيفية لزيارة المملكة، ومن هناك قام بزيارة العديد من الدول الإسلامية، وحمل معه الكثير من المواد الدعوية التي تم إنتاجها. ونظرًا لبقاء زكريا في المملكة مع أهله الصغار الذين تنقل بطفلهما، استطاع إقناع الأستاذ أسامة بصحبته في هذه الرحلات. لقد كان الهدف من وراء هذا الاستفادة من فكر الأستاذ أسامة الذي وجد بأنه في مجال الدعوة، وفي الوقت نفسه تحفيز الأستاذ أسامة ليخرج بأفكار ~~جديدة~~ بالأنشطة الدعوية من هذه المملكة إلى الدول الإسلامية الأخرى. وفعلًا، وعلى عادة أكثر من شهر في المملكة، وهما قد وضعا العديد من التصورات لمشاريع دعوية أخرى كان من ضمنها إقامة ما يعرف بالرحلة العلمية، حيث يتم تجميع العديد من مشائخ العلم وطلبته للقيام في فترة الإجازة الصيفية بزيارة بعض الدول الإسلامية وفق برنامج دعوي متكامل أعدا له تصورًا واضحًا. وقد تطوع الأستاذ أسامة في الإعداد للرحلة العلمية القادمة بحكم ~~معرفته~~ لمواصفات العديد من مشائخ العلم، على أن يقوم محمد بالتنسيق مع الجهات الدعوية العاملة ~~الرئيسية~~ في الدول التي ستشرف الرحلة زيارتها.
وعقد لها في مقر مركز الفقاء ومركز ميشونيان وشركة ميكروسوفت العديد من المحاضرات التقنية

بعد عودتهما إلى أمريكا، كرس محمد معظم وقته للانتهاء من رسالة الدكتوراه، وبنهاية شهر ديسمبر تم مناقشة رسالته و~~حصوله~~ على درجة الدكتوراه بامتياز مع بعض التعديلات الطفيفة، ~~الشكلية~~. استغل فصل الربيع لطباعة الرسالة وإنهاء إجراءات تسليمها إلى الجامعة، وفي نهاية ~~الفصل~~ الربيع حضر محمد وزكريا حفل التخرج، وسارا كما فعلت أسرتهما التي رتبت لهما محمد زياح خاصة مع نفقته.

بعد حصوله على الدكتوراه صار تحقيق حلم محمد كاب قريبًا أو أدنى، فقد تلقى بعد اجتيازه ~~المملكة~~ في خلال الصيف وإنما ~~حضر~~ امتحان الدكتوراه عرضًا من وكالة ناسا لم يحلم بمثله أبدًا. لقد عرضت عليه الوكالة تأسيس ~~معمل~~ تقنيات الفضاء، والذي تقع عنابة ورشة العمل لكل ما يتعلق بتقنيات الفضاء، وعرضت عليه ~~مكافأة~~ ~~ضخمة~~ وعرض ~~أن~~ ~~يعمل~~ في العالم كرائد أساسي، بالإضافة إلى العديد من الحوافز المغرية، ومنزل فخم بكامل أثاثه ~~في~~ ~~الفضاء~~ وسيارة فخمة لاستخدامه الخاص.
من مركز كنيدي لأبحاث الفضاء في ولاية فلوريدا
في المملكة

N48

لم يكن ليفرط في هذا العرض، ولكن بطبيعته المتأنية استشار مرشده الأكاديمي ومركز ميشونيان وبعض إخوانه في اتحاد الطلبة المسلمين والمركز الإسلامي واستشار أصدقاءه وأساتذته، ووجهة الجميع على

فيه، حتى أصبح صيتُ المركز على كل لسان، وأصبحت المجلات العلمية والقنوات الفضائية وغيرها من وسائل الإعلام تتسابق في نشر أبحاث هذا المركز.

كل ذلك حفَّز محمدًا إلى أن يفكر في نقل بعض تقنيات الفضاء وعلومها إلى العالم الإسلامي، فاقترح أولًا على وكالة ناسا إقامة دراسات عن واقع علوم الفضاء في العالم الإسلامي. وفعلًا، رحَّبت الوكالة باقتراحه، ورشحته لأن يرأس فريقًا من ناسا وغيرها من المؤسسات المعنية بعلوم الفضاء، وأن يقوم الفريق بزيارة للدول الإسلامية.

سُرَّ محمد كثيرًا من هذا، فقد وجد أنه قد تحققت له واحدة من الأحلام التي كانت كثيرًا ما تسيطر على فكره. وفعلًا، قام الفريق بزيارة الدول الإسلامية، الواحدة تلو الأخرى. وبصفته رئيسًا للفريق، ولكونه مسلمًا، فقد كان يتحدث باسم الفريق وباسم وكالة ناسا، وكان يستقبله في كل دولة كبار المسئولين من وزراء ووكلاء وزارات وغيرهم. وكان في بعض الدول يُدعى الفريق بأكمله للالتقاء بالرئيس أو الأمير أو الحاكم، وكثيرًا ما كانت تقام على شرفهم مأدبات الغداء أو العشاء، وكان الفريق يقضي بضعة أيام في كل دولة، ثم ينتقل إلى دولة أخرى.

عندما قدم الفريق إلى المملكة، كان محمد قد أخبر أعضاء الفريق بأن هذه هي بلده الأصلية هذا هو موطنه الأصلي، وأن أهله يعيشون فيها. لذا، فقد وضعوا في برنامج زيارتهم للمملكة أن يزوروا البلدة التي يسكن فيها محمد وأهله. وقد استُقبلوا في المملكة من قِبَل وفد رسمي يتكون من بعض الوزراء والوكلاء ورؤساء بعض الجامعات والمؤسسات المعروفة.

كان بعض هؤلاء يُدرك ملامح محمد العربية، وخاصة من خلال لهجته، ولذا فقد كانوا يسألونه عن بلده. وكم كان تعجُّب الكثيرين منهم، وفي أحيانٍ الشعور بالفخر والابتهاج، عندما يعلمون أن محمدًا هو من أبناء المملكة. وكثيرًا ما كان محمد يقضي جزءًا كبيرًا [أخشى أن يكون ذلك جانبًا سلبيًّا على محمد] من وقت المقابلات والاجتماعات ليقُصَّ عليهم رحلته من بلده، وتفوُّقه، وأحواله في أمريكا.

في اليوم التالي من وصول الفريق إلى المملكة، تلقى الفريق دعوة من جلالة الملك لتناول وجبة عشاء على شرفه. لبى الفريق الدعوة، وكان العشاء في أحد قصور الملك القصور الملكية. وقد حضر مأدبة

N48

انتقلت الأسرة الصغيرة إلى ولاية فلوريدا، وكان محمد وشقيقاه أن يتأقلما مع البيئة الجديدة وخاصة في ارتباطهما بالمراكز الإسلامية، ولكن هذا لم يكن أمرًا صعبًا عليهما. بقي محمد عدة أيام قبل بدء عمله في مركز كنيدي وذلك لشراء المستلزمات المعيشية، وفي التعرف على المراكز الإسلامية القريبة والتواصل مع القائمين عليها.

قبل هذا العرض، تجهزت الأسرة للانتقال إلى عالم جديد مليء بالمفاجآت السارة، ولم يتركه إخوانه في أنحاء الطلبة المسلمين والمركز الإسلامي ليرحل دون توديع، فأقاموا له حفلًا مشتركًا قدمت فيه الكلمات المعبرة عن الشكر والامتنان لجهوده المضنية في الارتقاء بهاتين المؤسستين، ثم كرموه بالهدايا التذكارية.

بعد بدء عمله في وكالة ناسا تفتحت له آفاق جديدة لتطوير ذاته والارتقاء بأمته. استطاع في خلال فترة وجيزة أن يكسب قلوب مسؤوليه والموظفين تحت إمرته، ووجدوا فيه نعم القائد المحفز والعالم الماهر والأخ المتفهم لمشاعرهم والراعي لتطورهم والارتقاء بهم. لقد اجتهد من أول يوم عمل في تفعيل تقنيات الفضاء ليجعله حديث الساعة إعلاميًا وأكاديميًا. أما إعلاميًا فقد قام بحملة واسعة للفت نظر الناس إلى أهمية علوم الفضاء والتقنيات الحديثة التي تستخدم لغير أغراض الفضاء، كذلك وضع برامج مخصصة لزيارة طلاب المدارس والجامعات للتعرف على ناسا بشكل عام وعمل تقنيات الفضاء بشكل خاص.

وأما أكاديميًا فقد شكل فريقًا من العاملين تحت إمرته ليكونوا الجامعات الأمريكية، بدءًا بجامعات فلوريدا، وهم يتعرفون على ما يقوم به المركز من بحوث ودراسات، وما توصل إليه من اكتشافات علمية مذهلة في الفضاء الخارجي. وكان من أهداف هذا الفريق أيضًا استقطاب العلماء والباحثين للابتعاث في دراسات مشتركة مع وكالة ناسا، وقد نجحت الوكالة في ذلك حوافز مغرية جدًا. لم يمر عام على عمل هذا المركز حتى ذاع صيته مقرونًا بوكالة ناسا الشهيرة، وعمل تقنيات الفضاء الذي بدأ نجمه يتقدم محمد لليه: طارت الوكالة وعمل تقنيات الفضاء إلى الدول الإسلامية، وحاضر العديد من العلماء والباحثين في الدول الإسلامية للتواصل مع الوكالة بشكل عام وعمل تقنيات الفضاء بشكل خاص، لما لهذا العون لتوجيه مسار ما يجري في الوكالة إلى البلدان الإسلامية. هنا وجد محمد الفرصة سانحة، فتقدم بمشروعه الحضاري الذي طالما حلم بتحقيقه، وعرضه على مدراء الوكالة ليرفعوا إلى رئاسة الوكالة، فحمد طلبه وقدره شاهدوا بأم أعينهم ما حققه في خلال عام واحد.

تلخص المشروع في فتح فروع أخرى لتقنيات علوم الفضاء في جامعات بعض الدول الإسلامية، بحيث تكون معامل مركز تقنيات علوم الفضاء في مركز كنيدي من حيث الدراسات والأبحاث التي تقام، أو من حيث تخريج العلماء والباحثين. لقد اجتهد في هذا المشروع لنقل تقنيات الفضاء إلى الدول الإسلامية، وفي الوقت نفسه إلى رفع آفاق جديدة لبزوغ علماء مسلمين يهتمون بعلم الفضاء وتقنياته. وقد عرضت عليه الوكالة تشكيل فريق رفيع المستوى يضم نخبة من العلماء والمتخصصين في علم الفضاء، بالإضافة إلى مسؤولين كبار في الوكالة، وذلك لزيارة بعض الدول الإسلامية، ومحاولة إقناع المسؤولين فيها لتبني هذا المشروع ووضع الترتيبات اللازمة لذلك.

N49

العشاء العديد من الوزراء والوكلاء والدبلوماسيين ورؤساء الجامعات والكليات وممثلين عن بعض المنظمات الدولية.

عندما وصل الفريق إلى القصر قام أعضاء الفريق، يتقدمهم محمد، بمصافحة الملك ومَن حضر من المدعوين، ثم أُجلِس محمد بجانب الملك، وأُجلِس بقية أعضاء الفريق بجانب محمد، وجلس الوزراء في الجهة الأخرى من مكان الملك. التفت الملك إلى محمد، وقال له: نحن سعداء بزيارتكم للملكة، وقد علمنا أنكم تقومون بدراسات حول علوم الفضاء تُمكن أمريكا من مد جسور التواصل مع الدول الإسلامية في هذا الجانب.

~~ردَّ محمد قائلًا~~: هذا صحيح يا جلالة الملك، وبإذن الله ستتبع هذه الزيارات والدراسات خطوات عملية نرمي من خلالها إلى نقل تكنولوجيا علوم الفضاء إلى الدول الإسلامية. ~~قال له الملك~~: يبدو من اسمك وهيئتك أنك مسلم، فمن أيِّ دولة أنت؟

نكَّس محمد رأسه قليلًا، ثم رفعه وقال للملك وهو يبتسم: أنا من أبناء المملكة يا جلالة الملك! ظن الملك أن محمدًا يمزح معه، فقال له: أهلًا بكم جميعًا في المملكة، وإذا كنتم توافقون فسنعطيكم جنسيات في الحال! نكَّس محمد رأسه مرة أخرى، وهو يرى أن الملك لم يعرفه، رغم أنه التقى به من قبل، ولم يفهم مقولته، فقال له: يا جلالة الملك، أقصد أني وُلدتُ وترعرعتُ في المملكة!!

نظر الملك إلى محمد مندهشًا، وقال له: أحقًّا ما تقول؟ ~~قال له محمد~~: نعم يا جلالة الملك، ~~فقال له الملك~~: وإذًا، فلماذا أنت في أمريكا؟! ولماذا ~~أنت~~ ترأس وفدًا يمثل أمريكا؟! نكسَّ محمد رأسه، وكأنه يسترجع الماضي المؤلم والمعاناة التي مر بها، لكنه لم يشأ أن يُحرِج الملك، فقال له: لقد تخرجتُ من أمريكا يا جلالة الملك، وطمعتُ بأن أحصل على وظيفة هنا في المملكة، ولكني ما وُفِّقتُ لذلك، فعدتُ إلى أمريكا وواصلتُ دراستي. وأعمل حاليًا مديرًا لمركز تقنيات الفضاء في وكالة ناسا.

لم يقابل الملك ما قاله محمد بتأسُّفٍ لأنه- أي الملك- والمملكة لم يستطيعا أن يوفِّرا له أبسط حقوقه، وهو الحصول على وظيفة مناسبة. لكن على العكس من ذلك، فقد أحسَّ الملك أن محمدًا قد تجاوز حقوقه، وقصَّر في واجباته تجاه الملك والمملكة. قال له الملك بنبرة الكبرياء المعهودة: ولكن

هذا لا ينبغي أن يحدث؛ إنك من أبناء المملكة، ومن حقنا عليك أن تخدم هذا البلد الذي رباك ونشأتَ فيه!!

لم يشأ محمد أن يدخل في مشادات كلامية مع الملك، فهو يعلم أنه الآن يمثل فريقه، ويمثل وكالة ناسا، ويمثل أمريكا، وأيُّ خطأٍ أو زلة لسان فقد تسيء إلى سمعته كثيرًا. لذا، فقد ردَّ على الملك بابتسامة حزينة تخفي وراءها أحداثًا لا يعرفها غيره هو، وقال له: كما أخبرتكم يا جلالة الملك، فإني ما كنتُ سأتخيَّر على بلدي بلدًا آخر، ولكني عندما لم أحصل على وظيفة تناسبني، ما كان لي من خيار إلا ترك بلادي والهجرة إلى أمريكا.

هنا ردَّ الملك عليه بنبرة فيها شيءٌ من الغضب: ولماذا لم تأتِ إليَّ حتى أعطيك الوظيفة التي تطلبها؟ نكسَّ محمد رأسه، وكأنه يبتسم في داخله ويقول: أظنك لا تملك لنفسك أمرًا، فكيف تستطيع أن تهيء لي الوظيفة التي أنشدها؟! رفع محمد رأسه، وقال للملك: يا جلالة الملك، أنت لم تتذكرني، ولكني جئتُ لمقابلتك، وعرضتَ عليّ وظيفةً لم تناسبني.

اشتطاط الملك غضبًا، فردَّ على محمد بصوت سمعه من بجانبه: أية وظيفة؟!! قال له محمد: لقد عرضتَ عليَّ أن أكون أحد مرافقيك. قال الملك: إني لا أتذكر، فمتى جئتَ لمقابلتي؟ فقال له محمد: لقد نشر الديوان الملكي لي كتابًا بعنوان (دور المملكة في علوم الفضاء).

عندها استرجع الملك ذاكرته، فقال: نعم أتذكر ذلك، ولكن لم تخبرني حينها أن الوظيفة التي عرضتُها عليك لم تكن تناسبك. فقال له محمد: ولو فعلتُ ذلك، فماذا سيحدث يا جلالة الملك؟ فقال له الملك: كنتُ سأعطيك أية وظيفة تطلبها. فقال له محمد: كنتُ أطلب وظيفة في تخصصي، أي في علوم الفضاء. فقال له الملك، وكأنه يمزح معه: إذًا، كنا سنجعلك مديرًا لمركز أبحاث الفضاء.

علِم محمد أن الملك ليس عنده ما يقوله، فأراد أن يقطع الحديث، فقال له: أظن أني مرتاحٌ حاليًا في الوظيفة التي أنا فيها! فقال له الملك: وإلى متى ستبقى هنالك؟ قال له محمد: إلى أن يشاء الله.

أدرك الملك عزة نفس محمد، وأنه لا يريد أن يتذلل له، فشاط غضب الملك، ولكنه تصرف بحكمة؛ فطلب من الجميع أن يقوموا لتناول العشاء. قام الجميع ثم خرج الملك دون عشاءٍ ودون أن يُسلِّم على الوفد.

في اليوم التالي ذهب محمد والوفد لزيارة بلدته، والتقى بوالديه، والتقى أيضًا ببعض مدرسيه، وكانت والدته قد أعدت غداءً للجميع في بيتهم. عاد الوفد إلى العاصمة، بينما نام محمد ليلته مع والديه. وفي اليوم التالي، ودَّع محمد والديه، والتحق بالوفد في العاصمة، وقضوا ذلك اليوم في إنجاز مهمات الوفد.

بعد أن عاد الوفد إلى أمريكا قاموا بتلخيص النتائج التي توصلوا إليها، ووجدوا أن غالبية الدول الإسلامية تخلو من أية اهتمام بعلوم الفضاء، وبعضها كان اهتمامها طفيفًا جدًّا. لذلك، قام محمد بوضع برنامجٍ عملي للبدء في تعريف دول العالم الإسلامي بتكنولوجيا الفضاء، واستطاع أن يُقنِع وكالة ناسا بدعم ذلك البرنامج. وفعلًا، أبدت وكالة ناسا دعمًا كبيرًا لذلك البرنامج، ورصدت له ميزانية ضخمة، ودعت الكثير من الهيئات والمنظمات إلى مشاركتها في تفعيل ذلك البرنامج.

واستطاع محمد أيضًا أن يقنع مسؤولي وكالة ناسا بتقديم منح سنوية لدول العالم الإسلامي لدراسة علوم الفضاء. وقد كانت تُقدَّم هذه المنح كل عام إلى بعض الدول، ومَن كانت تفوتها هذه الفرصة، كان محمد يرتب لوفدٍ منها لزيارة أمريكا، وبالأخص وكالة ناسا، والتعرُّف على ما يجري في مجال علوم الفضاء.

رأى محمد أن المنح التي تقدمها وكالة ناسا في كل عام لا تكفي أن تُغيِّر من واقع العالم الإسلامي في هذا المجال، ولذلك اتصل بالجامعة الإسلامية الأمريكية وأقنعهم بأن يفتحوا قسمًا لعلوم الفضاء، ودعا الجامعة والموسرين ممن يعيشون في أمريكا أو خارجها إلى دعم هذا القسم وتقديم منح لطلاب العالم الإسلامي لدراسة علوم الفضاء في هذه الجامعة، على أن يتم انتقاء المتقدمين انتقاءً خاصًّا أشرف محمد عليه بنفسه.

كذلك، فقد أنشأ بنفسه هيئةً علمية غير ربحية تُعنى برصد واقع علوم الفضاء في الدول الإسلامية، وبدأ بفتح مكاتب لهذه الجمعية في بعض الدول الإسلامية. وكان من أنشطة الجمعية حث المسؤولين في الدول التي توجد بها مكاتب للجمعية إلى الاهتمام بعلوم الفضاء من خلال تدريسه في الكليات والجامعات، ومن خلال تشريب المناهج الدراسية به. كذلك، كان من أنشطة مكاتب هذه الجمعية التواصل مع دوائر البعثات في تلك الدول والمؤسسات الكبرى التي تقدم مِنَحًا للدراسة، وكان دور

تلك المكاتب هو تشجيع هؤلاء على إدراج قسم علوم الفضاء في الجامعة الإسلامية الأمريكية كأحد الخيارات المتاحة لخريجي الثانوية.

كان محمد في كل عام يحصل على إجازة سنوية لمدة ستين يومًا، وكان يقضي الثلاثين يومٍ منها في المملكة، ويقضي بقية الإجازة داخل أمريكا وفي بعض الدول الإسلامية وهو يتابع سير الجمعية، ويلتقي بالدعاة والمفكرين ويحثهم على الارتقاء بعلوم الفضاء وبغيرها من العلوم. أما في المملكة، فقد أقام محمد مشاريع خيرية ومؤسسات دعوية استطاعت أن تهتم بالنشء، وترتقي بمستوياتهم العلمية والإيمانية والسلوكية.

بقي محمد على هذه الحال لأكثر من أربع سنوات، وكان في كل اتصال بوالديه تبكي أمه بين يديه، وتناشده أن يريح نفسه وأن يُقِرَّ قلبها بالزواج، وكان هو أيضًا يطمئنها بأنه يُجري الترتيبات اللازمة لذلك. كان محمد قد عرف من خلال زياراته لبعض المراكز الإسلامية عن وجود امرأةٍ أمريكيةٍ داعيةٍ حصلت على درجة الماجستير في علوم الحاسوب، وأنها ترفض الزواج إلا من أحد الدعاة النشيطين. [جميل أن تسرد ظروف معرفته بها]

أحسَّ محمد بأن وقتَ الزواج قد حان، وكان آنذاك قد أنهى الماجستير وبدأ في دراسة الدكتوراه، وأن الله قد ساقَ هذه المرأة لتكون شريكة حياته. لهذا، فقد بادر إلى إمام ذلك المركز وطلب منه أن يخطب له تلك المرأة. سُرَّ إمام المركز بذلك، وفعلًا طرح على المرأة فكرة الزواج من محمد، وكانت قد سمعَتْ بأنشطته واهتماماته، فلم تتردَّد، وإنما رحَّبَتْ بالفكرة.

اتفق الاثنان على الزواج، وطرح محمد الفكرة على والديه، فرحَّب بها والده. غير أن أمه بقيت تقول له بأنه إن تزوَّج من أمريكا فإنه لن يعود إلى وطنه. حاول محمد عدة مرات إقناعها، وكان يقول لها: إنكِ قد قلتِ هذا يا أماه من قبل، وقد رأيتِ أني آتي إلى المملكة كل عام، وأقضي فيها شهرًا، وأني في بعض الأحيان أدعوكم لزيارتي هنا، ولم أقطع الاتصال بكم ولا ببلدي.

لم تقتنع أم محمد بالفكرة، فطلب محمد من أبيه أن يقنعها، فوعده بأنه سيفعل. بعد يومين اتصل محمد مرة أخرى، فوجد أن أمه قد لانت قليلًا، رغم أنها وضعت بعض الشروط، ومنها أنها تريد رؤية البنت التي يريد محمد أن يتزوجها، وتوافق عليها أيضًا.

قبل محمد هذا الشرط، ورتب لوالديه للمجيء عنده. وعندما وصل والداه إلى أمريكا، كانت أمه متلهفة لترى تلك البنت، فرتب محمد مع أسرة البنت لزيارتها، ووافقت الأسرة على ذلك. ورغم أن الأسرة أمريكية، إلا أن البنت كانت تتكلم العربية بطريقة مفهومة وجيدة.

ما إن رأت الأم الفتاة حتى أحبتها، وعندما خرجت من هنالك أسرعت إلى محمد، وقالت له: عليك بالإسراع بالزواج منها قبل أن يخطفها منك أحد. ابتسم محمد إليها، وهو يحمد الله في داخله أن أرضى أمه عنه، وقال لها: إني أراك أكثر عجلة مني للزواج! فقالت أمه: إذا كنتَ لا ترغب في الزواج منها، فأنا لن أجبرك عليها، فردَّ عليها ممازحًا، وقال: ما دمتِ يا أماه ترضَيْن بها فأنا أرضى بها.

أخبر محمد إمام المسجد بأن يرتب مع الأسرة أمور الزواج، فاتفق الجميع على عقد القِران في المسجد، وأقيمت حفلة لذلك. كذلك، اتفق الطرفان على أن يتم الزفاف بعد أسبوعين.

بقي والدا محمد طيلة تلك الفترة هنالك، وكان محمد قد أخذ إجازةً شهرًا كاملًا. تزوج محمد من تلك الفتاة وسكنا في شقته، وكان والدا محمد ينامان في غرفة ومحمد وزوجته في الغرفة الأخرى، ولم يبقَ والداه طويلًا بعد الزواج حتى عادا إلى المملكة، وقضى محمد وزوجته ما بقي من الإجازة في التِّجوال والرحلات.

كان محمد متخوفًا من أن يؤثر الزواج على عمله وعلى أنشطته الدعوية والعلمية، ولكن الله سبحانه وتعالى وفقه بزوجة صالحة تدفعه إلى الخير وتحفزه على العطاء؛ وجدها امرأة تحمد الله على كل حال، فلا تتذمر ولا تتشكى، وإنما كانت تستقبله بالابتسامة، وتخفف عنه ما يجد من هموم العمل، كما قالت له أمه من قبل. وفي الوقت نفسه، كانت هذه المرأة صالحة في نفسها، داعية لغيرها، ذات فكرٍ إسلاميٍّ قويم ونظرةٍ واقعيةٍ. تعاون الاثنان على فعل الطاعات، وعلى الدعوة إلى الله؛ فكانا يترددان سويًّا على المراكز الإسلامية، فيقيمان الدروس والمحاضرات، وكانا لا يُفوِّتان فرصةً في مؤتمرٍ أو فعاليةٍ إسلامية.

كانت زوجته تتلهف لأن تزور المملكة، وتزور أهله هنالك. وفعلًا، أخذها محمد في الإجازة التالية إلى المملكة، وقضوا فيها شهرًا، كما كان يفعل هو من قَبل. بعد ذلك، قضى محمد وزوجته شهرًا آخر وهما يتجوَّلان في بعض البلدان الإسلامية. وكانا في ترحالهما ومُكثهما لا يفتآن الحديث عن

الدعوة ومناقشة قضايا الأمة، وكان لزوجته دور رائدٌ في الاهتمام بالنشء، وتعاون محمد معها في إقامة روضات إسلامية للأطفال، لا تهتم بالترويح عن الأطفال فحسب، وإنما بتربيتهم تربية إيمانية وفكرية صادقة.

بعد ثلاث سنوات أنهى محمد الدكتوراه في علوم الفضاء من جامعة هارفارد. وقد أقامت الجامعة احتفالًا لذلك، وأقامت له أيضًا وكالة ناسا احتفالًا آخر. وبعد أن حصل على الدكتوراه، بدأ نجم محمد يصعد؛ فلم تصبح اهتماماته منصبة فقط على الدعوة في أمريكا، وإنما توسَّع إلى العالم الإسلامي، وبدأ يلتقي بالدعاة والعاملين في الحقل الإسلامي، ورشحته رابطة العالم الإسلامي لرئاسة لجنة علوم الفلك في الرابطة، وتلقى دعوات من دول إسلامية عديدة لزيارتها وإلقاء المحاضرات بها.

كل تلك الشهرة دعت الأمم المتحدة لأن تُعيِّنه مبعوثًا لها للدول الإسلامية فيما يتعلق بالقضايا العلمية، وكان محمد يستغل تلك الفرص للالتقاء بالمسؤولين وأعيان البلدان والدعاة والعلماء، وكان في كل أحواله يحفزهم على البذل والعطاء، وعلى الارتقاء بالأمة، وعلى نبذ الخلافات وتربية الأجيال فيما يرضي الله سبحانه وتعالى، وفيما يرفع من شأن بلدانهم.

[قدم هذه المعلومة (أي التالية) في الصفحة السابقة فقد ورد في أعلى هذه الصفحة أنه بعد ثلاث سنوات أنهى الدكتوراة فلا تدع القارئ في لبسٍ زمني]

بعد زواج محمد من الفتاة الأمريكية استطاع محمد أن يحصل على الهوية الأمريكية (الجرين كارد)، رغم أنه لم يكن يرمي لذلك. وبدأ محمد يخطط لإقامة المؤسسات العلمية والدعوية في بلدان العالم الإسلامي، واستغل علاقاته وروابطه بالمسؤولين وصناع القرار والعلماء والدعاة في كل بلد لتحقيق الطموحات التي طالما حلم بها.

وقد قام كذلك بإنشاء مراكز للدعوة، وفتح فروعًا لروضات الأطفال الإسلامية التي بدأتها زوجته، وقام بنشر العديد من البحوث والدراسات حول نهضة الأمة، وسبل الارتقاء بها، وكيفية الاستفادة من وسائل العصر في هذا الجانب.

[اقتراح: لا داعي لهذه الخاتمة بل اختمها بحدثٍ مهم في علوم الفضاء في بلده يكون محمد سببًا له]

(N50) بدأت أحداث قصتنا في النمو مع تقدم التكنولوجيا الحديثة حيث شاهد ملايين الأطفال ومتابع سير العمل في مجالات الأطفال التي أصدرتها وهي في بيتها في مدينة "أورلاندو" بولاية "فلوريدا". أما محمد فقد توزع جهده بين مواصلة الارتقاء بمركز علوم الفضاء وبين متابعة سير الهيئات والجمعيات العديدة التي أسسها بصفة مباشرة أو بالتنسيق مع العلماء والدعاة في كل من وكالة ناسا في الدول الإسلامية وكثيراً ما كان ينظم اجتماعات عن بعد مع المسؤولين فيها.

لكن أكثر ما كان يشغل فكره هو الارتقاء بمراكز تقنيات علوم الفضاء التي قام باقتطاعها بالتعاون مع وكالة ناسا. لقد استطاع أن يوفر في تلك المراكز خيرة العلماء والباحثين وورتب لهم برامج للتدريس في الجامعات والكليات في تلك الدول. وكم كانت فرحته غامرة عندما تلقى اتصالاً من أحد العلماء المسلمين في واحد من تلك المراكز وهو يبشره بخبر سيسر العالم لسنوات قادمة. لقد أخبره ذلك العالم - والذي كان أيضاً رئيس جمعية الدعاة والمفكرين - في تلك البلد بأنه استطاع مع عالمين مسلمين آخرين من اكتشاف أول جرم سماوي يحمل حضارة تشبه كرتنا الأرضية بما لا يدع مجالاً للشك من إمكانية العيش عليه كما هو الحال في الأرض.

كان محمد حينذاك يقف مع زوجته وهو يصرخ بأعلى صوته: الله أكبر.. الله أكبر. استيقظت شيماء لهذا التكبير واستيقظ من في البيت وجاؤوا يهرعون إليه وما هي إلا لحظات حتى علت أصوات الجميع بالتكبير والحمد والثناء لله عندما أخبرهم محمد بذلك الاكتشاف.

في صبيحة اليوم التالي استقل محمد طائرة خاصة من تلك الدولة والتقى بإخوانه وتأكد من التقارير التي وصلوا إليه وما هي إلا ساعات حتى طارت الأخبار وكالات الأنباء في العالم وتقاطرت الصحفيون والإعلاميون وتراكض محمد مؤتمراً صحفياً لينقل هذا الخبر المذهل إلى جميع أرجاء العالم.

كانت المفاجأة الكبرى للملائكة عندما رأى محمداً وهو يدير هذا المؤتمر ويبدأه كعادته بالحمد والثناء لله سبحانه وتعالى والصلاة مع النبي الخاتم - عليه أفضل الصلاة والسلام - باللغة العربية والتي لم يكن يعرفها من قبل.

ثم بدأ سرد تفاصيل الاكتشاف المذهل وعرض الصور التي التقطتها مجسات الفضاء.

كانت هذه ملخصًا لحياة الشاب محمد، الذي دفعته الظروف لمغادرة بلده، لكنه لم يهجر أهله وإخوانه، وإنما كان متواصلًا معهم بقلبه وروحه.